بسم الله الرحمن الرحيم

[نص الكتاب]

كتاب جمع فيه بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائهم مما ابتدأ تأليفه الفقيه المتفنن محمد بن على بن خضر بن هارون الغسانى المشهور بابن عسكر.

وقد كمله ولد أخته محمد بن محمد بن على بن خميس بعد أن عاجلته منيته.

وجمع فى هذا الكتاب من سكن مالقة ودخلها أو اجتاز عليها، وجملا من أخبارهم وأدبهم ومحاسنهم ومراسلاتهم وبلاغتهم، وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس وغيرهم.

منهم:

١ - محمد بن عمثيل العاملى

من أهل مالقة، من أعيان أهلها وجلتهم. حكى أبو العباس ابن أبى العباس فى كتابه قال: أنشد الفقيه أبو عبد الله بن عمثيل الأديب أبا محمد غانم بن وليد[1] بيتين، وهما: [الكامل]

وإذا الديار تغيرت عن حالها ... فدع الديار وبادر التحويلا

ليس المقام عليك حتما واجبا ... فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(١) انظر: جذوة المقتبس ٣٢٥، الصلة ٤٥٨، البغية للسيوطى / ٢٤١٢.

فاستحسن ذلك وبادر للمعارضة فقال: [الكامل]

لا يرتضى حر بمنزل ذلة ... لو لم يجد الخافقين مقيلا

فارض الوفاء لحر نفسك لا تكن ... ترضى المذلة ما حييت بديلا

واخصص بودك من خبرت وفاءه ... لا تتخذ إلا الوفى خليلا

إن الصديق إذا أحب صديقه ... أثنى عليه بكرة وأصيلا

ولقد خبرت الناس منذ عرفتهم ... فوجدت جنس الأوفياء قليلا

سقيا لأيام الشباب فإنها ... كالإلف حاول أن يجد رحيلا

قصرت أمان كنت أرجو نيلها ... قد عاد ليلى بعدهن طويلا

قد مات روضى بعد ذلك جذبة ... وغدا فؤادى بعدهن عليلا

٢ - محمد بن خليفة بن عبد الواحد بن سعيد بن الحارث ابن خلف بن عبد الله بن بدر بن سعد الأنصارى[١]

يكنى أبا عبد الله، من أعيان مالقة وفضلائها وعلمائها المشهورين. ولى قضاء مالقة فسار فيه بأجمل سيرة من العدل والفضل. وله على الموطأ شرح حسن بليغ. ويحكى أنه قال: ألفت شرح الموطأ أيام ولايتى للقضاء بمالقة. ابتدأته أول سنة ثمان وسبعين، وأكملته سنة تسع وسبعين.

وقال: وكنت عند ابتدائى تأليفه أرى وأنا بين النائم واليقظان كأنى أخرج إلى البحر على باب يسمى باب الفرج، وهو باب الحلاقين، فأقف

---

(١) فى الصلة: محمد بن سليمان بن خليفة، انظر: ٥٦٥ - تاريخ قضاة الأندلس: ١٠٠ - بغية الملتمس: ٦٨.

على البحر، فكان يلقى إلى من صنوف الحيتان ما يملأ الفضاء بين يدى، وأمواجه تلقى بعضها على بعض إلى. فكنت أروم تعبئتها وضمها وتلفيفها بالملح، وأنظر فى توطية لها من فرش ودوم بين يدى وآلة، وكنت أقول: ألا رجل يعيننى على تعبئة ذلك. فكان يبدو لى رجل، فيقول: ارفع رأسك. هذا رسول الله - ﷺ - مقبل إلى على البحر من جهة القبلة. فكنت أمشى إليه ألقاه وأسلم عليه. فلما فرغت من السلام قال لى: يا محمد، أنا أعينك على تعبئة ما أردته من هذه، فخذ فى ذلك. فكان يسوى بيديه الكزيمتين وطاءها، ثم أجمع إليه وأقرب بين يديه من تلك الحيتان وهو يسويها ويجعل ملحها صفا على صف، حتى بلغ سبعة صفوف، وهى كانت عدد أسفار المسودة إذ تمت. ثم ضم عليها صيانتها وزمها، ثم قال لى: هذا مرادك منها قد تم.

ثم استيقظت وتماديت على التأليف. فلعمرى لقد كان هذا التأليف أسهل على من كل أمر حاولته، جعله الله لوجهه.

وذكره ابن بشكوال فقال: روى عن أبى عبد الله بن عتاب، والقاضى محمد بن شماخ، والقاضى أبى الوليد الباجى، وغيرهم. وكان معتنيا بالعلم والسماع من الشيوخ، ومن أهل المعرفة والذكاء والفهم، واستقضى ببلده. وسمع الناس منه كثيرا من روايته.

وكان - رحمه الله - من أهل الأدب البارع. مع علمه وفضله. ومن شعره - رحمه الله -: [البسيط]

ولى زمان وكان الناس تشبهه ... فالآن فوضى، فلا دهر ولا ناس

أسافل قد علت لم تعل من كرم ... ومشرفات الأعالى منه أنكاس

ومن شعره أيضا - رحمه الله تعالى ورضى عنه -: [الطويل]

تقول سليمى إذ وفيت بعهدها ... أشيب وفى وصل الأحبة منصف

وإن بياضا كان منى سواده ... مكان السويدا بالعلاء مصرف

فقلت أجل إن تعف أطلال وامق ... تراه له فى ذلك الرسم موقف

وهل هو إلا قالص فوق ثوبه ... ولكنه القلب الذى كنت تعرف

وكان قد تغرب فى الفتنة إلى جهة تدمير، فقال: [الوافر]

أعاد الله أيام التلاقى ... كما كنا بها قبل الفراق

وأكمل بالسرور إياب نفسى ... فقد آل السرور إلى محاق

نأى صبرى غداة نأيت عنكم ... وهل تنأى همومى واشتياقى

لئن ضن الأسى بالصبر عنى ... فما ضنت بأدمعها مآقى

أحن إلى الرفاق لأن أنسى ... بأخبار الأحبة فى الرفاق

وأفرح بالهلال لأن خلى ... به فى غير آناء المحاق

كأنى مذ نأيت وصرت رهنا ... بتدمير أسير فى وثاق

لقد أبقى فراقكم بقلبى ... كلوما لدغ خرقتهن باق

أرى ليلى على إذا تدجى ... سواء والنهار بما ألاقى

ومنها:

أقول وقد ذكرتك فاستقادت ... لذكرك أدمعى ذات اشتياق

سلام ترجف الأحشاء منه ... على الحسن بن وهب والعراق

على البلد الحبيب إلى غورا ونجدا والأخ العذب المذاق

ومن شعره: [الطويل]

ومن عجب أنى أهيم بحبه وأوليه إعراضا وفى القلب يرتع

كذى رمد فى مقلتيه يزيده سنا الشمس ضرا وهو بالشمس مولع

وتوفى - رحمه الله - بمالقة يوم السبت لسبع خلون من جمادى الأولى سنة خمسمائة. قال ابن بشكوال: وكان مولده سنة سبع عشرة وأربعمائة - رحمة الله ورضوانه عليه -.

ومنهم:

٣ - محمد بن عبد الله بن أصبغ بن أحمد بن أبى العباس[1]

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة ومن جلة أعيانها. ذكره أبو العباس بن أبى العباس فى كتابه وأثنى عليه. وذكر....

ومن شعره فى رثاء أبى عبد الله بن السراج - رحمة الله عليهما -: [البسيط]

هل أدرك العلم وهنا ليس يعهده أم ليس يدرى بأن أودى محمده

بلى لقد ناله وهن لفقد فتى قد كان ينصره حفظا ويعضده

فرع زكا وبحق ما زكا حسبا فى منبت الفضل فرع طاب محتده

تخطفته المنايا غير مكترث علما بأن لقاء الله موعده

رفعت ذكرا من الشورى يسير م سير الشمس متهمه فينا ومنجده

---

(١) انظر: الذيل / ٢٧٦٦.

تقرب الحكم فيها بالصواب ولو تشاء كنت بأولى منه تبعده

وقد مدح ابن عباد بإشبيلية وفر إليه في الفتنة التي كانت بمالقة أيام بني بلقين بن إدريس. وفد عليه. . . . فأنزله وأكرمه وأقام عنده حتى رجع إلى بلده وهذه القصيدة المذكورة: [الطويل]

لعرف الصبا أزكى نسيما لناسم ويارق ذاك الأفق أشفى لشائم

نظرت وقد نام الخليون نظرة قضيت بها حق الدموع السواجم

وهل يبعث الشوق المبرح شائم تألق في جنح من الليل فاحم

وأرقني بالأيك نوح حمامة وقد يطرب المحزون نوح الحمائم

وما. . . حسن العزاء لعاشق ثوى حبه بين القنا والصوارم

خلى من الخلان في أرض غربة تذكر من عهد الصبا المتقادم

أأيامنا أفدى أصائلك التي جلت لي صفو العيش عذب المباسم

بحيث تجلى الروض أحسن منظرا وحاكت برود الزهر أيدي الغمائم

وطاب بنا طيب الغواني وطيبه فيقضى على امرارنا بالنمائم

وحيث مهاها والظباء أوانس ولا مرشف إلا متاح للآثم

ولا حقف إلا ما تقل روادف ولا غصن إلا من قدود نواعم

ولا منزه إلا غناء وقرقف يقوم بها وسنان حلو المباسم

كأن اصفرار الزهر بين ابيضاضه دنانير حفتهن أيدي الدراهم

كأن صفا أمواهه تحت آسه صقال سيوف تحت خضر العمائم

وأعمل أخفاف المطى لرتبة ترينى قرن الشمس تحت المناسم

إلى الغاية القصوى إلى الملك الذى تذل له صيد الملوك الخضارم
إلى ذى الأيادى الغر والمنن التى وسائلها مقرونة كالتراجم
تقبل أطراف البساط جلالة وقد صغرت فى كمه والبراجم
وتعنو له قسرا فرادى وتوءما بإذعان جبار ورغم مراغم
بمعتمد نامت عيون قريرة وردت على الأعقاب سود المظالم
يخوض الوغى والخيل والبيض تلتظى بسمر العوالى والنسور القشاعم

ومنها:

وهوب مهيب فهو يرضى ويتقى كذلك أخلاق الملوك الأعاظم
ولما انثنت نفسى إليك محبة رفضت ملوك الأرض رفض المحارم
ولذت بمولى باسمه أنا عائذ من الخطب واستعصمت منه بعاصم
إليك ابن عباد زففت عروسها فدونكها كالدر فى سلك ناظم
وهل أنا إلا عبدك القن عاقه زمان فلم ينهضه عن جد عازم
لعل له عطفا يديل عناية بعتبى وإن طالت منامة نائم

وله فصل من رسالة كتب بها إلى أبى المطرف بن أبى الهيثم المالقى يهنيه بخطة القضاء: وهل كان ذلك القطر إلا مفرقا دون تاج، ومنارة بغير سراج. فالآن قد استصبح سناه، واتضح لفظه ومعناه. ولست أهنئه بالقضاء خطة، ولا أعتدها له غبطة. ولكن أهنئ بها من تجرى عليه قضاياه وأحكامه، وتدور عليه دولته وأيامه. فمثله من عرف بما قلد، ووفق فى أموره وسدد. فالزهد أيسر شعاره، والورع أدنى دثاره. فلله ذلك المجد ما أشرق صفحاته، وذلك الروض ما أعبق نفحاته.

وله يجاوب الكاتب أبا محمد البزليانى المالقى: [الطويل]

تأملت مـا أهديتـه مـتـفـضـلا ... فـخلت الذى تهـديه درا مـفصـلا

إذا قـسـتـه بالـدر فى حـال نقـده ... وحـققت فـيـه كان أغـلى وأكمـلا

مـعـان تريك السـحـر لفظا ورقـة ... كـمـا يستـبـيك اللفظ أول أولا

بـخـط بديـع زانـه الـوشى زيـنـة ... ينسـيك من وشـى الربيع المفـضـلا

أقـمت به فى ذروة المجـد همـتى ... وحـملتنى عبـئـا من المجد مـثقـلا

وهى طويلة.

وله - رحمه الله -: [البسيط]

اربع بـربع الذى تـسليـك أربعـه ... حـتى يصـيف مصـيف ثم مـربعـه

واغن بمغـنى الذى تغـنيك غنـتـه ... عن الأغـانى غناء الشـوق يطبـعـه

واحلـل بمورد رحب حـله حـرم ... حليت منه فـصـرف الـدهر يمنعـه

القـد منه قـضـيت ماس فـوق نقـا ... ريح الصبا إن مـشى خطوا تزعزعه

ولحظـه بابلى سـحـره حـور ... فى كـل قلب لـه نفـث يولعـه

والجيـد جيـد غزال قـد رنا جـزعا ... إذ مـسـه ليث عـرنين يروعـه

ظبى تكامل فـيـه الدل فـهـو طلى ... كـما تكامل فـيـه الحسن أجـمعـه

لاحت عشاء على خديه شمس ضحى ... فـعن لى يوسـفى الحـسن يوشـعـه

أستـودع الله من لم ألتمحـه ضحى ... يوم الفـراق ولم أقـدر أودعـه

بدر الكمال الذى فى الـقلب مسكنه ... وإن نأى بى فـبـالأردان مطلعـه

ما خلت يوم النوى أنى أعيش غدا لكن حيني لم يصرعه مصرعه

عاينت يونس فى التشبيه حين بدا لا تعذليه فإن العدل يولعه

ومنهم:

٤ - محمد بن عبيد بن حسين بن عيسى الكلبى[١]

هو القاضى أبو عبد الله بن حسون. من أهل مالقة. كان فاضلا خيرا من أهل العلم والفقه. ولى قضاء غرناطة. له بيت منيف. ولعشيرته وأهله نباهة. وله تأليف حسن فى الزهد، سماه كتاب المؤنس. وهو موجود بأيدى الناس - نفعه الله به -.

وتوفى سنة تسع عشرة وخمسمائة.

ومنهم:

٥ - محمد بن سليمان بن أحمد النفزى[٢]

المعروف بابن أخت غانم، يكنى أبا عبد الله. من أهل مالقة ومن شيوخها الجلة أهل الأدب والرواية والثقة. روى كثيرا من كتب الأدب وغيرها. وعمر واشتهر ورحل الناس إليه من كل بلد وسكن قرطبة مدة وأقرأ بها. وكان لا يأخذ أجرا على القراءة. معظم قراءته على خاله الأديب أبى محمد غانم بن وليد المالقى، وعنه يحمل معظم كتب الأدب واللغات. وكان محققا فيها وذاكرا لها.

روى عنه الأئمة المشاهير كأبى الفضل عياض بن موسى بن عياض،

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٣٣١.

(٢) انظر: الصلة ٥٧٩، البغية للسيوطى ١/ ١١٦.

وأبى القاسم ابن بشكوال، وأبى عبد الله بن معمر، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. وذكره القاضى أبو الفضل فى رجاله فقال: كان شيخا مسنا من شيوخ أهل الأدب والنحو والرواية وجمع الكتب. وأخذ الناس عنه هذين العلمين كثيرا، ودرسهما غيره بغير أجر.

سمع منه كتب الحديث والغريب، وحمل عنه جلة من المشايخ والنبلاء لعلو سنه ومعرفته، وكان أكثر أخذه عن خاله الأديب أبى محمد غانم بن وليد. وسمع أيضا من القاضى أبى بكر بن صاحب الأحباس، وأبى العباس الدلائى، والقاضى أبى إسحاق بن وردون والقاضى أبى الوليد الوقشى، والفقيه أبى المطرف الشعبى، والقاضى أبى بكر السمتانى، وأبى محمد حجاج بن قاسم المامونى السبتى وجماعة غيرهم.

وذكره أيضا أبو القاسم بن بشكوال بنحو ذلك. وتوفى أبو عبد الله بمالقة فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة. ومولده سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

ومنهم:

٦ - محمد بن عبد الرحمن بن سيد بن معمر المذحجى[1]

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله من أهل العلم والفضل والورع. بنى المسجد المنسوب إليه أنفق فيه مالا جما. وهو من أعظم المساجد بناء، ولم يجعل فيه شيئا يسمى باسم حيوان نحو الكلب، وعراس. بل صنع ذلك على غير شكل الكلب تورعا منه. قال أبو القاسم بن بشكوال، وقد ذكره: روى

---

(١) انظر: الصلة ٥٨٧، البغية للضبى ٩٠ رقم ١٩٥.

عن أبى المطرف الشعبى، وأبى عبد الله بن خليفة القاضى. وسمع بقرطبة من أبى بكر المصجفى، وأبى عبد الله بن فرج، وأبى مروان بن سراج، وأبى على الغسانى، وغيرهم. وكان من أهل العلم والفضل والدين والعفاف والتصاون. أخذ الناس عنه، وأجاز لنا ما رواه بخطه.

توفى - رحمه الله - بمالقة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة. انتهى ما ذكره ابن بشكوال.

وحدث عن أبى عبد الله - رحمه الله - الإمام أبو زيد السهيلى، والحافظ أبو عبد الله بن الفخار، وغيرهما من أهل مالقة، وغيرهم. وآخر من حدث عنه بمالقة الخطيب أبو كامل تمام بن الحسين - رحمه الله تعالى -.

ومنهم:

٧ - محمد بن الحسن بن كامل الحضرمى[1]

المعروف بابن الفخار. ويعرف بها، وبصاحب نصف الربص. كان من أعيان مالقة وجلتها وكاتبا بليغا وشاعرا مطبوعا. وانتهى من كثرة المال وسعة الحال إلى ما لم يصل إليه غيره. وذكره الفتح فى كتاب القلائد ووصفه وأثبت له شعرا حسنا.

وكانت بينه وبين بنى حسون منازعة. فخرج فارا عن مالقة خوفا منهم. قال أبو العباس أصبغ فى كتابه: فأجلسوا عليه الرصائد وضيقوا عليه الوصائد، حتى سيق إليهم، وهو مصفد فى الحديد، يرثى له القريب والبعيد. فلم يزل يستعطفهم من السجن. فمن ذلك ما أنشدنى أبو بكر بن

---

(١) انظر: القلائد ٣٠٥، الخريدة٢/ ٣٣٤، التكملة ١/ ٤٤٢.

دحمان - رحمه الله - لأبى عبد الله المذكور، وهو جده لأمه، هذه القصيدة: [الطويل]

أريد بأن ألقاك فى دارك التى ... بها أمن الخواف من نوب الدهر
فيمنعنى عض الحديد وكالح ... إذا رمت باب السجن يدفع فى الصدر
يقول تجلد للحديد وعضه ... ومن ذا الذى يعطى التجلد فى الأسر
فرش لى جناحى واجبر العظم إنه ... مهيض وأنت المرء تعرف بالجبر
وإنى عليها ما حييت لشاكر ... كما عرفت فى المحل عارفة القطر

ومن ذلك قوله: [الكامل]

أنت الكريم وقد ملكت فأسجح ... واغفر فقد عظمت ذنوبى واصفح
لا تلتفت غش الولاة كنصحهم ... فالكاشحون غشاشهم بتنصح
يا حاميا سرج السيادة ممرعا ... بالله عجل إن رأيت تسرحى
واعلم بأنى للعوارف شاكر ... كالهيم تشكر عارفات الأمنح
أشفقت من عض الحديد وروعه ... فى الصدر لم يذهب ولم يتزحزح

ومن ذلك قوله: [البسيط]

ويحسبون بأن الدهر غيركم ... والظن أكذب أين الفضل والكرم
يا حافظ العهد إن خان الرجال به ... ألم تكن بيننا فيما مضى ذمم
وإن توقف عطف أو جفا كرم ... فالطرف يكبو وينبو الصارم الخذم
أبا على وخير القول أصدقه ... دع ما تجيء به الظنات والتهم

تسىء بى الظن والرحمن يشهد لى ... أنى بحبلك بعد الله أعتصم
من غير الود ما بينى وبينكم ... تغيرت عنده الأرزاق والنعم
فلا تطاوع أناسا فى صدورهم ... مع الحسادة نار الحقد تضطرم
من أجل نكسى يرى أن الصلاح به ... أن يظهر الشر مثل الموج يلتطم
فاخفض جناحا وخذ بالعفو ما ظلموا ... لا زلت تعفو ومن عاداك تنتقم
إذا أصابت من الأيام حادثة ... فأنت نور لديه تنجلى الظلم
وإن غدوت خفيف الجسم ضامره ... فالذابلات إليها تجنح البهم
الخيل تسبق إن كانت مضمرة ... والسهم ينحت والصمصام والقلم
فلا تمكن سفيها من إرادته ... فيصبح الرأس تعلو فوقه القدم
شاور أخاك ودع بعض الورى همجا ... أما الذئاب فما ترعى بها الغنم
واشدد يديك بمن صحت مودته ... فليس يدبغ جلد مسه حلم
وقد دعوت إلى إصلاح فاسده ... وما بأذنك عن أمثالها صمم
وسقت بيتا جرى فى دهرنا مثلا ... والشعر فيه ترى الأمثال والحكم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو العباس أصبغ - رحمه الله -: هذه القصيدة كانت سبب عفوهم عنه، والله يغفر للجميع.

ومن شعره - رحمه الله تعالى - يرثى القاضى أبا مروان عبيد الله بن حسون ويعزى ابنيه أبا على، وأبا عبد الله: [البسيط]

أما الدموع فمنها الواكف السرب ... وفى الضلوع ضرام الحزن يلتهب

ما كان هلك أبى مروان عندهم ... إلا الكسوف بها الأعيان تنقلب

صارت له نيرات العين مظلمة ... وعاد كالصاب فى أفواهنا الطرب

فى كل واد ونادٍ من عشائرنا ... انتابه الجد لما مات واللعب

كنا به من خطوب الدهر فى حرم ... والأمن تلحفنا أبراده القشب

وكان رأس المعالى ساميا صعدا ... فطؤطئ الرأس واستعلى به الذنب

يا هضبة هد ركن المجد هدتها ... وحده فل لما فلت الحسب

أقول فيك الذى يعزى لفاطمة ... والقلب حران من فرط الهوى يجب

قد كان بعدك أنباء وهينمة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

العلم والحلم والتقوى وهمته ... فى العدل والبذل ثم الرأى والأدب

ما ضيع الله قوما أنت جارهم ... أبا على وإن طافوا وإن طلبوا

والسهل يصعب مهما كنت راكبه ... فلا تهزنك الأهوال والرعب

وقد حننت أبا عبد الإله لكم ... كما تحن لك الأقلام والكتب

وما اليراع إذا أصبحت تعمله ... إلا تذل له الهندية القضب

تدنو وتبعد والمنات عالية ... كالطرف يوجد فيه الجرى والخبب

وإن حجبت زمانا عن زيارتكم ... فالشمس شمس وإن كانت لها حجب

قلبى سنان تشق الصخر حدته ... ومقولى صارم فى متنه شطب

ولى وفاء لو ان الأرض تعهده ... ما دل فيها لفرع النبعة الغرب

أبى لى الله إلا أن يفضلنى على أناس وإن ذموا وإن جلبوا
وكل قول إذا ما كان مدحكم . وإن أضيف إلى الإسهاب مقتضب
وإن غدا الجسم فى ترب فليس لنا إلا الدعاء بأن تهمى له السحب
فنعم الله حتى الحشر أعظمه وحام فوق ثراه المزن ينسكب

ومن شعره - رحمه الله - يرثى القاضى أبا عبد الله بن خليفة المذكور: [الطويل]

أقضت على القوم الكرام المضاجع وفضت جموع بعده ومدامع
وأصبحت العليا يراع فؤادها وحق لها أن تعتريها الروائع
ألا إنما الدنيا غداة فراقه ككف أبين الخمس منها الأصابع
وكل كريم بعده هاله الأسى وأصبح قد سدت عليه المطالع
شهاب هوى فالعلم أسود حالك ونجم خوى فالخير أغبر شاسع
وطرف كبا والطرف لم يك عاثرا وسيف نبا والسيف أبيض قاطع
فيا لدموع العين غيضت من البكا ويا لحصاة القلب هن الصوادع

وهى طويلة.

وكتب إلى أبى الحسن بن معمر، وكان صديقا له: [الطويل]

إلى كم يجد الحر والدهر يلعب ويبعد عنه الأمن والخوف يقرب
وهل نافعى إن كنت سيفا مصمما إذا لم يكن يلقى بحدى مضرب
أبيتهم والليل كالنقس أسود وأهجمهم والصبح كالطرس أشهب

فلا أنا عما رمت من ذاك مقصر ولا خيل عزمى للمقادير تغلب
أبا حسن سائل لمن شبهد الوغى لئن كنت لم أصبح أهش وأطرب
وأعتنق الأبطال حتى كأنما يعانقنى عنهم من البيض ربرب
وفى كل باب قد ولجت لكيدهم ولكن أمور ليس تقضى فتصعب
فيا أسفا كم قد أبيت بذلة وسيفى ضجيعى والجواد مقرب

وكتب معرضا لأهل بلده: [البسيط]

لو صح عقلك أعط النفس قدوتها ولم تكن منبئا بالحقد والحسد
أما الخليط فقد حلوا بأرضهم وأنت وسط الفيافى من بنى أسد
يا من أتاه معمى ليس يفهمه إن النسيجة من أرائك الفسد
أهون بخطب امرئ حلت بضاعته من النميمة فى أسواقها الكسد
الدين يضرب عنا من يعاندنا ضربا يزايل بين الرأس والجسد
وهل يطيق دفاعا عن جوانبه من حبله موثق فى الجيد من مسد

ورأى يوما ابنا لأحد إخوانه فى بطالة فقال ينهاه: [الوافر]

فديتك أرعنى سمعا فإنى نظمت لك النصيحة فى نظام
ولا يوحشك عتب من محب فإن الطب يذهب بالسقام
وإن العلم تدرسه صغيرا كمثل النقش ثبت فى الرخام
أبوك أبوك دينا لا يبارى وجدك علمه كالبحر طام
وعمك لم يزل مذ كان يسمو إلى العلياء بالهمم السوامى
وأنت فتى كمثل النجم لكن يعز على كونك فى ظلام

وكان جالسا عند القاضى أبى على بن حسون بمالقة فى مجلس أحكامه، وقد حضر جملة من أعيان مالقة، فجاءه رجل فأخبره أن قوما يعرفون ببنى العصيرى من قرية يرفة، وتعرف الآن برذلفة. وبنو العصيرى بها الآن. فأخبروه أنهم سيبوا مواشيهم على غراس وزرع كان له بالقرية المذكورة أو قريبا منها. فتناول إضبارة وكتب فيها: [الكامل]

يا ذا الذى بجماله وكماله ... رد القلوب النافرات أوانسا
بقر العصيرى بقرية يرفة ... رتعت فآذت غارسا أو دارسا
وله رعاة من بنيه خمسة ... أخنوا على شجرى فأصبح يابسا

ودفعها للقاضى، فأمر بهم، فأحضرهم وسجنهم، واشتد عليهم.

وكلفه القاضى ابن حسون أن يذيل له هذا البيت، وأنشده له: [الوافر]

أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح

فقال مرتجلا: [الوافر]

إذا هاجت من الأيام حرب ... فإن جميل رأيكم سلاحى
وإن مالت إلى الراحات نفسى ... فذكرك جنتى وهواك راحى
وقد أصبحت أنشد بيت شعر ... يلوح الغدر فيه كالصباح
أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح

ومن كتبه - رحمه الله - ما كتب به فى حق أحد أصهاره: المفاتحة - أعزك الله - خوض غمار، وضرب قمار، وقد ألأم الشعب، وأرأب الصعب. لكن تنشأ أزمات، وتطرأ لمن لا يرد من القرابات عزمات، يوضع

لها الخد، ويركب فيها الجد ويترك الأهون ويؤخذ الأشد. وإنى اقتضبت هذه الحروف من خطوب تنوب، وحوادث مضلات لا تئوب، وكأنى أنحتها من حجارة الأزارق، وأستنزلها من خلب البوارق، وأسألها عود الشباب المفارق، ورد الليالى الحالكة على المفارق. فناهيك بها عسرة وإضافة، وافتقارا إلى عطائك وفاقة، وحسرة لا ترجو منها الخواطر إفاقة. وفلان كر على القف، ولا يعرف ما فى الخف، قد ركب لجاجته، ولم ير ما حيلة إلا حاجته. ولولا ولاء صادق حثه، وثناء عاطر بثه، وشهادة فى محاسنك استحفظها، ونبذ من محامدك نبذها إلى ولفظها، استحق بها منى إحمادا، واستوجب لمكانها اعتدادا واعتمادا، إلى ما اعترف به من إكمال ناظر، واهتبال خاطر، عمه فضلها، وعمره طولها، ما تمكن لى كتب حرف، ولا تنسمت من إجهاض الحوادث بعرف. والله يشكر إجمالك، ويحمد إخلالك، ويبلغك فى الدارين آمالك بمنه.

وكتب معزيا: أطال الله بقاء السيد المفدى والكريم الأعز الأهدى، وجلاله مأثور، وأجره موفور ومذخور. تأبى الأيام - أدام الله عزتك - إلا أن تفجع بساداتها، وتجرى من اخترامهم على عاداتها. فالحازم من استسر الحوادث قبل أن تحل، وهانت عليه من حيث شملت الكل. وإن مصابك بفلان وإن كان أجل رزء دهمك وأولاه بأن يتقسمك، فمن حقك أن تلهى عن مصابك بالصبر الجميل عن أوصابك.

فقد علمت أن الحزن ما نفع ولا أجدى، ولا استرد فى الدهر سؤددا فقد ولا مجدا.

فإن كان شأن هذا الحادث شمولا، وكل على تلك الأعواد محمولا،

فما لنا لا نبكى أنفسنا وهى أحب، أو نرجع فيمن فقدنا إلى ما أراده الرب. فإنا لله وإنا إليه راجعون عليها مصيبة قدحت ورزية فدحت. وقد يعلم الله أنى ساهمتك مساهمة فؤادك، وأخذت من رزئك ما أخذت من ودادك. وإنى لأتذمم من دهر يعوق، ولا تقضى معه الحقوق، فكان من واجب مرزيتك، أن أعمل قدمى إلى تعزيتك. لكن الذنب للأيام لا لى، وحسبك اليوم ما لك قبلى.

وكتب فى حق المعروف بالزريزير، وكان رجلا حسن الإنشاد يرد على النبهاء فيخف عليهم. ولكتاب العصر فيه كتب مشهورة. منها ما كتب به أبو عبد الله المذكور وهو:

يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

لما كنت - أعزك الله - روضة فى الأدب طيبة الماء والعشب، وغدوت دوحة فى المجد، مورقة بالتهمم مثمرة بالجد، أوشكت طيور الثناء أن تنشر عليك قلاعا، وحامت عصافير الرجاء عليك غطاشا وجياعا، فوجدت بثراك الحب النثير، والماء العذب النمير، فشربت والتقطت وانتفضت وترنمت. ولم ترع بصرصرة الصقور حين غدت فى الماء النمير. فهى مائلة على طى الأجنحة، مثنية عليك بأيدى الفخوخ والأشراك، تتغنى من الطرب، وتتناشد بمخضرة القصب:

فيا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

ولما قطع الآن إليك منها زريزير، له أبدا بالثناء عليك صفير، قص جناحه.

فهو نحوك حاذف، وحسن صباحه، فكل قلب عليه عاطف ؛ رجوت أن تعيده وافر النجاح، صافرا يذكرك فى الغدو والرواح.

وكلامه - رحمه الله - كثير. وتوفى بمالقة فى شهر شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

ومنهم:

٨ - محمد بن عبد الله بن فطيس[1]

يكنى أبا عبد الله. من أهل مالقة كان طبيبا ماهرا وأديبا شاعرا. وكان فى أيام بنى حسون، يخف عليهم ويلج عندهم. وله فيهم أمداح كثيرة.

يحكى أنه دخل يوما على القاضى أبى مروان بن حسون بعد انقطاع عن زيارته، فعتبه القاضى على انقطاعه، فاعتذر له، ثم أنشد: [مخلع البسيط]

يا حـــاملا من عـــلاه تـاجـا ... ومن سنا وجـهـه ســراجـا

لو كـــان زورى عـــديل ودى ... لـكنـت من بـابك الـرتاجـــا

إن لم يعـــرج عليك شـــخـصى ... نفـسى وروحـى عليك عـاجـا

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: [المنسرح]

يـا نـازح الـدار نـائـى الـبـلـد ... وخـــالدا فى الـفـؤاد والخلد

إن قـــدر الله بالـتـقـــائك بى ... لا عـــدث فى البـين آخـر الأبد

وله - رحمه الله تعالى -: [الوافر]

أيا ســرب القـطا ســربى مــروع ... ومن والاه قـد والـى انتـزاحـا

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٢٩٧، الإحاطة ٢/ ٤٤٣.

وبى ظمأ إلى لقياه برح فهل فيكن باذلة جناحا

ومن ذلك قوله: [البسيط]

قالوا به صفرة عابت محاسنه فقلت: ما ذاكم عيب به نزلا

عيناه تطلب من أوتار من قتلت فليس تلقاه إلا خائفا وجلا

وفر عن مالقة لأمور طلب فيها، فاضطر فى غربته إلى بيع ثياب ظهره، فقال: [الطويل]

لعمرك إن بيعت وفى دار غربة ثيابى أن ضاقت على المشاكل

فما أنا إلا السيف يأكل غمده له حلية من نفسه وهو عاطل

وله - رحمه الله تعالى -: [الكامل]

يا من تبسم عن جواهر بارق أهد السلام لمستهام وامق

تأبى على برشف ريقك مرة أولست أحيانا له كالباصق

إن كنت لا تهدى السلام لعلة فاهد السلام مع الخيال الطارق

فلعل طيفك أن يزيل بريهة نار الغرام عن الفؤاد الخافق

وله - رحمه الله تعالى -: [الوافر]

لقاؤكم الذى جلب الفراقا لقاء يشقى بل أشاقا

وكان محببا أبدا لنفسى عناقهم فكره لى العناقا

مضوا وبقيت أسبح فى دموعى بنار الشوق أحترق احتراقا

فلو أنى ظفرت بشخص بين لكنت أذيقه مما أذاقا

وله - رحمه الله تعالى -: [المتقارب]

ولما رأيتك أوليتنى قبيحا وأوليت غيرى جميلا
تسليت عنكم رويدا رويدا فرب السلو قليلا قليلا

وله - رحمه الله تعالى -: [البسيط]

ليت الرياح التى هبت من أرضكم لنحونا خبرتكم بالذى أجد
أما علمتم بأن النار فى كبدى وأن جمر الغضا من حرها تقد
لله طلعتك الغراء لو طلعت للعاشقين بآفاق الورى سجدوا
ولو توضح ذاك البسم واكتحلت جفونهم من عمى الهجران ما رمدوا

وله - رحمه الله تعالى -: [مخلع البسيط]

هل لك أن تونس المشوقا فكل وجد إليه سيقا
يمسى من الحب فى غرام يصبح فى دمعه غريقا
تضنيه حوراء ذات دل كأن فى ثغرها رحيقا
يمنعه خوف كل واش أن يلثم الدر والعقيقا
فليس إلا العيون رسل ترسل من طيفها طروقا
أخذت نفسى على هواها فقال لى القلب لن أفيقا
فرج لمن يرتضيك ركنا إن كنت تعتده صديقا

وشعره - رحمه الله - كثير. وتوفى.....

ومنهم:

٩ - محمد بن الحسن بن عبد العظيم[١]

يكنى أبا عبد الله جليل من جلة مالقة وفقهائها ونبهائها وكبرائها ومن ذوى بيوتها النبيهة. كان فى أيام القاضى أبى على بن حسون أيام كونه قاضيا بمالقة. ومن أعجب ما اتفق له معه أن أهل مالقة تألبوا على ابن حسون، ووقعت بينهم وبينه منازعة، فاتفقوا على الرفع به ليزال عنهم. فخرجوا عن مالقة شاكين به، وخرج معهم ابن عبد العظيم. فأعلم القاضى بحديثهم، فجعل معهم من يتطلع عليهم ويستمع مقالهم من حيث لا يشعر به أحد منهم. فكان ذلك الشخص يعرفه من كل مسافة حلوا فيها بما فعلوا. فكان ابن حسون لا يخفى عليه من أمرهم شيء. فلما كان فى بعض الطريق أخرجوا حوتا وأخذوا يحاولون أمر الغداء. فبينما هم كذلك أخذوا يقعون فى ابن حسون وأسلافه وينسبون القبائح إليهم. فقال لهم ابن عبد العظيم: أما شتمكم لابن حسون فأوافقكم عليه، فإنه عدوى وضرنى. وأما أسلافه فما فعلوا لنا ذنبا، فبأى وجه نتطرق إليهم. والله لا كان هذا بمحضرى أبدا. فامتنعوا عن الوقوع فى سلفه بسبب ابن عبد العظيم. فكتب ذلك الشخص يعرف ابن حسون بذلك، فسره وشكر لابن عبد العظيم قوله. فلم يكن إلا عن قريب ووصل كتاب لابن حسون بأن يفعل بالشاكين به ما رأى، فوصلهم الخبر، وتفرقوا فى البلاد. فخرج ابن عبد العظيم إلى إشبيلية وأقام بها حتى أدركته وحشته إلى أهله ووطنه.

فعزم على الخروج إلى مالقة. فبينما هو داخل على البحر إلى مالقة وقد لبس ثيابا غلفا من حيث لا يشعر به، أخبر القاضى ابن حسون بوصوله.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٤٤٠.

فخرج فلقيه فى الطريق. فكلما عمد ابن حسون إليه تنحى عن الطريق خوفا منه. فما زال به حتى ضمه إلى موضع لم يمكنه الخروج عنه وقال له: أين تذهب، أولست فلانا؟ فلم يمكنه إلا أن سلم عليه، وقال له: سر فى عافية. فمشى ابن عبد العظيم إلى داره.

وبقى يترقب أمر ابن حسون فيه. فلما جن الليل وإذا بالضرب على باب ابن عبد العظيم، فخرج، فقيل له: ابن حسون يستدعيك. فسقط فى يده، ووجع، فودع أهله وسار إليه. فلما دخل عليه قام إليه ابن حسون ورحب به وآنسه بالكلام، وجعل يقول له: سرتم فى خروجكم من موضع كذا، وقلتم فيه كذا، وابن عبد العظيم يتعجب من ذلك، إلى أن قال له: ويوم أكلتم الحوت، أخذ أصحابك فى سب سلفى والوقوع فى أبوى، فمنعتهم. أكذلك كان؟ قال: نعم. فقال له القاضى: فجزاك الله خيرا، وشكرك على فعلك. مثلك من يفعل هذا. وترامى عليه يقبل رأسه ويقول له: بررت أبوى، فوالله لا زلت أبرك ما دمت حيا. ورفع بساطه وأخرج له مائه دينار، وثيابا رفيعة، ومطية عظيمة. وقال له: خذ هذا، ولتلازم مجلسى فى كل يوم.

فذهب ابن عبد العظيم إلى داره مسرورا. فكان القاضى بعد ذلك لا يقطع فى أمر من الأمور إلا بعد مشاورته. وعظمت منزلة ابن عبد العظيم، وفخم ذكره. وبقى كذلك إلى أن توفى - رحمه الله - فى حدود الأربعين وخمسمائة.

ومنهم:

١٠ - محمد بن سماك العاملى[١]

يكنى أبا عبد الله جليل القدر شريف النسب. ولى قضاء مالقة. وكان له بها عقب. ثم انتقل إلى غرناطة. وعقبه بها فى شرف ونباهة إلى الآن. وبمالقة بعض عقبه. وكان قديما من أهل مالقة، وبها كان أسلافه. ثم وقعت بينه وبين بنى حسون منازعة فخرج بسببهم فارا إلى غرناطة، ثم سار إلى مراكش فى أول أمر الموحدين فسكن بها. ومنها ولى قضاء مالقة.

ومنهم:

١١ - محمد بن غالب الرصافى[٢]

أبو عبد الله فحل الشعراء ورئيس الأدباء. أصله من بلنسية، واستوطن مالقة واتخذها دار إقامة إلى أن توفى بها - رحمه الله - يوم الثلاثاء التاسع عشر لشهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة.

وكان - رحمه الله - ساكنا وقورا ذا سمت وعقل. وكان رفاء يعمل بيده، ويقصده رؤساء الكتاب والشعراء يأخذون عنه ويسمعون منه.

وحدثنى الفقيه أبو عمرو بن سالم - رحمه الله - ومن خطه نقلت. قال: حدثنى الوزير الحسيب أبو الحسين شاكر ابن الفقيه الأديب أبى عبد الله بن الفخار المالقى - رحمه الله -، قال: ما رأيت فى عمرى رجلا أحسن سمتا وأطول صمتا من أبى عبد الله الرصافى.

وحدثنى صاحبنا الفقيه أبو عبد الله بن عمار الكاتب بمحضر الأديب أبى على بن كسرى، قال: كان الفقيه أبو عبد الله الرصافى من أعقل الناس وكان

(١) انظر: الذيل ٦/ ٢٣٧، واسمه الكامل: محمد بن عبد الله بن أحمد بن سماك.

(٢) انظر: الإحاطة ٦/ ٥٠٧.

رفاء، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة فى أحد. وكان بإزائه أبو جعفر البلنسى، وكان - رحمه الله - متوقد الخاطر، فربما تكلم مع أحد التجار، فكانت منه هفوة فيقول له: شتان بينك وبين أبى عبد الله فى العقل والصمت. وربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على الضحك. فلما كان فى أحد الأيام جاء ليفتح دكانه، فتعمد أن ألقى الغلق من يده، فوقعت على رأس أبى عبد الله وهو مقبل على شغله، فسال دمه فما زاد على أن قام ومسح الدم، ثم ربط رأسه وعاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر المذكور ترامى عليه وجعل يقبل يديه، ويقول: والله ما سمعت برجل أصبر ولا أعقل منك. والله لقد تعمدت ذلك، وهو يضحك ويقول: بارك الله فيك وغفر لك.

قال أبو عمرو - رحمه الله -: لقيت الفقيه أبا عبد الله الرصافى - رحمه الله - غير مرة. وكان صاحبا لأبى. وكان له موضع يخرج إليه فى فصل العصير، فكنت أجتاز عليه فى أكثر الأيام مع أبى - رضى الله عنه -، فألثم يده. فربما قبل رأسى ودعا لى. وكان أبى يسأله الدعاء فيخجل ويقول: أنا والله أحقر من ذلك. وكان من أعقل الناس وأحسنهم خلقا وخلقا. وكان - رحمه الله - أديبا بليغا متصرفا. وشعره مجموع بأيدى الناس. حدثنى به الفقيه الأديب أبو عمرو عن الأديب أبى على بن كسرى سماعا من لفظه، وقراءة عليه، عن أبى عبد الله بن الرصافى، وعن الأستاذ أبى عبد الله بن الحجارى عن أبى عبد الله بن الرصافى. وأقيد منه إن شاء الله جملة يتذكر بها إن شاء الله. من ذلك قصيدته المشهورة فى الخليفة عبد المؤمن بن على، أنشده إياها بجبل الفتح عند إجازته إلى الأندلس. وهى مما سمعه أبو على بن كسرى من لفظه - رحمه الله تعالى -، وهى: [البسيط]

لو جئت نار الهدى من جانب الطور ... قبست ما شئت من علم ومن نور

من كل زهراء لم ترفع ذؤابتها ... ليلا لسار ولم تشبب لمقرور

فضية القدح من نور النبوة أو ... نور الكرامة تجلو ظلمة الزور

ما زال يقضمها التقوى بموقدها ... صوام هاجرة قوام ديجور

حتى أضاءت من الإيمان عن قبس ... قد كان تحت رماد الكفر مكفور

نور طوى الله زند الكون منه على ... سقط إلى زمن المهدى مذخور

وآية كإياة الشمس بين يدى ... غزو على الملك القيسى منذور

يا دار دار أمير المؤمنين بسفح ... الطود طود العلى بوركت فى الدور

ذات العمادين من عز ومملكة ... على الأساسين من قدس وتطهير

ما كان بانيك بالوانى الكرامة عن ... قصر على مجمع البحرين مقصور

مواطئ من نبى طال ما وصلت ... فيها الخطى بين تسبيح وتكبير

حيث استقلت به نعلاه بوركتا ... فطيبت كل موطوء ومعبور

وحيث قامت قناة الدين ترفل فى ... لواء نصر على البرين منشور

فى كف منشمر البردين ذى ورع ... على التقى وصفاء النفس مفطور

يلقاك فى الحال غيب من سريرته ... بعالم القدس مشهود ومحضور

تسنم الفلك من شط المجاز وقد ... نودين يا خير أفلاك العلى سيرى

فسرن يحملن أمر الله من ملك ... بالله منتصر فى الله منصور

تومى له بسجود كل تحركة ... منها ويوليه حمدا كل تصدير

لما تسابقن فى بحر الزقاق به ... تركن شطيه فى شك وتحييـر

أهز من موجه أثناء مسرور ... أم خاض من لجه أحشاء مذعور

كأنه سالك منه على وشل ... فى الأرض من مهج الأسياف مقطور

من السيوف التى دانت لسطوته ... وقد رمى نار هيجاها بتسعير

ذو المنشآت الجوارى فى أجرتها ... شكل الغدائر فى سدل وتضفير

أهدى المياه وأنفاس الرياح لها ... ما فى سجاياه من لين وتعطير

من كل عذراء حبلى فى ترائبها ... ردعان من عنبر ورد وكافور

تخالها بين أيد من مجاذفها ... يغرقن فى مثل ماء الورد من جور

وربما خاضت التيار طائرة ... بمثل أجنحة الفستخ الكواسير

كأنها عبرت تختال عائمة ... فى زاخر من ندى يمناه معصور

حتى رمت جبل الفتحين من كثب ... يساطع من سناه غير مبهور

لله ما جبل الفتحين من جبل ... معظم القدر فى الأجبال مذكور

من شامخ الأنف فى سحنائه طلس ... له من الغيم جيب غير مزروز

معبرا من ذاره عن ذرى ملك ... مستمطر الكف والأكناف ممطور

تمسى النجوم على إكليل مفرقه ... فى الجو حائمة مثل الدنانير

وربما مسحته من ذوائبها ... بكل فضل على فوديه مجرور

وأدرد من ثناياه بما أخذت ... منه مباعاجم أعواد الدهاريز

محنك حلب الأيام أشطرها ... وساقها سوق حادى العير للعير

مقيد الخطو جوال الخواطر فى ... عجيب أمريه من ماض ومنظور
قد واصل الصمت والإطراق مفتكرا ... بادى السكينة مغفر الأسارير
كأنه مكبد مما تعبده ... خوف الوعيدين من دك وتسيير
أخلق به وجبال الأرض راجفة ... أن تطمئن غدا من كل محذور
كفاه فضلا أن انتابت مواطئه ... نعلا مليك كريم السعى مشكور
مستنشقا بهما ريح الشفاعة من ... ثرى إمام بأقصى الغرب مقبور
ما انفك آمل أمر منه بين يدى ... يوم القيامة محتوم ومقدور
حتى تصدى من الدنيا على زمن ... يستنجز الوعد قبل النفخ فى الصور
مستقبل الجانب الغربى مرتقبا ... كأنه باهت فى جو أسمير
لبارق من حسام سله قدر ... بالغرب من أفق البيض المشاهير
إذا تألق قيسيا أهاب به ... إلى شفا من مضاع الدين موتور

ومنها:

ملك أتى عظما فوق الزمان فما ... يمر منه بشىء غير محقور
ما عن فى الدين والدنيا له أرب ... إلا تأتى له من غير تعذير
ولا رمى من أمانيه إلى غرض ... إلا هدى سهمه نجح المقادير
حتى كأن له فى كل آونة ... سلطان رق على الدنيا وتسخير
مميز الجيش ملتفا مواكبه ... من كل مثلول عرش الملك مقهور
من الألى خضعوا قهرا له وعنوا ... لأمره بين منهى ومأمور

من بعد ما عاندوا دهرا فما تركوا ... إذ أمكن العفو ميسورا لمعسور
بقية الحرب فاتوها وما بهم ... في الطعن والضرب سيماء لتقصير

ومنها:

لا ينكر القوم مما في أكفهم ... بيض مفاليل أو سمر مكاسير
إذا صدعت بأمر الله مجتهدا ... ضربت وحدك أعناق الجماهير
لا يذهلن لتقليل أخو سبب ... من الأمور ولا يركن لتكثير
فالبحر قد عاد من ضرب العصا يبسا ... والأرض قد غرقت من فور تنور
وإنما هو سيف الله قلده ... أقوى الهداة يدا في دفع محذور
فإن يكن بيد المهدى قائمه ... فموضع الحد منه جد مشهور
والشمس إن ذكرت موسى فما نسيت ... فتاه يوشع قماع الجبابير

وله - رحمه الله - يمدح أبا سعيد السيد: [البسيط]

من عاند الحق لم يعضده برهان ... وللهدى حجة تعلو وسلطان
ما يظهر الله من آياته فعلى ... أتم حال وصنع الله إتقان
من لم ير الشمس لم يحصل لناظره ... بين النهار وبين الليل فرقان
الحمد لله حمد العارفين به ... قد نور القلب إسلام وإيمان
عقل وثابت حسن يقضيان معا ... للأمر إن سراج الأمر عثمان
السيد المتعالى كنه سؤدده ... عما تأول ألباب وأذهان
من زار حضرته العليا رأى عجبا ... الملك في الأرض والإيوان كيوان

كنا إلى الملأ الأعلين ننسبه ... لو ناسب الملأ العلوى إنسان

كأنما يتعاطى فصل منطقه ... عند التكلم لقمان وسحبان

يغضى عن الذنب عفوا وهو مقتدر ... ويترك البطش حلما وهو غضبان

فطنة من وراء الغيب صادقة ... منها على فضلها فى الحكم عنوان

مزية ما أراها قبله حصلت ... لواحد من ملوك الأرض مذ كانوا

أستغفر الله إلا قصبة سلفت ... قد كان قيمها يوما سليمان

ومنها:

سار من النقع فى ظلماء فاحمة ... والشهب فى أفق المران خرصان

ومغتد ومن الخطى فى يده ... عصا تلقف منها الجيش ثعبان

ومنها:

غرناطة شغفت حبا ومنك لها ... بالحل وصل وبالترحال هجران

مولاى ماذا عليها مذ حللت بها ... فى أن يغاربها ناس وبلدان

إذا تذكرت أوطانا سكنت بها ... فلا يكن منك للأضلاع نسيان

وهى طويلة. ومن شعره - رحمه الله -: [الطويل]

خليلى ما للبيد عبقت نشرا ... وما لرءوس الركب قد رجحت سكرا

هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا ... أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا

أكل مكان راح فى الأرض مسقطا ... لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا

ولا مثل مدحو من المسك تربة ... تملى الصبا فيه حقيبتها عطرا

نبـات كـأن الخـز يحـمل نوره تخـال لجـينا فـى أعـاليـه أو تبـرا
ومـاء كـترصـيع المجـرة جللت نواحـيـه الأزهار واشـتـبكت زهرا
أنيق كـريان الحـيـاة الـتى خلت طليق كـريعـان الشبـاب الذى مـرا
وقالوا هل الفـردوس ما قد علمـته فقلت وها الفردوس فى الجنة الأخرى
بلنسـيـة تلك الزبـرجـدة التى تسـيل عليـهـا كل لؤلؤة نهـرا
كـأن عـروسـا أبـدع الله حـسنهـا فصيـر من شرخ الشباب لهـا عمرا
يؤبد فـيهـا شـعشـعـانية الضـحى مضـاحكة الشمـس المنيرة والبـحرا
تزاحـم أنفـاس الـرياح بزهـرها رجـوما فـلا شـيطان يقـربها ذعـرا

وكتب إليه أبو بكر الكتندى - رحمه الله تعالى -: [الطويل]

أعنـدكم يـا سـاكـن الود أنـكم بمرأى على بعد المسافات من حمص
أتقـضى الـليـالى أن تلـم بمنزل ألفتـاه مـا بـين الأراكـة والدعص
وإنى حـريص أن يعـود بما مـضى زمان وما حرص المقادير من حرصى

فجاوبه - رحمه الله -: [الطويل]

سـلام أبا بكـر عليك ورحـمـة تحـيـة صدق من أخ لك مـختص
لعـمرى وما أدرى بـصدع زجـاجة عليك فـقد تدنى الليالى لـما تقصى
لقـد بان عنى يوم ودعت صـاحبـا برىء أسـاليب الوداد من الـنقص
أقول لنفـسى حين طارت بك النوى أخوك فريشى من جناحك أو قصى
فـبـاتت على ظهـر النـزوع إليكم تطيـر بما فى الوكر أجنحـة الحرص

إلى كم أبا بكر نحوم بأنفس ظماء إلى عهد الأجيرع أو حمص
كأن لم تزر تلك الربا وكأنها عرائس تزهى بالمواشيط .لا القص
ولا رنقت تلك الأراكة فوقنا فلوت إزار الظل فى كفل الدعص
وكانت لنا فيما هناك مآرب تطيع الهوى العذرى فينا ولا تعصى
ليالينا بالرى والعيش صالح وظلك عنها غير منتقل الشخص
وما ذكرها لولا شفا من علالة تتبعها نفسى تتبع مستقص
وددت أبا بكر لو انى عالم وللكون زند ليس يقدح بالحرص
هل الغيب يوما فارج لى بابه فأنظر منه كيف أنسك فى حمص
بأزرق سلال الحسام وقد بدا يداعب فى كأس تحرك للرقص
وما معصم ريان دار سواره على مثل ماء الدر فى بشر رخص
بأبهج منه فى العيون إذا بدا ولا سيما والشمس جانحة القرص
خليج كخيط الفجر ينجر فوقه ذيول عشيات مزخرفة القمص

وله يصف الدولاب: [مخلع البسيط]

وذى حنين يكاد شجوا يختلس الأنفس اختلاسا
إذا غدا للرياض جارا قال له المحل لا مساسا
يبتسم الزهر حين يبكى بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا صار له غمده رياسا

وله - رحمه الله - يصف جدول ماء عليه سرحة: [الكامل]

ومهدل الشطين تحسب أنه ... متسيل من درة لصفائه

فاءت عليه مع الهجيرة سرحة ... صدئت لصفحتها صفيحة مائه

فتراه أزرق فى غلالة سمرة ... كالدارع استلقى لظل لوائه

وله - رحمه الله - فى صبى يظهر البكاء تباكيا: [الطويل]

عذيرى من جذلان يبدى كآبة ... وأضلعه مما يحاوله صفر

أميلد مياس إذا قاده الصبا ... إلى ملح الإدلال أيده السحر

يبل مآقى زهرتيه بريقه ... ويحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهر

أيوهم أن الدمع بل جفونه ... وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وله - رحمه الله - فى تفاحة: [مخلع البسيط]

تفاحة أهديت إليه ... حمراء فى لون وجنتيه

هم بتقبيلها فزارت ... فاه على رغم مقلتيه

بالله يا زهر محجريه ... دعنى أسل آس عارضيه

لم باكرت أقحوان فيه ... بقرع باب المنى عليه

لعله قد أعار يوما ... نكهتها طيب مرشفيه

فباكرته على حياء ... تصرف أنفاسه إليه

وله فى حائك وسيم: [البسيط]

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى ... لو لم تهم بمذال القدر مبتذل

فقلت لو أن أمرى فى الصبابة لى ... لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى

فى كل قلب غريزات مدللة للحسن والحسن ملك حيث حل ولى

علقته حبى الشعر عاطره درى لون المحيا أكحل المقل

إذا تأملته أعطاك ملتفتا ما شئت من لحظات الشاذن الغزل

هيهات أبغى سواه فى الهوى بدلا أجدى الليالى وهل فى الحب من بدل

إذا يعاب عليه شغل راحته من يحسن الفرق بين الحل والعطل

غزيل لم تزل فى الغزل جائلة بنانه جولان الفكر بالغزل

جذلان تلعب بالمحواك أنمله على السدى لعب الأيام بالأمل

ما إن ينى تعب الأطراف مشتغلا أفديه من تعب الأطراف مشتغل

جذبا بكفيه أو فحصا بأنمله تخبط الظبى فى أشراك مختبل

وله - رحمه الله - فى فتى صفار: [الطويل]

تعلم صفارا فقلت استعارها غداة رنا من صفرة العاشق الضب

يعود النحاس الأحمر اللون عسجدا بكفيه عند السبك والمد والضرب

فحمرته مشتقة من حيائه وصفرته مما يخاف من العتب

وله - رحمه الله - فى مثله: [الوافر]

ولم أر مثل صفار تصدى كما صدئ الصقيل من السيوف

غدا يعطو بأنملتى حديد عيون القطر كالذهب الشريف

إذا ما النار مجتهبا إليه كمثل الخمر رائعة الحفوف

تلألأ نورها فخبا سناها كما ظهر القوى على الضعيف

وإلا مـــا لهـــا تزداد ســـودا كـأن شـمـوسـهـا قطع الكسـوف

وله - رحمه الله - فى فتى نجار: [الطويل]

يقـولون لى يومـا وقـد عن حـائرا كـما عن ظبى السـرب يتبع السـربا

تعـلم نجـــارا فـــنقلـت لعـله تعلمـــهـا من نجـر مـقلتـه الـقلبـا

شـــقـاوة أعـــواد تولى عـذابهـــا فـــآونة قطـعـــا وآونة ضـــربا

غـدت خـشبـا يجنى ثمـار ذنوبهـا بما استرقـت من لين معطفها قـضبا

وله - رحمه الله تعالى -: [الكامل]

نشـوان ما فـوق الكثيب مـهفـهف تثنيـه فـى روض الشـبـاب رياحـه

ليـل كلمـــتـــه لو أن ظلامـــه ينشـق عن ديجـوره إصـبـاحـــه

هبنى أقـول لهـم جنى مـتـعـمـدا قـتلـى فـأين دمى وأين سـلاحـه

وله من قطعة يصف خطا فى كاغد مقطوع بمقص: [الطويل]

بعيشك هل أبصـرت من قبل أحرفا كـتـبن بماء الحسن فـى طرر الزهر

سـحـاءة قرطاس تثـنها كـمـا ترى ملاعـبة المقـراض سطرا على سطر

أليس عـجـيبـا أن يعـوض كـاتب بكافوره القـرطاس عن مسكة الحـبر

وله من قصيدة يصف بها إجازة الخليفة البحر: [البسيط]

خـفضـتم للمـعـالى نحـو أندلس أعنـة الماء بيـن الفلـك والفـــرس

وأخجل البـحر إن لم يحل مـشربه وإن غـــدا عنبـــرى اللون والـنفس

وله يصف نهرا قل ماؤه: [الكامل]

فتوالت الأمحال تنقصه حتى غدا كذؤابة النجم

وله فى معذر: [الكامل]

أقوى محل من شبابك آهل فأقمت أندب منه رسما عافيا

مثل العذار هناك نؤى داثر واسودت الخيلان فيه أثافيا

وحدثنى الفقيه الأديب أبو عمرو، قال: حدثنا الفقيه الكاتب أبو على بن كسرى، قال: كنت كثيرا ما أقعد عند الفقيه الأستاذ أبى عبد الله الرصافى - رحمه الله - على جهة التبرك بأخباره والاقتباس من أنواره، وأنا إذ ذاك فى حال الشبيبة، فسنح خاطرى بأبيات شعر، فكتبتها فى لوح وعرضتها عليه، ولم أذكر له قائلها.

فعرف الأمر وأخذ القلم من يدى وأزال ثوبا كان فى يده، وكتب على البديهة: [مجزوء الخفيف]

اجعل العلم أولا واجعل الشعر آخرا

فإذا ما فعلت ذا كنت لا شك شاعرا

قال: فوقعت كلمته فى أذنى فلازمت القراءة فانتفعت، والحمد لله.

ووجدت بخط الفقيه الأديب أبى عمرو بن سالم - رحمه الله -، قال: وجدت بخط شيخنا أبى عمرو بن عبد ربه، قال: أنشدنى بعض الأصحاب لأبى عبد الله الرصافى - رحمه الله - فى فتى رفاء من أهل تلمسان يعرف بابن موارة مما ارتجله فيه: [الخفيف]

وبنفسى من لا أسميه إلا بعض إلمامة وبعض إشاره

هو والظبى فى الجمال سواء ما استفاد الغزال منه استعاره

أغـيـد يمـسك الحـرير بفـيـه مثل مـا يمـسك الغـزال العـراره

مـا بـقلبى حـوته منه ضـلوعى كـالرداء انطوى وفـيـه شـراره

داره القلـب وهو يحـتل أخـرى قـدس الله حـيث مـا حل داره

وله - رحمه الله - فى قلم نظما ونثرا من مقامة: [المتقارب]

قـصـيـر الأنابيب لكـنه يطول مـضـاء كطول الـرمـاح

إذا عـب لـلـنـفس فـى دامـس ودب من الطرس فـوق الصـفـاح

تجلـت له مـشكـلات الأمـور ولان له الصـعب بعـد الجـمـاح

فلولاه لغـدت أغـصان الاكـتـسـاب ذاوية، وبيوت الأمـوال خـاوية، وأسرعت إليه البـؤسى، وأصبحت كفؤاد أم مـوسى، فهو لا محالة مـتجرها الأربح، وميزانهـا الأرجح. به تدر ألبانها، وتثمـر أفنانها، ويستمر أفـضالها وإحـسـانها. هو رأس مالهـا، وقطب عمالها وأعـمالها، وصـاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها، وتحكم في طيها ونشرها. وهو قطب مدارها، وجهينة أخبارها، وسر اختـيارها واختبارها، ومظهر مجدها وفـخارها. يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من المبرة كل صافية المنهل ضـافية السربال، يطفئ جمرة الحرب العـوان، ويكابد العدو بلا صـارم ولا سنان. يفل المفاصل، ويـتخلل الأباطح والمعاقل، ويقمع الجواسد والعواذل.

وشعره - رحمه الله - كثير مدون. وسأذكر منه قطعة فى باب موسى، وفى مراثى ابن أبى العباس.

ومنهم:

١٢ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن أبى العافية الأزدى[١]

المعروف بالكتندى، يكنى أبا بكر، من أهل غرناطة، وسكن مالقة مدة. وكان كاتبا لبعض ولاتها، وتردد عليها. وكان صاحبا لأبى عبد الله الرصافى، ولأبى على بن كسرى، وبينهم بمالقة مقامات أدبية ومجالس شعرية وارتجالات نبيهة.

وكان أبو بكر هذا من أهل الأدب البارع والنظم الفائق. وذكرته، وإن لم يكن من أهل مالقة لسكناه بها، وما بينه وبين أدبائها... فمن شعره - رحمه الله - ما حدثنى به الفقيه أبو القاسم بن عبد الواحد - رحمه الله -، وذلك فى قوله يصف صفيحة نحاس عليها أسود نحاس أربعة: [مخلع البسيط]

انظر إلى الماء وانصبابه ... يجرى من افواه أسد غابه
أزرق ينساب ذا حباب ... كأنه الأيم فى انسيابه
فاعجب لمرأى يروع لكن ... قد زاد أنسا محلنا به
من كل ليث إزاء ليث ... يمج رقطاء من لعابه
أمنك من أنف ذى وفيها ... آمن من ظفر ذا ونابه

---

(١) الذيل ٦/ ٣٤٩.

وقوله: [الكامل]

ومهفهف هز الحسام وربما . فلت لواحظه مضارب حده

حيى فبالغ فى تحيته وقد أبدى الحياء توردا فى خده

فسألت ما هذا فقال مجاوبا أنسيت نيسانا ويانع ورده

لا تنكروه فمن دم أهريقه بلحاظ من ساورت منه بوده

الورد خدى والمهند ناظرى ودم المحب هدية من عنده

وقوله - رحمه الله -، قال شيخنا أبو القاسم: وهو مما ارتجل فيه: [البسيط]

يا نخبة الظرف بل يا نخبة الأدب هل للهوى غير ذاك الحسن من سبب

البدر أطلعت من قد على غصن متى ظفرت بأفلاك من القضب

وقوله - رحمه الله - فى النارنج: [السريع]

انظر إلى النارنج مستغربا فما على إغرابه من مزيد

ألفت الضدين أشجارها وذاك من أغرب ما فى الوجود

وقوله - رحمه الله -: [الوافر]

لأمر ما بكيت وهاج شوقى . وقد سجعت على الأيك الحمام

لأن بياضها كبياض شيبى فمعنى شذوها قرب الحمام

ومن شعره ما حدثنى الأديب أبو عمرو بن سالم عن الأديب أبى على بن كسرى عنه، وهو قوله - رحمه الله تعالى -: [مخلع البسيط]

يا ســـرحـــة الحى يا مـطول شـــــرح الـذى بـيـنـنـا يطـول
عندى مـقـــال فـهل مـقـام تصـــغـين فـيـه لـمـا أقـول
ولـى ديـون عـلـيـك حـلـت لـو انـه يـنـفـع الحـلـول
مـاض من العـيش كـان فـيـه مـلـبـــــسنـا ظـلك الـظـلـيـل
زال ومـــاذا عـلـيـــه مـــاذا يـا ســـرح لـو لم يـكن يـزول

وقوله - رحمه الله - فى الزهد: [البسيط]

أنت الغـنى وإن الفـقـر برح بى فـأغننى بالغنى المـغنى عن الوصب
إن تدركنى برحـمى لم أخف دركـا وإن تكلنى إلى نفـسى فـيـا نشبى

وحدثنى الأديب أبو على بن كسرى، قال: دخلت يوما بستان الوزير أبى عمران بن مرزوق، فوجدت أبا بكر الكتندى، وفى يده إناء قد ملأه ماء، وهو يسقى به أصل بهار قد ظهرت فيه نوارة فى غير أوانها، فعجبت من كلفه بها. فقلت: هل حضـرك شىء فيها؟ فأطرق ساعـة ثم أنشدنى - رحمه الله -: [مخلع البسيط]

وحـــــقكم إنـه بهـــــار يوجـب أن تصـــبح العـــقـــار
عـــــزه تشـــــرين أي يـوم إليـــــه من حـــــسنه يشـــار
بعـد احـتـجـاب وطول عـهـد أبدى فـــمـــا خـده البـــهـــار
فى روضـــة ســـال كل شـــرب منهـــا كـمـــا تنتـضى الشـفـار
ســقـيت وســمـيـة هـمـوعـا يا روضـــة حـــشـهـــا ابتكار

قال الأديب أبو على: ثم اتفق أن دخلت البستان المذكور فى أول البهار فكتب إلى أبى بكر الكتندى - رحمه الله -: [مخلع البسيط]

يا مولعا بالبهار زرنا ... فروضنا زاره البهار

وانشط إلى قهوة أرتنا ... شمس نهار ولا نهار

فى روضة إن حللت فيها ... حل بها الأنس والوقار

باكر أبا بكر المفدى ... كأسا وزهرا له ابتكار

راق سناه العيون لما ... واسط مبيضه اصفرار

كأنه كأسنا المدار ... فذا زجاج وذا عقار

يبسم ثغر الرياض منه ... عن درر حشوها نضار

قال أبو على: فلم ألبث إلا يسيرا حتى سمعنا صوته وهو يقول:

ها أنا بالباب عبد قن ... أتى به طيفك الهنى

قال أبو على بن كسرى: كنت فى أحد الأيام قد فارقت الأديب أبا بكر الكتندى على أن أجتمع معه عشى ذلك اليوم فى البستان المذكور. ثم اتفق أن خرجت مع جملة أصحاب، وتركت أبا بكر المذكور. فأعلم بجمعنا فكتب إلى: [مخلع البسيط]

يا مولما قد ألام عنا ... لم يثن قوما إلى مزاره

جدت له من دمى بمزن ... وضن بالرشف من قراره

جنته أزلفت لغيرى ... وبرزت لى جحيم ناره

وقال أبو على: فلما قرأت البطاقة خجلت، وخجل من كان معى من الفتيان، فكتبت إليه: [مخلع البسيط]

يا لائمًا قد ألام لما ... أجريت فعلى على اختياره

فرق ما بيننا اجتماع ... أشفقت منه على وقاره

لما اضطررنا له ولكن ... لا عذر للمرء فى اضطراره

وحدثنى الأديب أبو عمرو قال: أنشدنا أبو الحسن الوقشى، قال: أنشدنا أبو بكر الكتندى، وأمر أن تكتب على قبره - رحمه الله -: [المديد]

حى قبرا بالبقيع حوى ... ذا اغتراب حط أرحله

جد فى تسياره وجرى ... طلقا ما شاء أطوله

فهو قد ألقى عصاه ولم ... يدخر إلا توكله

وله - رحمة الله عليه -: [البسيط]

إلى أبى القاسم المختار من مضر ... حنت له الجذع قبلى فاز بالكرم

أنام ملء جفونى لا يمثل لى ... فى نومة فكأن العين لم تنم

فالنفس فى يأسها منكم مولهة ... ليست من الأمل الأسنى على أمم

كم رمتها يا رسول الله مرتبة ... لو كنت آمل أن ألقاك فى الحلم

وشعره - رحمه الله - كثير.

ومنهم:

١٣ - محمد بن عيسى بن محمد بن زنون

يكنى أبا عبد الله، من أهل مالقة. كان - رحمه الله - من أهل الفقه والمعرفة بالوثائق، سريع القلم سهل الألفاظ، مشتغلا بصنعه التوثيق. وكان - رحمه الله - مسارعا إلى الخير، حافظا لكتاب الله - عز وجل -، مداوما عليه، قائما، كثير المعروف والصدقة. وكان الفقيه الزاهد أبو الحجاج ابن الشيخ - رحمه الله - صاحبا له، وكثيرا ما كان يوجه له المساكين والفقراء، فيرفدهم ويقضى حوائجهم. وتوفى - رحمه الله - فى حدود الثمانين وخمسمائة.

ورثاه الفقيه الزاهد الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على - رحمه الله - برثاء. منه: [مجزوء الكامل]

إيه بنيه وأهله ... حاشاكم مما يشين

أنتم عيون للورى ... ولسوف ترمقكم عيون

كى تقتدى بكم وبالحركات ... منكم والسكون

فارضوا وإلا فاصبروا ... فالصبر أحسن ما يكون

لا تبطلوا أعمالكم ... لا تخسروا العلق الثمين

فشهادتى أن كان ميتكم ... أخا فضل ودين

وقد كان الأستاذ أبو على ذكره إلى أهل سبتة فى رسالته فقال فيه: ذكى يزرى فى ذكائه بإياس، وفقيه يعد بما عنده من الفقهاء الأكياس. وهو ممن نال بدهائه ظهورا على أمثاله ورياسة، واستقر عنده علم ما يوصله إلى مآربه

وسياسة. ينادى باسمه من التخ عليه أمره ويهتف، لأنه يعلم من حيث تؤكل الكتف. رأس فى صناعة التوثيق حتى نال من نفعها أوفى نصيب، وورد موردها العذب ورتع فى مربعها الخصيب.

ومنهم:

١٤ - محمد بن عبد الله بن ذمام[1]

يكنى أبا عبد الله.. كان شيخا جليلا من أهل القضل والدين. وكان أستاذاً فى الأدب والنحو والعروض، وكان ساكنا ببلش، ثم انتقل إلى مالقة. حدث عنه الأديب أبو عمرو بن سالم وغيره. وكان مداعبا مليح النادرة.

وحدثنى أبو عمرو - رحمه الله - قال: جئته يوما للقراءة عليه، فطرقت الباب، فقال: من؟ قلت: سالم، فقال: ما أظن. ثم أذن فى الدخول، فدخلت عليه وهو يضحك.

وحدثنى الأديب أبو عمرو أيضا قال: لشيخنا الأستاذ أبى عبد الله بن ذمام - رحمه الله - أبيات قالها عند موته - عفا الله عنه -، قال: أنشدناها صاحبنا الفقيه ولده أبو محمد، وأخوه أبو الحجاج، والتزم فيها ما تراه: [الخفيف]

كيف أرجو من المنون خلاصا ... وأرى من صحبت صار دفينا

وأرى الناس ينقلون سراعا ... كل يوم إليهم مردفينا

سربلوا اليوم بينهم سابغات ... فتراهم إذا اغتدوا مغدفينا

قد أصابتهم سهام المنايا ... وسترمى السهام لا بد فينا

---

(١) الذيل ٦/ ٢٧٩.

وتوفى رحمه الله . . . .

ومنهم:

١٥ - محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصارى[١]

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الفخار. من أهل مالقة، الحافظ الإمام. كان - رحمه الله - حافظا للحديث وأسماء الرجال، وكان فقيها ذاكرا. قال شيخنا أبو جعفر بن عبد المجيد: كان أبو عبد الله - رحمه الله - حسن الخلق، حسن الملاقاة، كثير الذكر مع دعابة كانت فيه.

ووصفه شيخنا أبو على - رحمه الله - فى رسالته إلى أهل سبتة، فقال: صقل أيام شبيبته وكهولته صوارم الاجتهاد وشحذ مداه، حتى طبق مفصل الحمل وأدرك من العلم غايته وبلغ مداه. فقيد بخطه من العلم شوارده، وثقفها حتى حمد الغادى والرائح مصادره وموارده، فرأس بعد ما درس، وأحيى بمعرفته ما ذهب من العلم ودرس. وقد عول عليه فى مشورته وفتاويه، فليس أحد من نظرائه يجاريه ولا يساويه. بذ أقرانه فى حفظ المتون والنصوص، فهو فذ على العموم والخصوص.

وأما طرق الحديث ومعرفة رجاله، فليس أحد يتصرف فيها تصرفه ولا يجول كمجاله. قد أتقن ذلك الباب وأحكم طرائقه، وتربى بمحاسن جمة وآداب رائقة.

وكان - رحمه الله - فى أول أمره يعقد الوثائق بمالقة. وكان مع ذلك لا يفتر عن الدرس والنظر. ويحكى عنه أنه كان أيام الفتنه بمالقة ربما طلب

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ ١٣٥٥، الذيل ٦/ ٨٧.

بالمبيت فى السور أو نحو ذلك مما يجمع الناس إليه، فكان لا يفارق كتابه ولا يفتر عن درس دولته.

ولم يزل على اجتهاده وهو إمام يرحل إليه حتى توفى - رحمه الله -.

وكان قد وظف على نفسه وظائف من الكتب التى كان يحفظ. يستظهرها حتى يختمها.

وحدثنى الطبيب أبو محمد بن الفخار، وهو قريبه، قال: سافرت مع خالى أبى عبد الله من مالقة إلى مراكش حين استدعى إليها، وكان ذلك فى فصل الشتاء، وصادفنا الأمطار والأوحال، فكان مع ذلك لا يفتر عن القراءة ليلا ولا نهارا، مستظهرا من حفظه. وسمعته وقد ختم ودعا، فتوهمت أنه ختم القرآن, فكلمته فى ذلك، فقال: ختمت كتاب الموطأ.

ولد - رحمه الله - فى التاسع من رجب عام أحد عشر وخمسمائة. واستدعاه أمير المؤمنين المنصور أبو يوسف إلى حضرة مراكش فى عام ثمانين وخمسمائة. وتوفى بمراكش فى السابع عشر من شعبان المكرم سنة تسعين وخمسمائة.

حدث - رحمه الله - عن الأستاذ أبى مروان بن محمد، وعن الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الغفور، وعن الفقيه الزاهد أبى عبد الله بن معمر، وعن أبى مروان بن مسرة، وعن الإمام أبى بكر بن العربى، وعن الشريف أبى عبد الله القرشى المروانى، وعن الأستاذ أبى محمد بن فائز، وعن غيرهم. حسبما تضمنه برنامج روايته. وحدث عنه شيوخنا - رحمهم الله - وجماعة من أصحابنا. وقد أخبرنى بعض أصحاب خالى أبى الحسن - رحمه الله - أن خالى - رحمه الله - كان قد استجازه لى فى آخرين ممن أدركتهم ولادتى

فأجازونى. ولكن لم أقف على ذلك، فلم أسامح نفسى فى الرواية بهذه الإجازة.

وكان - رحمه الله - كثيرا ما يملى فى مجالسه من حفظه الحكايات الأدبية والأمثال العربية والأشعار.

قرأت على شيخنا الأستاذ أبى على بن عبد المجيد - رحمه الله -، قال: جدثنا الحافظ أبو عبد الله قال: حدثنى الفقيه أبو عبد الله بن معمر، عن الفقيه القاضى أبى عبد الله بن خليفة، عن العذرى، عن أبى عمرو عثمان بن أبى بكر الصدفى، قال: حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن الحسن، قال: أنشدنا أبو حاتم: [البسيط]

اليأس أبقى لماء الوجه من طمع ... والصبر أفضل فى المكروه من جزع

ولست مدرك شىء أنت طالبه ... إن كان شىء من المقدور لم يقع

وقرأت على الأستاذ أبى على - رحمه الله - عن الحافظ أبى عبد الله، عن أبى بكر بن العربى، عن ابن طرخان، قال: أنشدنى أبو عبد الله الحميدى لأبى محمد الحجارى: [المتقارب]

ألا أيها العائب المعتدى ... ومن لم يزل بالعدا مرتد

مساعيك يكتبها الحافظان ... فبيض كتابك أو سود

وحدثنى الأديب أبو عمرو بن سالم قال: حدثنا الحافظ أبو عبد الله لفظا، قال: قال الأصمعى: كنت مقبلا فى الهاجرة من أرض بنى عذرة راكبا على بعيرى فسمعت صوتا يقول: قف يا أصمعى. فالتفت فلم أر أحدا. ثم نوديت الثانية: قف يا أصمعى. فالتفت فلم أر أحدا. فاقشعر جلدى. ثم

نوديت الثالثة، فرفعت رأسي، فإذا شخص راكب بين السماء والأرض على كركي، وهو معمم بثعبان، وقد جعل رأسه مما يلي جبهته، وبيده أفعى يضرب بها الكركي، فقال: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: من بني عذرة. قال: ما صنعت عندهم؟ قلت: كتبت عنهم الأشعار واللغات والأخبار. قال: أتعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا إبليس، أتيت رجلا من الجن فسألته حاجة، فأبى علي فيها، وقد قلت في ذلك بيتي شعر، فاروهما عني، ثم أنشد: [مجزوء الكامل]

ما بقي في الإنس حر ... لا ولا في الجن حر

قد مضى حر الفريقين ... فطعم العيش مر

ثم ضرب كركيه ومشى. فلا أراه إلا كلف رجلا من الجن أن يغوي له مؤمنا من الإنس، فأبى عليه، والله أعلم.

قال الأديب أبو عمرو: وأنشدني بعض الأدباء قبل هذين البيتين:

ذهب الناس ومروا ... ومضى العيش الأغر

ومن نحو ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح أبو جعفر بن عبد المجيد - رحمه الله -. ونقلت من خط خالي - رحمه الله -، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الفخار قال: حدثنا الفقيه أبو مروان بن بونة، قال: حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري، قال: قال أبو العباس الكسائي، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن أبي بكر المرادي الوزير، قال: قال الحسن التنيسي، قال: رأيت إبليس راكبا على ثعبان ملجم بأفعى وهو يقول: [السريع]

ألم يـر القـاضـى وأصـحـابه ... مـا فـعـل الله بأهـل الورى
بلـى ولكـن ليـس من سـفـلة ... إلا إذا اسـتـعلـى أذل الورى
يا ليـتنى قـد مت فـيـمـا مـضى ... ولم أعـش حـتى أرى مـا أرى
فكل ذى خـفض وذى رفـعـة ... لا بد أن يـعلو علـيـه الثـرى

قال: فاستوقفتـه، فوقف لى، وقال لى: يا حسن، إن لى نفسا تحبك. ولقد كنت إلى لقـائك بالأشواق. جالس العلمـاء وزاحمهم بركـبتك، تعش بينهم محببا.

وإياك والحسد، فإن الحسد أوقعنى فيما أوقـعنى. ومخرق على الناس ومخرق بهم، فإنما الدنيا مخاريق. فولى وهو يقول: [السريع]

إذا أردت الآن أن تـكـرمـنـا ... فـأرسـل الدينـار والدرهـمـا
وكلمـا أبصـرت شـيـئـا ولم ... تسطـع بأن يأتى فـأرسـلهـمـا
فليس فـى الأرض ومـا فـوقـهـا ... أقـضـى لما أحـبـبـتـه منهـمـا

وحدثنى الأديب أبو عمرو، قال: حدثنـا الحافظ أبو عبد الله بن الفخار بسند اختصرته مـخاوفة التطويل. قال على بن عبد الصـمد الكوفى: خدمت بهلولا عـشـر سنين ألتـقط من نوادره وأتلقف من أشـعـاره، وأذب عنه من يؤذيه، ففقـدته أياما على شدة طلبى له، فـوجدته يوما، وحوله جـماعة من الصبيان يرمونه بالحصى، فسلمت عليه، فلم يرد. إلا أنه قال: نح عنى أولاد بنى الطوامث، فـأزلتهم عنه. ثم سألـته عن حاله. فـقلت له: ما تشـتهى؟ فقال: أشتهى بريد الباقل بدهن شيدج أو بـدهن جوز، فصنعتها وهيأتها. ثم أدخلته مسـجدا ووضعتـها بين يديه. فجعل يأكل أكـلا دلنى على أنه جائع.

فقلت له: أيها الأستاذ، هل أحدثت شيئا فى رقة الشعر؟ فهم أن يضرب رأسى بالقصعة. فتركته حتى شبع، وسكن، وطابت نفسه. ثم قلت له: أيها الأستاذ، ما قلت؟ قال: اكتب: [السريع]

أضمر أن أضمر حبى له فيشتكى إضمار إضمار

رق فلو مرت به نملة لخضبته بدم جار

فقلت: أرق من هذا. فقال: اكتب: [البسيط]

شبهته قمرا إذ مر مبتسما فكاد يجرحه التشبيه إذ علما

ومر فى خاطرى تقبيل وجنته فسيلت فكرتى من عارضيه دما

فقلت: أرق من هذا. فقال: اكتب: [المنسرح]

أضمر أن يأخذ المرآة لكى ينظر تمثاله فأدناها

فجاز وهم الضمير منه إلى وجنته فى الهوا فأدماها

فقلت: أريد أرق من هذا. فقال: يا ابن الفاعلة! أى شىء أرق من هذا.

انتظرنى حتى نطبخ فى المنزل حريرة تكون أرق من هذا.

ومنهم:

١٦ - محمد بن عبد الله بن على بن هاشم بن أبى العباس

يكنى أبا بكر، من أهل مالقة وأعيانها. وكان أبو بكر هذا أديبا نبيها بارع الخط. وذكره الأستاذ أبو على فى رسالته إلى أهل سبتة فقال: أديب بحلى الأدب تحلى، حتى سما قدرا ومحلا. له أولية فى الشرف، ولقد ارتقى

إلى المجد فما زلت به القدم، وشب فتخلق بالأناة والحلم، ومال إلى أهل الصيانة والعلم. سربل ملابس المعلوات سربالا ضافيا، وحام على منهل الأدب فورده صافيا. وأظن أنه توفى فى. . . .

ومنهم:

١٧ - محمد بن عبد السلام بن مطرف[1]

يكنى أبا عبد الله. من أهل مالقة، من بيوت أعيانها. كان من أهل الطلب والنباهة والعدالة. ذكره الأستاذ أيضا فى رسالته فقال فيه: له مآثر ألبسته من السؤدد جلببابا، ومدت إلى المرتقى الأعلى أسبابا. وآداب شف بها على أقرانه ونظرائه، وعظم بها فى أنفس أعدائه وسجرائه، ومعارف أنجب فيها من أنجب، وأوجب له من التعظيم والتخصيص والتقديم ما أوجب. وأما الفقه فإنه يتقلب فى قواليبه، ويصرف فى متصرفاته ويجرى على أساليبه. وتوفى - رحمه الله - فى حدود الإحدى والثمانين وخمسمائة.

ومنهم:

١٨ - محمد بن يحيى بن تلكعت المسوفى

يكنى أبا عبد الله. ولى أعمال مالقة فى سنة ثمانين، واستمرت ولايته ودامت إلى نحو الستمائة. وقد كان خلال ذلك نقل إلى إشبيلية، وبقى ابنه أبو زكريا مشتغلا بمالقة. ثم عاد إلى مالقة آخر عام ستمائة. وولى بعد ذلك مواضع. ثم ولى أعمال فاس، فنفذ الأمر بقتله عند توجه أمير المؤمنين أبى عبد الله الناصر لفتح شلبطيرة.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٣٨٧.

أظن ذلك فى سنة ثمان وستمائة. خ م:

إنما قتل فى عام تسعة وستمائة. ذكر ذلك الأديب أبو عمرو فى بعض تعاليقه.

وكان فى ولايته جهما مقداما على الأمور، كثير النفع والضرر. وكان عالى الهمة فى المبنى. بنى بمالقة مواضع فخمة، بقيت الآن منها قنطرة بين الربض والمدينة عام تسعين وخمسمائة. ثم تهدمت بعد ذلك، فابتدأ بناء الأخرى، وأكملها ابن حسون بعده. وتهدمت أيضا.

وكان معتنيا بالكتب، جمع منها ما لم يجمع غيره. وانتفع به شيخنا الأستاذ أبو محمد - رضى الله عنه -، فإنه كان ينبهه عليها، فيعتنى بها حتى يحضرها، فينتفع بها الأستاذ، إما بنسخ، أو بمقابلة، رحم الله جميعهم.

ومنهم:

١٩ - محمد بن جعفر بن أحمد بن حميد[1]

يكنى أبا عبد الله. كان أستاذا جليلا عارفا بصناعة النحو والقراءة، من أهل الفضل والديانة. وولى القضاء.

قال الأستاذ الجليل أبو على الرندى - رحمه الله -: لقيته بمالقة، وأجازنى فى شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة. روى عن أبى القاسم بن الأبرش، وعن أبى الحسن شريح، وعن أبى بكر بن مسعود، وابن العربى. ومولده عام ثلاثة عشر وخمسمائة. وتوفى سنة ست وثمانين وخمسمائة.

---

(١) انظر: التكملة٢/ ٥٣٩، الصلة ٤٥٨، والذيل ٦/ ١٤٩.

ومنهم:

٢٠ - محمد الحجارى[١]

يكنى أبا عبد الله. كان أستاذا بمالقة فى علم الأدب والنحو. وكان جم المعارف بارع الآداب. وذكره الأستاذ - رحمه الله - فى رسالته فقال: أديب كثرت معارفه وآدابه، وانسحقت فى البراعة والبلاغة أهدابه. وما زال يدأب فى طلب العلم ويستمر عليه، ويشند فى كل حال إليه. ينظم الشعر نظما متسقا حسنا، ويربي على مباريه فصاحة ولسنا. وله عناية بعلم العقائد وأصول الدين، فيها ينتجع وبها يدين. وقال الأديب أبو عمرو: نقلت كثيرا من شعره، وسمعت من لفظه ضروبا شتى من أنواع الآداب، وأفادنى كثيرا.

توفى شهيدا بميورقة، قتلته فئة باغية من الروم بالتراسين بداخل البلد.

ومنهم:

٢١ - محمد المعروف بابن الحناط

يكنى أبا عبد الله. قال الأديب أبو عمرو: كان مولده بألمرية، واستوطن مالقة. ووصفه الأستاذ - رحمه الله - فى رسالته فقال: ينظم فلا يقصر عن مدى الإحسان باعه، وينثر فتلوح للعالمين بحر كلامه بلاغته وانطباعه. وهو مع هذا لم يقرأ النحو ولا عرف الإعراب، لكن يتأتى له فى مضمار الفصاحة ما لا يتأتى لفصحاء الأعراب.

قال أبو عمرو بن سالم - رحمه الله -: سمعت من لفظه كثيرا، ومن نظمه ونثره، وقيدت عنه. وارتحل إلى المشرق ومات هنالك - رحمه الله -.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٣٢٧.

ومنهم:

٢٢ - محمد بن عبد الله الأنصارى المعروف بالبلنسى

قال الأديب أبو عمرو - رحمه الله -: ورد علينا مالقة أيام السيد أبى زيد، قال: وكان ضعيف العقل، غير أنه كان ممن حاز جودة القريحة والطبع. واتفق له مع السيد عجائب: قال أبو عمرو: دخل يوما مجلس السيد المذكور، وفيه مطيب ورد وسوسن، فقال بديهة: قال أبو عمرو، وأنشدناها: [البسيط].

انظر إلى الورد والسوسان فى نسق ... شكلا لشكل وأعدادا لأعداد

وكلما ناله لمح العيون دنت ... منها المسوك وفاح الند بالنادى

فاعزز بما نظرت عيناك من عجب ... ملك لملك وأجناد لأجناد

قال أبو عمرو: وهذا تشبيه حسن. شبه الملوك بالورد الذى هو ملك الرياحين، والأجناد لما سواه. ودفع يوما بطاقة إلى القاضى أبى العباس الدانى يطلب منه غفارة فبعثه إلى الأمين أبى الحسن بن الصباغ. فلما رآه بتلك الأسمال استحقره. فكتب إلى القاضى: [البسيط]

إن الأمين ابن صباغ فديتكم ... قد بدلت نونه من زهوه راء

فابعث إليه أميرا مثله فعسى ... يأتى إليك به وقيت الأرزاء

قال أبو عمرو: ومما أنشدناه لنفسه - رحمه الله -: [الطويل]

وما حال من مثواه فى أرض غربة ... يخيم فى أكنافها ويقيم

وأخبر صحبى واحدا بعد واحد ... وأين الذى فى النائبات حميم

وقال أبو عمرو: أنشدنى أيضا لنفسه: [البسيط]

من أطلع الشمس كأسا فى بنان رشا ... كأنه قمر فى نعت إنسان

صفراء تسطع نارا فى زجاجتها ... كأنها فى الدجا أحداق ثعبان

وللدوام على أرجائها حبب ... كأنه لؤلؤ من بين عقيان

وحدثنى - رحمه الله - أبو عمرو بن سالم قال: حدثنى الأديب أبو عبد الله البلنسى المذكور قال: كنت بقرطبة مع القاضى ابن الصفار، فسقطت له سنة، فأنشد: [الطويل]

وفى كل يوم يفقد المرء بعضه ... ولا بد أن الكل منك سيذهب

قال: فارتجلت:

وفى كل يوم تستزيد منيتى ... دنوا وغيرى راحل ومودع

أشيع أيامى وألهو بغيرها ... كأن التى ولت إلى سترجع

قال أبو عمرو: وأنشدنى أيضا لنفسه - رحمة الله عليه -: [البسيط]

النفس تطمع والأقدار ثابتة ... وبين هذين عمر المرء ينقطع

وكلما زدت ستا زادنى أمل ... فالعمر ينقص والأيام تتبع

وشعره - رحمه الله - كثير.

ومنهم:

٢٣ - محمد المعروف بريبب الحشا

أظنه من الجزيرة، وسكن مالقة، وأقام بها. وكان أديبا شاعرا. وجدت بخط الأديب أبى عمرو - رحمه الله - مجالسته له وإنشاده إياه فى منزله بمالقة فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة. فمن شعره - رحمه الله - وقد أهدى بطيخة، فقال: [الكامل]

وسليلة القثاء أكسبها البها ... لونين كل عند منظره حسن
وحكى بها للنحل صنعتها التى ... خصت به سرا فأبرزها علن
للشهد ما انطبقت عليه وما اكتست ... قير بلا نار يذوب على البدن
صفراء فى لونى فديتك بينت ... ما يشتكيه المرء من نكد الزمن
للجمر منظرها ومطعمها إلى ... ذوق الوصال لو استمر على أمن

ومن شعره - رحمه الله - فى خزانة كتب: [الكامل]

ووعاء عود للعلوم صيانة ... حملت ذخائرها قوائم أربع
محفوظة الأشكال مما قد حوت ... فالعلم يحفظ ما حواه ويمنع
خشب كلون التبر يشرق فوقها ... حلى حكى لون اللجين ويسطع
باهت على كل الخزائن إن ما ... تجريه يبقى إذ يصان فينفع
ويعيده مر الليالى فالذى ... تحويه منتزه يفيد ويمتع
ويزيد بالإنفاق منا فكره ... فمتى يباع فى كل حين يشفع
خفت وطير بشخصها لما حوت ... سرا تطير به الجبال وتسرع

والعلم ينشر ما انطوى فى جوفها فيكاد يسمع ما يقول ويسمع
فكأنها جسم يحرك شخصه روح يموت وحين تفتح يرجع

وله - رحمه الله - من شعر يتغزل: [الكامل]

ولعوبة القرطين إلا أنها بين الرماح السمر نابية المحل
ضربت قباب العز وسط مفازة ينسى بها الليل النجوم إذا ارتحل
لا يقطع الفرس العتيق بها الصدى إلا استجاب له الهزبر إذا صهل
كم ظبية ترعى الأراكة بالحمى وتراع من رشأ يرود وما استقل
يبدو فتى حول الكناس مخافة من ضيغم يسعى بمنصله بطل
تترقرق الآجال فوق حسامه كترقرقى بين الصبابة والعذل
أسكنتها طى الضلوع وربما ربعت بنار الشوق من ذاك الطلل
حتى إذا ضرب الفراق بسهمه وغدت تهادى تحت أرحلنا الإبل
جاذبتها طرف الحديث وربما شاطرتها لحظى لأنظر فى الكحل
فترفعت تيها ومالت مثل ما مال القضيب من الصبا ثم اعتدل
وتضرجت خجلا وقالت هل درت عيناك أى دم بلحظهما أطل
أدميت خدا طال ما رفعت له أرواح أهل الحب فوق ذرى الأسل
فأجبتها ذلا كما حكم الهوى لأحل من وجناتها غير الوجل
لم تدم عينى الخد منك وإنما سقيت ورود الحسن من ماء الخجل
فمضت وهودجها على جمل النوى كالشمس حلت فوق جمجمة الحمل

حـدثنى بهذه المقطوعـات الأديب أبو عـمرو - رحـمه الله -، قـال: أنشدنيها بلفظه قائلها المذكور - رحمه الله -. وشعره كثير.

ومنهم:

٢٤ - محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصارى[١]

المعروف بابن الحـرار، يكنى أبا بكر. وقد تقـدم اسم والده. وكان أبو بكر هذا من فضلاء مـالقة وخيارها. نشأ علـى صلاح وفضل. وهو من بيت نباهة وشـرف. وذكره الأستاذ أبو على - رحـمه الله - فى رسالته فـقال فى بعض أوصافـه: شاب نشأ فى عبادة ربه فـلم تعرف له صبوة، واستـمر على الخير ولم يكب، وإن كـان لا بد للجواد من كبوة. حسنت سـيرته، وصفت سـريرته، واستـمرت على أقـوم المناهج مريـرته، وجانب الطرق التى تغـويه وتضله، وتلبس المرء ثياب الهون وتذله. فهو أحد السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وتوفى - رحمه الله - فى سنة ثـمان... وخمسمـائة. أخبرنى بذلك ابنه صاحبنا الأديب أبو بكر محمد.

ومنهم:

٢٥ - محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى زمنين المرى[٢]

يكنى أبا بكر، مـن أهل غرناطـة. ولى قضـاء مـالقـة فى سنة اثنتـين وتسعين وخمسمائة. وكان محدثا جليـلا من بيت أصالة وعلم. حدث عن جماعـة، منهم أبو مروان محمد بن قزمـان والخطيب أبو على حسن بن على

(١) انظر: الذيل ٦/٦.

(٢) انظر: الذيل ٦/ ٣١٠، تاريخ قضاة الأندلس ١١٠.

بن سهل الخشنى، وأبو بكر بن محرز، وأبو الحسن علي بن أحمد القرشى، والحاج أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السلمى، وأبو الحسن ابن النعمة. ومن أهل المشرق: عن السلفى، والعثمانى، وابن عوف، وغيرهم. وحدث عنه جماعة من شيوخنا، إلا أن الأستاذ أبا محمد القرطبى - رحمه الله - أسقطه من شيوخه، فلم يرو عنه.

حدثنى أبو عمرو - رحمه الله - قال: أنشدنا القاضى أبو بكر محمد بن أبى زمنين يوم الأربعاء فى ربيع الأول المبارك سنة تسع وثمانين وخمسمائة، قال: أنشدنا صاحبنا بجلال ابن المديونى الكاتب وكان من لمتونة:

إذا جئت برجة مستطلعا ... فحط بها الرحل وانس السفر

ولا تبغ عنها خروجا ولا ... دخولا إليها فذاك الحذر

فكل مكان بها جنة ... وكل طريق إليها سقر

وتوفى - رحمه الله - بغرناطة بعد تأخيره عن قضاء مالقة فى سنة اثنتين وستمائة.

ومنهم:

٢٦ - محمد بن أحمد بن محمد الحميرى[1]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالاستجى. أصله من استجة، وسكن مالقة، وأقام بها إلى أن توفى - رحمه الله -. وكان من أهل الفضل والعلم والدين والورع والزهد، مقرئا لكتاب الله تعالى، عالما بطرق روايته، قائما على تجويده وإتقانه، متسع الرواية.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٥١، والتكملة ٥٢٧.

وولى الخطبة والصلاة بجامع مالقة، وبقى على ذلك إلى أن توفى - رحمة الله عليه -.

حدثنا الشيخ الصالح أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد قال: أخبرنى جدى يوما بحديث عن الفقيه الأستاذ الخطيب أبى عبد الله المذكور ثم قال لى: مشيت فى البلاد ورأيت الزهاد وصحبت العلماء والعباد، فلم أر أفضل من أبى عبد الله الاسبتجى. وحدثنى الشيخ الفقيه الأستاذ أبو على الرندى - رحمه الله - قراءة منى عليه قال: لقيت يعنى الخطيب الفاضل أبا عبد الله المذكور بمدينة مالقة، وجالسته، وحدثنى وأجازنى جميع ما رواه. وكتب بخطه فى غرة ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. روى عن القاضى الخطيب المقرئ أبى الحسن شريح بن محمد الرعينى، والمقرئ الخطيب أبى القاسم بن عبد الرحمن بن أحمد بن رضا، والشيخ المقرئ أبى العباس أحمد بن محمد بن حرب عرف بالمسيلى، روى عن ابن مزاحم عن أبى عمرو. وروى الخطيب أبو عبد الله أيضا عن الشيخ المقرئ أبى بكر عياش بن فرج بن عبد الملك الأزدى، وعن الفقيه الإمام أبى بكر بن العربى، وعن الشيخ الأديب المقيد الضابط أبى عبد الله جعفر بن محمد بن مكى، وعن الفقيه الزاهد أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المذحجى، وعن الشيخ المحدث أبى مروان عبد الملك بن بونة العبدرى، وغيرهم. وحدث عنه - رحمه الله - جماعة من شيوخنا، وأسندوا إليه، وأثنوا عليه. توفى - رحمه الله - بمالقة حرسها الله سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

ومنهم:

٢٧ - محمد بن سعيد بن مدرك الغسانى[١]

يكنى أبا عبد الله، من أهل مالقة ومن الشيوخ الجلة. كان فاضلا راوية عدلا ثقة على سنن أهل الفضل. قال شيخنا أبو على - رحمه الله -: لقيته بمالقة وجالسته وأجاز لى جميع روايته وكتب بخطه فى النصف من محرم سبعين وخمسمائة. روى عن أبى عبد الله ابن أخت غانم وأبى عبد الله بن معمر وأبى الحسن بن مغيث وأبى القاسم بن بقى وأبى جعفر بن عبد العزيز وأبى عبد الله محمد بن نجاح الذهبى والقاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية وأبى الحسن بن موهب، وغيرهم. وحدث عنه جماعة من شيوخنا. وكان عنده من الكتب النبيهة والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند أحد، حتى أنه لا يكاد يوجد الآن كتاب نبيه، إلا وخطه عليه. وكان صهر الأستاذ أبى بكر بن دحمان. وكان الأستاذ أبو بكر يثنى عليه خيرا ويصف من فضله ودينه كثيرا. وحدثنى - رحمه الله - أن مصاهرته كانت باستدعائه إياه، وذلك أن الأستاذ كان حينئذ فتى مشتغلا بالطلب على عفاف وصون، فأعجبه، فاستدعاه. وقال له: أريد أن أزوجك ابنتى وعندى ما تحتاج إليه. وبقيت ابنته عند الأستاذ. وكان يصف دينها وعقلها إلى أن ماتت - رحم الله جميعهم -. وتوفى أبو عبد الله - رحمه الله - فى.....

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٢١٢، والتكملة ٥١٧.

ومنهم:

٢٨ - محمد بن حسن بن محمد بن صاحب الصلاة الأنصارى[١]

يكنى أبا عبد الله، من أهل مالقة حرسها الله. كان من أهل العلم والفضل والدين والورع والزهد. ورحل إلى المشرق، فروى هنالك عن أبى إبراهيم الخجندى بمكة شرفها الله. وعن الحافظ أبى الحسن على بن معزوز الجمودى بمصر، وعن أبى عبد الله الحضرمى، وعن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب، وعن ابن دليل، وغيرهم. وروى بالأندلس عن أبى خالد يزيد بن رفاعة، وعن أبى جعفر بن حكم، وغيرهما. وولى الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بمالقة عن اجتماع من أهل البلد ورغبة. وكان رجلا صالحا ورعا كثير الحياء. اتفق له فى أول يوم خطب وأنا حاضر، أن افتتح التحميد، فلما رمق الناس ببصره، غلب عليه الخجل فلم يقدر على الوقوف، فقعد وأقيم غيره، فأكمل الخطبة. وحدث عنه جماعة من أصحابنا. وكان مقرئا نبيها جليل القدر، ونفع الله به جملة من الطلبة، فبرعوا عليه. واستشهد - رحمة الله عليه - فى كائنة العقاب فى صفر سنة تسع وستمائة. وذكر عنه من الثبوت فى ذلك اليوم وطلب الشهادة والحض على الجهاد ما يدل على صدقه وخلوصه. وقد كنت جالسته، وحضرت مجلسه غير مرة فلم يتفق لى سماع منه ولا رواية عنه. وكانت له أربعون حديثا مسلسلة أخذها الناس عنه. وبتنا معه بوادى اكتابة فى جماعة من الطلبة ليلة خروجه إلى الغزوة المذكورة، وودعناه هناك، ودعا لنا. وكان آخر العهد به - رحمة الله عليه -.

---

(١) انظر: الذيل ٦/١٦٦، والتكملة ٢/٥٨٥.

ومنهم:

٢٩ - محمد بن رشيد[١]

يكنى أبا عبد الله. وله مكارم تنم نفحاتها نموما. وآداب نفس تؤنس غريبا وتنسى هموما، وشمائل أعذب من الفرات، وفضائل ألحقته بالسراة. وتوفى - رحمه الله - فى حدود العشر وستمائة. خ م.

ومنهم:

٣٠ - محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن نوح ابن أيوب بن وهب بن سهل بن إبراهيم الغافقى[٢]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن نوح. أصله من بلنسية، وقدم على مالقة وأقام بها وأقرأ. وأخذ عنه أشياخ شيوخنا بها؛ كالأستاذ الفاضل أبى محمد القرطبى، وأبى عمرو بن سالم، وغيرهم. وله مع أبى عمرو بن سالم مجالسة كثيرة وأنشده كثيرا وقيد عنه. وجدت ذلك بخط الأديب أبى عمرو. ونقلت من خط الشيخ الفقيه المحدث المقرئ الرواية أبى عبد الله بن سعيد الغرناطى - أكرمه الله -، وأنشدنى صاحبنا الفقيه الأجل الأديب أبو بكر حميد ابن الأستاذ أبى محمد القرطبى، وكتب به إليه شيخنا الفقيه المحدث المقرئ الراوية أبو عبد الله بن سعيد لابن نوح مما أنشده أبوه: [الكامل]

احفظ لسانك والجوارح كلها ... فلكل جارحة عليك لسان

واخفر لسانك ما استطعت فإنه ... ليث هصور والكلام سنان

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ١٩٩.

(٢) انظر: الذيل ٦/ ١٣٦، والتكملة ٢/ ٥٨٢.

وتوفى - رحمه الله - سنة عشر وستمائة. هـ ع س.

ومنهم:

٣١ - محمد بن هاشم بن نجيب الهاشمى

يكنى أبا القاسم، شريف من أشراف مالقة، وينتمى إلى أشرف المناسب، ويتصف بمناقب يعجز عنها كل حاسب. كان من أعيان مالقة ونبهائها، ومن ذوى السبق فى أجلة أدبائها. قرأ على الأستاذ أبى زيد السهيلى وغيره من الشيوخ.

وكان بارع الأدب متقدما فى النظم. له القصيدة التى لم ينسج على منوالها، ولا أتى سواه بمثالها. وقد رأيت أن أثبتها على وطولها لما تضمنته من البراعة والأدب، وسببها أن طالبا من طلبة مالقة يعرف بأبى الحسن النجار[1]، وكان يقرأ على الأستاذ أبى زيد - رحمه الله -، سافر إلى سبتة فسجن بها على تهمة سرقة، فتوسل للطلبة بطلبه، فجروا فى أمره واستخرجوه من سجنه. فكان بين طلبة مالقة وطلبة سبتة على ذلك مراسلات نبيهة، فكان أبو القاسم هذا - رحمه الله - قد نظم هذه القصيدة يمدح طلبة أهل سبتة ويصفهم بصفاتهم، أطلق فيها عنان البلاغة، وقدح زند البراعة، فبلغ فيها مدى الإحسان، وحاز قصب السبق فى ذلك الميدان.

وهى على ما حدثنى بها الأديب أبو عمرو - رحمه الله - سُماعا من ناظمها، وهى: [الطويل]

---

(١) انظر: الذيل ٥/٣٠٦.

لعلك ما بين العذيب ومارب ... تمر على تلك الديار القرائب

وتسرى بذكر من أناس كأنما ... تنم به البطحاء من كل جانب

ويغليك فى أثناء مورده الصبا ... فتقضى عنى بعض تلك المآرب

وتودعها عنى إذا ما نغت به ... تحية مشتاق من الوجد ذائب

وإنى لأهوى أن أراهم على النوى ... لأذكر منهم حسن تلك المذاهب

مساع إذا حدثت عنها بحرة ... على ظمأ أروتك عذب المشارب

بعثت بها أهل المكارم والعلا ... إليكم وودى ثابت غير ذاهب

بنى العز من قحطان أبناء عامر ... إذا نسبوا عزت لؤى بن غالب

إذا حد فضل أفحموا كل واصف ... إن عد فخر أعجزوا كل حاسب

هم النفر الأعلون والناس دونهم ... فمن منجب أضحى سليل مناجب

إذا كنت ذا عدم وسرت إليهم ... فحسبك فى العز احتكام الرغائب

وما حل نائى الدار وسط بيوتهم ... عن الأهل إلا عز عن كل غالب

أولئك أعلام المعالى بسبتة ... على أن كلا منهم كالكواكب

فمن كأبى عبد الإله وصنوه ... هما قمراها فى النجوم الثواقب

ومن قبل كانا نيرى أرض بسطة ... ويدرى سماها بين زهر الذوائب

فللكاتب الفضل الذى بهر الورى ... على رسم غايات العلا والمراتب

عليم بأعقاب الأمور كأنما ... يرى الأمر حقا قبل رد العواقب

وما شئت من علم وحلم وحكمة ... ورأى إلى فهم من الفكر ثاقب

سمـــوت أبا عـبـد الإله بهـــمـة ... يقـصـــر عنهـا كـل سـام وراغب
تعالت فما يسطيـعها وصف خاطب ... ولا نظم ذى نظم ولا نـثـر كـاتب
ومـا زلت تـسـتـعلى إلى كل غـاية ... من المجد قـد أعيت على كل طالب
تلافـيت نضـوا نازح الدار إذ غـدا ... تقـســـمـــه لولاك أيدى الـنوائب
أخـذت بضـبـعـيـه فـأصـبح آمنا ... صـروف الليـالى من مقـالة كـاذب
وأصـبـحت ترعاه بعـين حـفـيظة ... وتدفع عـنه كـيـــد كل مـناصب
تداركـه من بعـد ما هيض هـيضـة ... أخـوك على رغم العـداة الأكـاذب
ومن كـأبى العـبـاس فى كل غـاية ... إذا زحـزحت يوما صـدور المواكب
حليـم إذا أزرى التـحـلم بالفـتى ... وقـور إذا طاشت حلـوم المغـاضب
سوى أن نعمى من عـياض تتابعت ... وجلت فلـم تقـرن بهـا يد واهب
حـــوى مـجـد آباء كـرام أعـزة ... كـماة حـمـاة المجد غـيـر معـايب
توارثه عنـهم وأحـرز ســبـقـهم ... وزاد عليـهم من حـمـيـد المكاسب
إلى عـزة قـعـسـاء لو رميت بهـا ... نجـوم الثريا لاستـبـيحت بحـاصب
وأفـضل نعـمى لا يـطيـر غـرابهـا ... حـذارا ولا فـيـهـا الغـراب بناعب
هم الصفـوة العلياء والنـاس بعدهم ... كما ضم ليلا واحتوى حبل حاطب
هداة عـــبـــاد أو رقـــاة منـابر ... كـفـــاة أعـاد أو حـمـــاة مناصب
وحل عـيـاض ذو المعـــالى مـحلة ... أبرت علـى أهل العـــلا والمـناصب
وغيـر كبيـر من أبى الفضل أن يرى ... مـلاذا لمحـروب ومـــأوى لهـارب

من القوم وضاح الجبين كأنما ... مصام الثريا منه فوق الحواجب

وفاخر ذوى الألباب والحلم والحجا ... بعليا أبى بكر تكن خير غالب

أبا عذرة الإخوان ذا الشأو فى التى ... تقاصر عنها فهم كل مخاطب

غدت همة فى المجد تدريك أنه ... تسامى على أنداده والأصاحب

تفرد فيها بالبلاغة وحده ... وفات الورى من كل دان وعازب

فلا تسموه بالمحلى فإننى ... أراه المجلى من أمام السوارب

ورام ابن عصفور مداها فلم يخب ... غداة رمى فيها العدا بالمناكب

تخير فاعتاض القرى بالوغى ومن ... غياث صريخ نادب صوت آدب

وأصبح كهف الجود سيبا لوارد ... وريا لظمآن وشبعا لساغب

وأعيت صفات الأوربى وأعجزت ... لمن رامها من مبعد ومقارب

وحل الحسيب المشرف الواحد الذرى ... فجل علا أعيى عيون المراقب

مكارم يستهدى بها من محمد ... كأن بها تندى عيون السحائب

يشرف عمال الزمان فإن غدا ... لهم حجه والاه كل محاسب

وبالمشجى وابن جبارة اغتدت ... أواصر قربى لا تعد لعاصب

هما فرسا ذاك الرهان تقدما ... وجاءا قرانا من أمام السلاهب

وجر أبو بكر الحكيم مفاخرا ... على مفرق الجوزاء أذيال ساحب

سمت همة ابن الرخصة المعتلى بها ... بسعد على ظهر السماكين راتب

وبالعزفى ذى المهابة فلتصل ... على كل خطب أو عدو محارب

فتى خلقت من السماح بنانه ... وريضت به قبل اتصال الرواجب

خلائق لا ترضى سواهم كأنما ... هى البيض أو منهن بيض القواضب

ونفس أبت إلا السماحة والعلا ... وكف أبت إلا ابتذال المواهب

ووجه كأن البدر بعض صفاته ... ولا سيما ظرف لذى الحلم طالب

تفرد بالإحسان والحسن والعلا ... جميلا محياه كريم الضرائب

أبوه الذى قد سد يوم قضائه ... من الحق صدعا جل عن كل شاعب

تواضع فازدادت مهابة عدله ... على كل خصم مبطل الحق شاغب

وسن بنو الحداد فى الحق سنة ... بها آب عافيهم حميد المآرب

لقد حمدت فيهم سجايا محمد ... وسار بعليا عمه كل راكب

وحل أبوه فى القضاء محلة ... تناط بحقويها رقاب المطالب

لهم همم كالشم تعيى ببعضها ... شماريخ نهلان وشم الأهاضب

بلاغة قس فى سماحة حاتم ... إلى فهم سحبان وهمة حاجب

وإن صفات المنصفى لمنصف ... لأعذب ذكرا من حديث المشايب

وقار وآداب وحلم وعفة ... ورقة طبع ليس عنها بآيب

فآونة عيناه تدمع خشية ... وآونة تبكى فراق الحبائب

وربتما هزته ذكرى صبابة ... فباح بشكوى أو ضراعة ناحب

ووصل حبيب أو صفات مدامة ... وروى عن الشكوى بتأبين شاجب

ولولا ابن خلوف غدا ابن محمد ... نحيف القوى نهب الأكف النواهب

هو البحر فى علم هو النجم فى علا ... هو العلم المألوف سامى الجوانب
ولابن خمير فى القريض تقدم ... به بد قيسا وازدرى بابن غالب
وفى ابنى أبى يداس الرتب التى ... تفوت أمانى كل سام وراغب
فهذا شهاب فى سماء مكارم ... وهذا حسام مر فى كف ضارب
وهذا إمام من إمام مفوه ... وهذا همام من مشيخ مضارب
وحل ابن مسعود أبو نصر إذ سما ... إلى المجد فى أعلى سنام وغارب
لقد قلدت منه المواريث حافظا ... إذا حل فيها كل راع وكاسب
جواد بجوداه بخيل بفرضه ... سليم السجايا من محوبة حائب
ولا كيف بالأستاذ . . . الذى ... غدا لزمام العلم أكرم جاذب
معارف شتى لا تعد أقلها ... حساب ونحو حجة لأعارب
وما لابن أبراهيم فى الفضل مشبه ... فلله منه خير خل مصاحب
وكم فخرت بالقنت أربع سبتة ... فأكرم بها من أربع وملاعب
وبابن عزيز عز كل مجاور ... ضعيف وعز الحلف كل مصاقب
فلولاه لم تسطع يد ابن محمد ... دفاع الأعادى والأكف السوالب
ولكنه آواه فاعتز واغتدى ... وقد رد عنه بغى كل مطالب
فجاور قعقاع بن شور وعامرا ... وكعب بن بسطام معز الأغالب
وآب الذى يبغيه خزيان صاغرا ... وباء بخزى واغتدى شر خائب
لعمرى لقد فاق الحجارى ذوى العلا ... فهل من مدان سعيه أو مكاذب

بجد كنصل من حسام مصمم ... وهزل كوصل من حبيب ملاعب
إلى رتب فى المعلوات ونسبة ... إلى المجد قد أزرت بكل مناسب
وسل بعلى القرتى إن كنت غائبا ... وعن فضله من ليس عنه بغائب
على أنه أسنى من الشمس شهرة ... إذا طلعت فوق الربا والأعاشب
وما ابن زريق غير جود لمعدم ... وعون لمكروب وأمن لهائب
وحسب ابن عشاب من المجد إنه ... تحل به العلياء أعلى الرواتب
وفى ابن برور وابنه المعية ... سمت بسما فهم من الحلم صائب
وأبدى أبو بكر بتأليف فكرة ... عجائب شتى شفعت بعجائب
وتاهت بمتيطها أرض سبتة ... وباهت به ما بين بصرى ومآرب
فذاك الذى حاك القريض وصاغه ... لآلئ جلت عن نحور الكواعب
وقلد جيد المجد سلك مفاخر ... وحلى المعالى من حلى المناقب
وإن شمت عضبا من خلال محمد ... فحسبك والدراج عضب المضارب
نفى النوم عنه واتقاها بعزة ... تريك ابتداء عزم سعد بن ناسب
ولله عليا من أبى الحسن إذ حوى ... على فرجون ذى الخلال الأطايب
وساد ذوى العلياء كهلا وإذ غدا ... وحيد المعالى يافعا غير شائب
ومن فى العلا والمجد كابنى سمرمر ... لصفحة مأثور وصهوة سارب
فهذا كمناع من الثبم باذخ ... وهذا كهطال من الغيث ساكب
وقد أحرز الأزدى فى الأزد رتبة ... تقاصر عنها كل قزم وراكب

وقلد أعمالا كراما فعافها ... وجرع منها كل صاب بصالب

وما باح منها بالذى فى ضميره ... خشية جور من أمير معاقب

وأضحى ابن عباس إمام زمانه ... كمثل ابن عباس وتلو ابن غالب

إمام الهدى والعلم نورا لمهتد ... ورشدا لمرتاب وذخرا لتائب

تقى يخاف الله حتى كأنه ... يراه عيانا دون ستر وحاجب

وكم قد رأى قاضى العلا والتقى أبو ... تميم ولاء النصر ضربة لازب

على أنه أعلى من المجد همة ... وأرحب صدرا من عراض السباسب

وللهوزنى فى هوازن سورة ... تقر له بالفضل أعراق الحسائب

وحسب أبى نصر من العلم أن رأى ... ولاحظ ما يبقى بعين مراقب

إلى علم برهان وأحكام شارق ... وصحة آثار وأحكام غارب

أولئك لن يحصوا ثناء وكثرة ... بنظم ولا نثر ولا وصف خاطب

فحسبى أن استعرضت ما قد أتيته ... وبت بهم ما بين جنبى ناصب

ومن ذا يوفى فى الثناء حقوقهم ... ويحصى الحصا والقطر أو رمل كاثب

ولكن أبو بكر ينوء بعبئها ... ويحتل منها فى الذرى والكواثب

ويبعثها عنى من العلم والحجا ... حديقة فكر صوبها غير ناضب

ويأتيكم منه جواب سريرة ... فصحت به سبل العلوم لسارب

وفى عمر ذى الفضل خلق سما به ... وثاب حميدا خبزه كل ثائب

وقار رئيس فى إهابة ناسك ... وظرف أديب فى تبتل راهب

ورقة طبع فيه مثل غمامة تصفقها أيدى الصبا والجنائب
تسامى به عبد المجيد فأحرزت يداه فى صعب تلك المراقب
وفات ذوى الألباب والعلم والحجا كما فات حاوى السبق جرى الشآرب
به فخرت قدما أباطح رندة وسامت به أعلام حزوى وعاقب
وحلى منه بالذى لو ثوى به حليا تعالى عن حصان وكاعب
ويتبعها العباس بعد حديقة يجود بها من صوب تلك المشاهب
ومن قبلها لبى دواعى مجدكم بمنثور در لا كدر الحقائب
ومنظوم عقيان من اللفظ لم يكن جمانا ولم تظفر به يد جالب
حوى شعره الشعرى لهابا ونثره سبى النثرة العليا وليس بغاصب
وسارع مسرورا برد جوابكم بدار كريم مستمر موارب
وسل حساما من عزائم فكره فذخره حدا ببيض قواضب
وقام ابن حناط خطيبا بذكركم فنم على كل الربا والرحائب
منتم علينا إذ كفيتم لديكم أبا حسن سوء الظنون الكواذب
وحاشى على ذى العلاء لعلمه ومنصبه من فاضحات المعايب
ولكنه أضحى كريما مبرءا عليما سليما من ذميم المثالب
وما زال محمود الخلال محببا على الخير مشغوفا به كل صاحب
وقد قيل أصحاب كرام وإخوة وأهل ويأبى ذاك بعد المناسب
فقلنا وإن تبعد مناسب بيتنا فإخوة ذى ود وقربى مواهب

وليس أخو الإنسان إلا صفيه ... ولا أهله غير الصديق المقارب

نصرتم عليا لا رجاء ثوابه ... وقد خذلت كسرى حماة المرازب

ولكن كما أوفى السموأل إذ رأى ... مصاب ابنه والغدر ثنتى مصائب

فلم يستجز غدر امرئ القيس وابتغى ... حمام ابنه إذ صار نهب الكتائب

وأضحى مدى الأحقاب فى كل ملة ... حميدا وفى بلواه أكرم نادب

حنوتم عليه رغبة وتعطفا ... وجدتم على رغم العداة النواصب

فإن كان ما لا بد منه فإمرة ... وحاشاكم أن تسلموه لناهب

وحسبكم ما كان من أمر يوسف ... مع الملك والأسباط خير العصائب

ويكفيكم ما حل قدما بمالك ... إمام الهدى من مشرق ومغارب

عدا ابن سليمان عليه فناله ... بسبعين لم يتبع جناية حارب

وحاشى على المنصور من أن يناله ... بسوء وأن تعديه صورة غاصب

ولكنه لم يرض عدوان جعفر ... وأوصى بعتبى مالك كل عاتب

ووافاه بعد العام فى الحج مالك ... فوالاه واسترضاه غير مغاضب

وباء بإثم جعفر والذى سعى ... على مالك سرا ذبيب العقارب

وهذا ابن عباس على سطا به ... الوليد على قربى ومرأى أعارب

ورزء على والحسين سليله ... وزيد وعثمان بدور الغياهب

أولئك خير الناس قدما قد ابتلوا ... بسار وغدار وباغ وصالب

وفى بعض هذا أسوة وتصبر ... وزجر لمغتاب وردع لثالب

عليكم سلام الله يا أهل سبتة ... تعم ويقضى فى العلا كل اجب
مدحت وما أثنيت إلا ببعض ما ... يصدقه البرهان بعد التجارب
وإنى وإن قصرت عن معلواتكم ... لأعرب فى تلك الصفات الغرائب
على أننى إذ أبعث الشعر نحوكم ... كما قيل قدما فى السنين الذواهب
كمستبضع تمرا لخيبر أو كمن ... يسوق لفيض البحر نغبة شارب
فلولا رجاء الصفح منكم سترتها ... حذارا لها من كل زار وعائب
ولولا عوادى البين سرنا إليكم ... وبدل بالقرطاس وخد الركائب
وخضنا عباب البحر شوقا فأصبحت ... مكان الجوارى سابقات النجائب
ولكن لعل الله يجمع بيننا ... فنقضى مكنون الحشا والترائب
وإن رأت الأعلام منكم حفاءنا ... ببدء خطاب أو جواب مجاوب
منتم وأحييتم نفوسا حوائما ... تقاد إليكم كاقتياد الجنائب
بقيتم نجوما فى سماء مكارم ... تضىء منار القصد فى كل لاحب

ومن شعره يمدح أبا محمد أيوب بن يركوكان - رحمه الله تعالى -:
[البسيط]

هواك يأبى سوى سهدى وتعذيبى ... وسحر عينيك يغرينى ويغرى بى
ووصلك الدهر مضمون فموعده ... مرجع بين تصديق وتكذيب
علام لحظك يدنينى ويبعدنى ... والصبر ينفذ فى بعدى وتقريبى
وفيم أطمع من لقياك فى عدة ... ميقاتها بين محظور ومندوب

ومنها:

يا روع الله روعـــات الفـــراق فكم ... أذكت حشـاى بجمـر منه مشـبوب

وكم أطالت يد البيـن المشت على ... جـمر الغـرام ونار الشـوق تقليـبى

ومنها:

علقـتـــه يوسـفى الحسـن ألزمنى ... فى صبر أيوب شكـوى بث يعقوب

لم يدرك المجـد والعـليـاء فى زمن ... إلا بكل طـرير الحـد مـــشطوب

ولا أظل رواق العـــز أشـــرف من ... سـراة أجرد سـامى الطرف يعبـوب

ولا أتى الدهر فى أعـلام صـفـوته ... يومـــا بمثل ابن يركـــوكـــان أيوب

الســـائق الناس فى جلى ومكـرمـة ... إلى مـراق من العليـا مـصـاعـيب

والضارب الـهام لم تطبع صـوارمه ... إلا لمصـــرع مطعـون ومـــضـروب

ومنها:

ورب عـميـاء والأبطال قـد بهـتت ... والأسد مـا بين مصـروع ومسلوب

أوقدت جـاحمـها والخـيل موطئـها ... هام الكمـــاة المطاعـين المـضـاريب

وقـد أثرن سـواد النـقع أنجـمـهـا ... زرق الأسـنة فـى صـم الأنـابيـب

وهى طويلة. ومن شعره - رحمه الله -: [البسيط]

أضـحى فؤادك نهب الأعـين النجل ... وضـاع صـبـرك بين الركب والإبل

وهام قلبـك بالأظعـان فـــابتـدرت ... سـوابق الدمع بـين العـذر والعـذل

لم تدر يومـــا سليـمى هـل تودعنا ... أم هل تودع قـلبـــا واهى الحـــيل

راحوا وفى كل قلب ترحة وجوى وخلفوك بقلب منك مختبل

وبالفؤاد وإن قل الفؤاد له ساجى المحاجر أحوى ساحر المقل

منوع الحسن ساجى الطرف مقلته تزرى بهاروت أو تسبى بنى ثعل

مزكب الجسم من غصن ومن قمر مقسم اللحظ بين الغنج والكحل

وشعره - رحمه الله - كثير. وتوفى فى عام ثلاثة عشر وستمائة.

ومنهم:

٣٢ - محمد بن أحمد بن جبير الكنانى[1]

يكنى أبا الحسين، من أهل غرناطة. سكن مالقة وأقام بها مدة، ورحل إلى المشرق وأقام هنالك حتى توفى - رحمه الله -.

وجدت بخط بعض الشيوخ أن أبا الحسين هذا، كان أولاً من العمال المشتغلين بأشغال السلطان، واكتسب مالاً كثيرا. ثم نزع عن ذلك كله، وتصدق بجميع ماله، وزهد فى الدنيا. ولم يزل على ذلك حتى لقى الله تعالى. فكان من أهل العلم والفضل والدين والأدب البارع والكلام الرائق والشعر الفائق. ويحدث عن جماعة من شيوخ الأندلس. منهم أبو الحسن على بن محمد بن أبى العشائر، قرأ عليه القرآن العظيم وحدثه بجميع الروايات. عن أبى الحسن بن الدش، عن أبى عمرو الدانى. وحدث أيضا عن أبى عبد الله الأصيلى الطرطوشى، وعن أبى الحجاج بن يسعون. وحدث عن شيوخ المشرق، عن أبى أحمد عبد الوهاب بن على بن سكينة الصوفى البغدادى، وعن أبى إبراهيم التونسى، وعن أبى حفص الميانشى، وعن أبى

---

(١) انظر: الذيل ٥/ ٥٩٥، والتكملة ٢/ ٤٠٧.

محمد القاسم بن عساكر، وعن غيرهم. وحدث عنه جماعة من أصحابنا. وله كتاب جمع فيه رحلته، وعجائب ما رأى وشاهد، وأتقن فيه غاية الإتقان. وله شعر كثير فى الزهد وغيره، وأدب جم. من كلامه - رحمه الله -: إن شرف الإنسان فبفضل وإحسان، وإن فاق فببذل وإنفاق.

ومن كتبه إلى بعض إخوانه: آن لعصا النوى أن تنصدع، ولضوائق هذه النوائب أن ترتدع، وللأيام أن تنشئ غير هذه المنازع وتبتدع، لشدة ما لعبت بنا من حال إلى حال، وأرتنا الحقيقة فى ملامح المحال. وكان يكفيها أن نثرت نظم ذلك الشمل الذى كنت واسطة عقده، والرسم الرائق فى برده، حتى فجعتنا بفقد من بكت الدنيا وبنوها على فقده. إلى الله المشتكى من صروفها، وهو المسئول عن إزاحة منكرها ومعروفها. ولحين ما أشعرت بكونك على كثب من هذه الجهة، اختلست هذه الأحرف إليك موجهة، من يد خاطر لا يعرج على داعيه، ولا يكاد يسمع سرا ولا يعيه. قد وله فلا يعرف دبيرا من قبيل، ولا يجد إلى العبارة عما يتلجلج فى الصدر من سبيل. لكن بحكم الشوق إلى محاورتك بلسان القلم، رشحت لى صفاته بنبذة من الكلم، فأرسلت عنانه فى ميدان الاختصار، وسلكت به فى شعاب القول على غير استبصار. وأما شوقى إلى لقائك فلا أصفه، ولو خلت ما عسى أن أقول لا أنصفه. وحسبى مما يتحقق من ذلك.....، معينا على تقدير أوكده، فيدخل مدخل الحديث المعاد، وأنت الأعلم به على القرب والبعاد. ولعل الزمان ينبسط وجه إسعافه بلقية نغفر بها بعض ما جناه، ونقتطف الأنس على يديك حلوا جناه، إن شاء الله تعالى.

ولسيدى الفضل فى مراجعة تشفى عن مجتلى أحواله، لا برحت تتقلب فى قبضة آماله، بمن الله عز وجل والسلام.

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب ابن أمير المؤمنين حين هجرته إلى الحضرة **الإمامية** مراكش وذلك فى رمضان المعظم سنة أربع وستين وخمسمائة: **[الكامل]**

بشراى قد **أبصرت** خير إمام ... فى حضرة التقديس والإعظام

أما وقد **ألقت إليه** يد النوى ... فلأعفون جناية الأيام

ولو اننى شئت **انتصارا** لم أكن ... فيهن إلا فاقد الأحكام

أنهضت عزمى **فاستطار** مصمما ... فكأننى أنبت غرب حسام

أهجعت نومى **لابسا** خلع الدجا ... وحدى فما عرجت بالنوام

هى هجعة **هجرت لها** سنة الكرى ... فالجسفن لم يطعم لذيذ منام

حم الردى فاخترت ريا كأسه ... والحر رياه بحر حمام

لم أكترث **لشتات** شملى بالنوى ... فكأنما للشمل جمع نظام

شوقا إلى **دار الخلافة** إنها ... دار الهدى ومعرس الإسلام

من كل **معطية** على علاتها ... وخدا لها فى الشهر سير العام

جب السرى **منها** سنام فقارها ... فكأنها خلقت بغير سنام

فأتت كأمثال **القسى** ضوامرا ... ولربما مرقت مروق سهام

وافت أمير **المؤمنين** بنا على ... شحط النوى فلها يد الإنعام

لو أنعلت حر **الخدود** كرامة ... لم نقض واجبها من الإكرام

ولو استطعنا **لم تكن** تطأ الثرى ... إلا على الأرواح والأجسام

كيما ترى ما دام إبضاع لها ... لا تشتكى من وضع خف دام

وبودنا لو لم نكلفها السرى ... ليكون هذا الحق للأقدام

حتى إذا رفع الحجاب بدا لنا ... ملك وقل إن شئت بدر تمام

فتسكن الجأش الطموح عبابه ... بطلاقة من وجهة البسام

ودنا الجميع للثم راحته التى ... هى معدن الأرزاق والأقسام

وانهل بعد تعلل بسط المنى ... فتلا وميض البرق صوب غمام

وهى طويلة.. ومن شعره فى الممدوح المتقدم الذكر: [الكامل]

عيد بما يهوى الإمام يعود ... ما اخضر فى وجه البسيطة عود

لولا لزوم الشرع لم نحفل به ... إذ كل يوم فى ذراه لعيد

حيا بما للعيد بدر خلافة ... يهنيه إن قرانه لسعيد

وأتى يجرر بالمجرة ذيله ... ركضا وإن مزاره لبعيد

وكأنما أضناه شوق لقائه ... أمن الأهلة هائم وعميد

لم تثنه الأشواق عن حسد له ... إحدى العجائب وامق وحسود

بشرى أمير المؤمنين فإنه ... عيد حدته للفتوح سعود

طرب الجواد وقد علوت بمتنه ... حتى كأن صهيله تغريد

يهفو بعطفيه المراح فيرتمى ... لعبا وينقص تارة ويزيد

ولربما سألت عليه سكينة ... حتى تخال بعطفتيه خمود

يزهى فيظهر نخوة لما رأى ... بك أنه فى حسنه محمود

كيف استقل بطود حلم راجح ... والطود يثقل حمله ويئود

لو كنت ترضى نعلته خدودها مستشرفين به الملوك الصيد
ملك تود النيرات لو انها حلى على أعطافه وفريد
أو ما كفاها أن شسع نعاله بجبين أشرفها سنا معقود
يا من يروم بلوغ بعض صفاته هيهات ليس لكنهها تحديد
كم ذا تحاول عد زهر خصاله أقصر فما لأقلها تعديد

ومن شعره - رحمه الله -: [الطويل]

ويوم تضوع الشمس حليا بحسنه تفضضه طورا وطورا تذهب
تريه كحلى مشرق الوجه فى الضحى وتضمر شجوا فى الأصيل فينحب
تبسم عن ثغر العشية مثل ما جلا صفرة المسواك العس أشنب
تجلى به غضن تطلع بشره فقلنا أيبدو الصبح والشمس تغرب
وقد قابلتنا من سجاياه نفحة أنم من المسك الفتيق وأطيب
شمائله تزهى الشمول بطيبها وما خلت أن الراح بالراح تعجب
تدار علينا بالكئوس كواكب إذا غاب منها كوكب لاح كوكب
فنشربها فى ورده وهى عندنا ألذ من العيش الهنى وأعذب
بمجلس أنس ودت الشمس لو ترى كئوسا بها بين الندامى فتشرب
يذكرنا دار النعيم بحسنه يعيد شباب المرء والمرء أشيب
محبتنا أضحت إليه وسيلة فتدنى إلى مرضاته وتقرب

ومن شعره - رحمه الله - فى طاق مجلس: [المنسرح]

أصبحت مثل الجنان فى الصدر ... أصون ما أحتويه كالسر
فى خير قصر تريك ساحته ... فى مطلع الشمس مطلع البدر
كأننى فى جدار مجلسه ... عين وبابى جفن بلا شفر
فلتدع يا مبصرى لساكنه ... بالسعد والملك آخر الدهر

ومن شعره - رحمه الله - فى منقلة: [الكامل]

أنا للندامى نزهة المستمتع ... تبدو نجوم سعودهم فى مطلع
ما بى موضع لحظة إلا احتوى ... نقلا فلى فى النفس أكرم موضع
أنا مستطيل الشكل إلا أننى ... قسمت بين مسدس ومربع
فمتى أكن والأقحوان بمجلس ... لم يؤثر الندماء إلا موضعى
الفضل لى وإن اشتبهنا منصبا ... وكفى بأنى من ذوات الأربع

وكتب إلى أبى الحكم بن هرودس - رحمة الله عليه -: [المتقارب]

أبا حكم أين عهد الوفاء ... فقدما عهدتك تعزى إليه
وما العذر فى أن أتاك الرسول ... فأصدرته ضاربا صدرتيه

وأهدى إليه صهره الوزير أبو جعفر الوقشى، وكتب معه: [المتقارب]

بعثت إليك بخل كريم ... يمد إليك ذراع النجاد
فوشح به معطفيك إذا ما ... دفعت إلى جوب بيد البلاد
وسر نافذا حاكيا مضربيه ... ملقى من السعد فوق المراد

وأب تحت عـــرض كـــثـــيفْ كـمـا آب فى العـــمـر يوم الجـلاد

فراجعه أبو الحسين - رحمة الله عليهما -: [المتقارب]

لك الشكر شـفـعت بيض الأيادى بأبـيض صـــافـــحنى بالنجـــاد
تهـــادى بـأربعـــة مـــثـله حـــداد لبـــسن حـــداد المداد
سـيـوف مـن النظم مطـبـوعـة مـقللة عـــرك كل انـتـقـــاد
أتتنى فـى الطـرس مـــسلـولة فـأغـمـدتهـا فى سـواد الـفـؤاد
فـأعـــددت هذى ليـوم الفـخـار وأعـــددت هذا ليـــوم الجـــلاد

ومن شعره - رحمه الله - وكتب به إلى أبى الحسن بن مرتين: [الرمل]

لا وأعطـاف الغـــصبـــون المـيس والصـــبـــا تزجى عـليل النـفس
وابتـســـام الروض للطـل وقـد رقـــرق الدمع يجـــفن النـرجس
مـــا رأينا يوم أنـس مـــثـله كـــان أسنى بغـيـة الملـتـمس
وتلتـــه ليلة صـفـــحـتـهـا ألفـت شـمل انـشـراح الأنـفس
أضـحك الـلهـو بنا ثغـــر المنى فـبـدت سـمـرتهـا كـــاللعس
جـمـعت أطرافـهـا من قـصـر للفـــتى مـغـربهـا كـــالـغلس
وسـمت زهـر الليـعـالى حـليـة فـتـــحلت بنجـــوم الأكـــؤس
وابنـة الكرم عـــروس تجـــتـلى فـتـخـيل حـــسن ذاك المعـــرس
نزهـة قـــادت إليـــهـــا زورة فـــاغـــتنمـهـا نظـرة المخـتلس
يا لـه من مـــجـلس فـــزت به من فـتى شـرف صـدر المجلس

علق مجد جاد من خلته ... لى بالعلق الخطير الأنفس

لأبى عمرو بن مرتين على ... أنطقت بالمدح أهل الخرس

أروع يطلع من آدابه ... شهبا تجلو دياجى الحندس

ذو بنان مثل شؤبوب الحيا ... وذكاء كاشتعال القبس

من يسابقه إلى معلوة ... رام بالعير سباق الفرس

ومن شعره: [الكامل]

علقته كالسيف راع بهاؤه ... لكن بغير جوانحى لم يغمد

عافوا العذار بصفحتيه وما دروا ... أن الفرند يزين كل مهند

ومن شعره: [مخلع البسيط]

مولاى إنى بحال شوق ... كل اصطبار به يحول

مرتقبا زورة عساها ... تشفى جوى هاجه الغليل

أرسلت فيها إليك قلبى ... وما أرى يرجع الرسول

ومن شعره: [الوافر]

أبا يحيى أما فى الرى فضل ... تجود به فقد طال الظماء

فأطلعها لنا حمراء نبصر ... بها شفقا تضمنه الإناء

وليس بلونها لكن أغبت ... زيارتها فخامرها الحياء

ومن شعره وكتب به إلى بعض إخوانه يصف لعبة كرج كانت بمجلسه: [مخلع البسيط]

يا خير خل فدته نفسى ... والنفس فى حقه تهون
حدثت عن مجلس أنيق ... فى مثله يحسن المجون
جال به فارس ظريف ... تتبعه لحظها العيون
فى شكة الحرب قد تبدى ... يرجمه وهمها الظنون
ذو حركات يخف فيها ... من لم يزل دأبه السكون
رقت فلو أنها نسيم ... ما شعرت مسه الغصون
لو أنه جال فى المآقى ... لما أحست به الجفون
فهل إلى مثله سبيل ... ومثله قلما يكون

ومن شعره: [المتقارب]

ألا رب عرض امرئ مسلم ... بغير لسانك لم يستبح
إذا كنت فى الناس ذا غيبة ... تبيح بها منكرا لم يبح
فلست بأول ذئب عوى ... ولست بأول كلب نبح

ومن شعره: [الطويل]

يقولون إن العين داعية الهوى ... ولو صح ذا ما كانت العين تعشق
فؤاد الفتى لا عينه يوجب الهوى ... فرؤيته من رؤية العين أصدق
وليس بكاء العين حبا وإنما ... لإشفاقها للقلب تبكى وتشفق

ومن شعره: [الكامل]

بأبى رشا سفكت دمى ألحاظه ... وسبى برائق حسنه الألبابا
من كان ينكر سفكه فليأته ... يرمق دمى فى راحتيه خضابا

ومن شعره وقد هجره محبوبه: [السريع]

يا رشأ حظى إبعاده ... وحظ غيرى منه إسعاده

خبت وكل نال منك المنى ... أسعد أهل الحب أوغاده

بى ظمأ برح ولكنه ... زهد فى المورد وراده

ومن شعره فيه وقد جلس بين ثقيلين: [الكامل]

لو كنت تبصر منذ يوم قد نأى ... تيسين ضمهما وظبيا مجلس

لعجبت قبحا منهما وملاحة ... منه وقلت حظيرة أم مكنس

ومن شعره فيه على هذا الحال - رحمه الله -: [الكامل]

أفقيهنا المستن دينا والذى ... شهدت له بالفضل منه واهد

لو تبصر ابن سعادة ونديمه ... قد حل بينهما الغزال الشارد

لرأيت من ثقل عليك وخفة ... جبلين بينهما نسيم راكد

ومن شعره، وقد أزمع على حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه - عليه السلام -: [الوافر]

أقول وقد دعا للخير داع ... حننت له حنين المستهام

حرام أن يلم بى اغتماض ... ولم أرحل إلى البيت الحرام

ولا طافت بى الآمال إن لم ... أطف ما بين زمزم والمقام

ولا طابت حياة لى إذا لم ... أزر من طيبة خير الأنام

فأهديه السلام وأقتضيه ... رضى يدنى إلى دار السلام

وله من قصيدة يتشوق بها إلى أهله - رحمه الله -: [المتقارب]

غريب تذكر أوطانه ... فهيج بالذكر أشجانه

يحل عرى صبره بالأسى ... ويعقد بالنجم أجفانه

ومن شعره: [مخلع البسيط]

طهر بماء التقى جنانك ... واصحب على حاله زمانك

ودار أبناءه عسى أن ... تنال من بغيتهم أمانك

واصمت إذا ما سمعت لغوا ... ولا تحرك به لسانك

ومن شعره يرثى ابنه أحمد: [الطويل]

رأى الحزن ما عندى من الحزن والكرب ... فروع من حالى فلم يستطع قربى

وأظهر عجزا عن مقاومة الأسى ... وأيقن ألا خطب أعظم من خطبى

وقال التمس غيرى لنفسك صاحبا ... وقل للردى حسبى بلغت المدى حسبى

فقلت وهل يكفينى الوجد صاحبا ... وكيف وما بى قد تعدى إلى صحبى

فلما انتهت بى شدتى فى مصيبتى ... وبرح بى يأسى رجعت إلى ربى

فأستنشقن روح الرضى بقضائه ... فناديت يا برد النسيم على قلبى

إلى الله أشكو بالرزايا وفعلها ... فقد كدرت شربى وقد روعت سربى

سل الليل عنى هل أمنت إلى الكرى ... فكيف وأجفانى مع النوم فى حرب

وقد رق لى حتى تفرى أديمه ... وأقبل يبكينى بأنجمه الشهب

لحالى أبدى الرعد أنه موجع ... ولى البرق شع فى الترامى مع السحب

ولى لبس الجو الحداد بدجنة وأسبل دمع القطر سكبا على سكب

ومن أجل ما بى أبدت الشمس بالضحى شحوب ضنى قبل الجنوح إلى الحجب

على واحد قد كان لى ففقدته على غرة فقد الجوانح للقلب

فحزنى عليه جاوز الحد قدره ولا حزن يعقوب ويوسف فى الجب

وأكثر إشفاقى لأم حزينة مقسمة بين الأسى فيه والحب

وأذهلها عن حالها فرط وجدها عليه وقد يستسهل الصعب للصعب

بنى أجبها فهى تدعوك حسرة وأدمعها تنهل غربا على غرب

بنى أحقا صرت رهن يد البلى ونهب الثرى أمسيت يا لك من نهب

بنى عساها نومة فانتباهة فكم ذا أنادى العين طال الكرى تعبى

بنى أعرنى من منامك خلسة لعلى أن ألقى منای من الغيب

بنى أرحنى بالإجابة مخبرا فقد كنت ذا رأى فما لك لا تنبى

بنى وفى طى الحشا كنت ثاويا فكيف سخت نفسى بدفنك فى الترب

فلا غرو أن أضحى لك الغرب مدفنا فإن مغيب الشمس والبدر فى الغرب

لقد هصرت كف المنون إلى البلى قضيب شباب كان من أنضر القضب

فيا غصنا خفت أزاهر حسنه تحليك أجفانى بلؤلؤها الرطب

ويا أحمد المحمود قد كنت مشبها بطيب الخلال الحلو والبارد العذب

لآل جبير فيك أى فجيعة فما منهم من يستفيق من الكرب

وقد كنت وسطى العقد فيهم فربما نقصت فصار العقد منتشر الحب

وكم خالة أمست عليك بحالة ... من الحزن ما تنفك ذاهلة اللبْ
وأبناء خالات تسقيهم الأسى ... كئوسا وهم حتى إلى الآن فى الشرب
وصاحبة قد كنت صبا بذكرها ... وكنت لها حبا وناهيك من حب
فأنت وهامت فيك بالوجد والأسى ... وحق لها فالصب يفجع بالصب
وراحت بأثواب الحداد وطالما ... لها كنت تستخفى الحرير مع العصب
وكم أجنبى فيك قد بات ساهرا ... تقلبه الأفكار جنبا إلى جنب
رزقت قبولا ما سمعت بمثله ... فهذا على هذا بإشفاقه يربى
وكنت وصولا للقرابة جاريا ... لمرضاتهم برا بريئا من العجب
مجدا إذا كلفت أمر ملمة ... مضيت مضاء السهم والصارم العضب
جوادا كريم النفس تلتذ بالندى ... فتسخو ولا تخفى وتحيى ولا تجبى
حريصا على نيل المعالى بهمة ... كسبت بها من ذخرها أفضل الكسب
وكانت لك الآداب روضة نزهة ... وكنت محبا فى مطالعة الكتب
تفتق زهر النثر فى الطرس يانعا ... وتنظم در الشعر نظما بلا تعب
وما زلت بالهدى الجميل وبالحجا ... معزا لأهل فى البعاد وفى القرب
وزاد على العشرين سنك أربعا ... فعاجلك الحين المقدر بالذنب
شهيدا بطاعون أصابك بغتة ... كمثل شهيد الطعن فى ساحة الضرب
وكنت غريبا فاستزدت شهادة ... لأخرى كبشرى سيد العجم والعرب
أطلت مغيبا ثم جئت مودعا ... إلى سفر يدنو مدلا على الركب

ولم أشف من لقياك قلبى فليتنى ... لبرح اشتياقى لو قضيت به نحبى

وعقباك بعدى كنت أرجو بقاءها ... زمانا ليبقى من بنيك بها عقبى

رضيت بحكم الله فيك فإنما ... نقلت لحزب الله بورك من حزب

وإنى لراض عنك فابشر فبالرضى ... أرجى لك الزلفى ومغفرة الذنب

فجادت على مثواك مزنة رحمة ... وبوأك الرحمن فى المنزل الرحب

وشعره - رحمه الله - كثير موجود بأيدى الناس. وتوفى - رحمه الله تعالى - بالإسكندرية فى ليلة الأربعاء السابع والعشرين لشعبان عام أربعة وعشرين وستمائة.

ومنهم:

٣٣ - محمد بن على بن الحسن بن عبيد الله بن حسون[1]

ابن عيسى بن الحسين الكلبى، القائد. يكنى أبا عامر. حسبه مشهور. كان - رحمه الله - جليل المقدار. ولى مالقة نحوا من عشرين سنة إشرافا ونائبا فسار فى أهلها سيرة حسنة ورأوا معه من المسرة والأفراح ما لم يروه مع أحد قبله ولا بعده من الولاة. كثير العطاء والنبل، محسنا للفقراء. كانت ولايته أيام الأمير أبى عبد الله الناصر. قدم على مالقة فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. وعقبه بمالقة إلى الآن. ولم يكن مشهورا بطلب. لكنى وجدت بخط خالى - رحمة الله عليه - ما نصه:

أنشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو الطاهر بن على السبتى، قال: أنشدنى القائد أبو عامر عند توجهه إلى الحضرة فى عام أربعة وستمائة من شعره: [الطويل]

(١) انظر: الذيل ٤/ ٢١٤.

جنى جنة الرضوان هذا الذى يجنى ... أعـدنا ولم نلق الصـفاء إلى عـدن
أيا وفـد باب القـوس بـلغـتم المنى ... فـحطوا بيـاب الفـوز والطول والمن
وهبـوا لإصـبـاح الســلام وثوبوا ... سراعـا بما لبى الحجـيج لدى الركن
تلقــوا بإلقــاء المســامع شـهــدا ... معـانى الدنى إنى أخاف على ذهنى
فكل الـذى عم البــلاد مــهــابة ... توفـر أضـعافـا على عـبـدها القن
فـأذهل عقلى واسـتـهلت مدامـعى ... فـشكرا لعـينى إنهـا خـبـرت عنى
وعاودنـى شرخ الشـباب مـصاحـبا ... فـهـا أنا ذا قـد زاد سنى على سنى
وأنمى بروحى فى فــؤادى وأعظمى ... فمـا عشهـا أزرى بضعف ولا وهن
فـمـا قـدر المسكـين بين عـواطف ... تفيض على المملوك رحمى أب لابن
غـذيت بها لكـن وجدت رياحـتى ... وأصفى الزلال العذب ما كان فى المزن
وكنت رهين الـشـوق جـاء فكاكـه ... وقد غلب الإشـفاق من علق الرهن
فـبت خلى الـبـال من كل حـاجـة ... ومن نومه المسرور يزجـيه فى الجفن
بـأى لســـــان أم بـأيـة فكـرة ... أعـبر عـن عجـز الخـواطر واللسن
أيشكرهـا نطفى وذاتى بعــضـهـا ... ومنهــا أفـاد الشكر نطـقى لا منى
وإحـصــاء مـا لم يأت دهـر بمثله ... عـزيز لو استظهـرت بالإنس والجن
وقـد خص مــولانا الخليــفـة ربه ... بكل الذى يدعـو به العبـد أو يثنى
فـلم يـبق لـى لما حـلـلت بـجنـة ... سـوى أن أقول الحـمـد لله ذى المن

هكذا ألفيتها بخط خالى - رحمة الله عليه -. وذكر لى شيخى ومعلمى الفقيه الأجل الأستاذ العالم المحقق أبو عبد الله الاستجى، أن هذه القصيدة صنعها للقائد أبى عامر المذكور أحد الطلبة، وأنها ليست من شعره، وهذا هو الصحيح، والله أعلم.

وتوفى القائد أبو عامر - رحمه الله - فى يوم الخميس الخامس من رمضان المعظم عام أربعة عشر وستمائة. ودفن فى جنانه بمالقة، عفا الله عنا وعنه بمنه وكرمه.

ومنهم:

٣٤ - محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن يوسف الأوسى[1]

المشهور بالقرطبى. وهو والد شيخنا الفقيه الأجل الخطيب المحدث الورع أبى إسحاق القرطبى - أكرمه الله -. وكان - رحمه الله - مكتبا للصبيان بربض التبانين. أصله من قرطبة. استوطن مالقة وأقام بها سنين إلى أن توفى - رحمه الله -. وكان من أهل الفضل والدين والورع والزهد مقرئا لكتاب الله تعالى عالما بطرق روايته قائما على تجويده وإتقانه حافظا للفروع. وله أخبار ورؤيا تدل على فضيلته - رحمه الله -. حدثنى من أثق به أن أبا عبد الله هذا كان خارجا لصلاة الصبح، أو نائما إثر صلاة الصبح - الشك من المتحدث - فسمع مناديا ينادى: عبدى عبدى، فوقع فى نفسه أن النداء من قبل الله تعالى، فقال: نعم يا رب. فكان يقال له: أرضيت، فيقول: نعم يا رب رضيت. فكان يقول له: ارض عنى، فإنى قد رضيت بحبك.

---

(١) انظر: الذيل ٦/٣٣٣.

ومن أظرف ما يحكى عنه أنه كان فى إحدى الليالى نائما فرأى امرأة بطفل فى ذراعها وهى فى حفرة من نار موقدة تضطرب فيها، فكانت تطلب منه أن يخرجها منها، فكان يناولها يده ليخرجها، فضرب أصبعها على سرته، فأصبح الموضع وأثر النار فيه. وفضله وعفافه - رحمه الله - كثير. وتوفى عشى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين لربيع الأول عام سبعة عشر وستمائة.

ومنهم:

٣٥ - محمد بن أبى العباس الشلبى

يكنى أبا عبد الله. كان كاتبا بليغا وشاعرا مطبوعا. وجدت بخط شيخنا الفقيه الأجل أبى عمرو بن سالم - رحمه الله -، قال: أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أبى العباس المذكور لنفسه من شعره: [الوافر]

أقول لصاحبى والدمع جار ... وأيدى العيس تخدى بالرمال
وداعى البين يوم البين يدعو ... ألا جدوا بتقويض الرحال
فقد ذاب الفؤاد وحن شوقا ... لأيام التآلف والوصال
رويدك كف عن عذلى فإنى ... أجد السير فى طلب المعالى
ولو كان الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الليالى

قال الفقيه أبو عمرو: فكتبت إليه فى الحين: [الوافر]

أجدت القول يا ترب المعالى ... فكعبك فى محل الفخر عال
سموت على سماء المجد حتى ... بدا لك نجمها تحت النعال
إلى كم ذا تروم علىّ وكم ذا ... تجد السير فى طلب المعالى

ومما ذكر له: قطعة نذكرها عند ذكر أبي محمد عبد المحسن إن شاء الله.

ومنهم:

٣٦ - محمد بن أحمد بن عيسى بن جدار[1]

المشهور بالحميري، يكنى أبا عبد الله. كان - رحمه الله - من أهل الأدب. ومن شعره - رحمة الله عليه -: [الخفيف]

لي حبيب يفاخر الشمس حسنا ... وهو والله في المحاسن فائق

قد دعوه موفقا على وفق ... وحبيب النفوس كل موافق

فاتن في الجمال يختال ظرفا ... فيروق العيون والظرف رائق

زهري الطباع يهوى ويهوى ... فهو معشوق كل نفس وعاشق

إن يخاطبك في رموز هواه ... تبصر البدر بالعجائب ناطق

إن أفارقه باضطرار وقهر ... لست بالحب والذمام مفارق

كل من عاقني عن الحب فيه ... فهو للحق والحقائق عائق

قد سكرنا بحبه وطربنا ... فهجرنا الطلا وتلك الأبارق

برح الصب بالعلائق شجوا ... يا لها في فؤاده من علائق

هكذا وجدته مذكورا. وشعره في بعض تقييدات الفقيه أبي عمرو بن سالم - رحمه الله -. قلت: ولا أعرفه بغير ذلك.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٥٤.

ومنهم:

٣٧ - محمد بن نزار

يكنى أبا عبد الله. قدم على مالقة. وأصله من ميورقة. هكذا ألفيت بخط الفقيه أبى عمرو بن سالم - رحمه الله -: وجدت بخط الفقيه الأجل أبى الطاهر السبتى قال: أنشدنى الوزير الكاتب أبو عبد الله بن نزار الصنعة من مالقة، وقد جرت بينى وبينه مذاكرة فى أبخر، من شعره فى أبخر: [البسيط]

وأبخر كنفت أسنانه بخرا ... إذا تنفس مات الروح والروح

كأنما هى ألواح مسمرة ... على كنيف ومنها قد مضى لوح

وكان كاتبا محسنا وشاعرا مجيدا. واشتغل بصنعة التوثيق وسدد بالجملة فيه - رحمه الله -.

ومنهم:

٣٨ - محمد بن الولى

يكنى أبا عبد الله. كان - رحمه الله - من الطلبة النبهاء، أديبا شاعرا لبقا. وكان حديث السن. أنشدنى شيخنا الفقيه الأديب المحدث أبو إسحاق القرطبى - أكرمه الله -، للفقيه المذكور فى صبى حسن الصورة، أجرى فرسا بساحل مالقة، فقال يصفه: [الطويل]

رأيت غزالا فوق طرف كأنه ... هلال بدا تحت الدجنة يشرق

فقلت له لما انثنى عطف شارة ... ومر كبرق لاح بل هو أسبق

عبيدك يا نجل السيادة هالك ... ببحر الهوى إن لم تغثه سيغرق

فأنت الذى حزت المكارم والعلى ... وأنت الذى قلبى إليه موثق

أخبرنى به شيخنا أبو إسحاق المذكور، وغير واحد. قلت: ولا أعرفه بغير ذلك.

ومنهم:

٣٩ - محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقى ويعرف بالملاحى[1]

كان - رحمه الله - فقيها محدثا حافظا ثقة ورعا فاضلا من علية العلماء. وله تآليف نبيهة كالأربعين عن أربعين، وككتاب لمحات الأنوار ونفحات الأزهار فى فضل القرآن، وكان أديبا يقول الشعر. نقلت من خط خالى - رحمة الله عليه -، وقد ذكر أبا القاسم المذكور، فقال: هو - رضى الله عنه - محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن فرج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن حقل بن مروان بن حقل الغافقى الغرناطى المشهور بالملاحى. ومروان هو الداخل إلى الأندلس.

قلت: وأصله من غرناطة كما ذكر، إلا أنه قدم على مالقة، وأخذ عنه العلم بها - رحمه الله ونفعه بمنه -. مولده سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وتوفى لخمس خلون من شعبان سنة تسع وعشرين وستمائة.

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٤١٣، والتكملة ٢/ ٦٠٩.

ومنهم:

٤٠ - محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عياش التجيبى[١]

يكنى أبا عبد الله. هو الكاتب المشهور الجليل المقدار. كتب لأمير المؤمنين المنصور، فكان يظهر له فى كتبه من البلاغة والفصاحة ما يدل على معرفته وحفظه. وكتبه مشهور.

حدثنى خالى أبو عبد الله بن عسكر - رحمة الله عليه -، أن الكاتب أبا عبد الله هذا، كتب يوما كتابا ليهودى، فكتب فيه: ويحمل على البر والإكرام. فقال له المنصور: من أين لك أن تقول فى كافر: يحمل على البر والكرامة. قال: ففكرت ساعة، وقد علمت أن الانفصال يلزمنى عما ذكرت. فقلت له: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»، وهذا عام فى الكافر وغيره. فقال لى: نعم، هذه الكرامة. فالمبرة من أين أخذتها. قال: فسكت لم أجد جوابا. قال: فقرأ المنصور: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة آية ٨]. قال: فسررت بذلك كثيرا وشكرته عليه. وكان أبو عبد الله هذا كاتبا بليغا شاعرا مؤثرا عالى الهمة، معظما عند الملوك مقربا لديهم. قدم علينا لمالقة، وقرأ بها على الأستاذ الجليل أبى زيد السهيلى - رحمه الله -، وصحب فى حين القراءة عليه الأستاذ أبا على الرندى. قال خالى - رحمة الله عليه -: إن شيخنا أبا على أخبره أنه لما قدم مراكش، لقى

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ٣٨٤، والتكملة ٢/ ٦٠٥.

بها الكاتب أبا عبد الله، فانتفع به فى قضاء مآربه، ونالها على الكمال والتمام بسببه. ومن شعره - رحمه الله -: [الطويل]

بلنسية بينى عن القلب سلوة ... فإنك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت ... على صارمى جوع وقتلة مشرك

قال الفقيه أبو البحر صفوان بن إدريس فى كتابه المسمى بزاد المسافر، وقد ذكر الكاتب أبا عبد الله بن عياش: اجتمعت به ليلة بمراكش، فقال ابن عياش مرتجلا: [البسيط]

وليلة من ليالى الصفح قد جمعت ... إخوان صدق ووصل الدهر مختلس

كانوا على سنة الأيام قد بعدوا ... فألفت شملهم لو ساعد الغلس

وله من قصيدة:

أشفارها أم صارم الحجاج ... وجفونها أم فتنة الحلاج

فإذا نظرت لأرضها وسمائها ... لم تلف غير أسنة وزجاج

وأدبه - رحمه الله - كثير، ومنصبه شهير.

ووصفه الأديب أبو عبد الله بن مرج الكحل فى صدر كتابه الذى جمع فيه شعره، وطرزه باسم الكاتب أبى عبد الله المذكور، بعد أن قال: ولما جنيت ثمر الانقطاع والانحياش، من الرئيس الأوحد أبى عبد الله بن عياش. جمعت شتاته، ووصلت بتاته، فرسمته باسمه، ووسمته بوسمه، وعوذتها من نفثات المتعسفين بسور كرمه، وأمنتها نقد المنتقدين فى فناء حرمه، على أنى ما نظمت إلا منثوره، ولا ضمنت إلا حكمه المأثورة، عرفت فاعترفت، ونلت حين وردت بحره فاغترفت.

ولابن مرْج الكحل فيه نظما ونثرا: [الوافر]

لقد طلع ابن عياش شهابا شهاب الأفق يلثم أخمصيه

أطرز باسمه ديوان شعرى وكان له فعاد إلى يديه

إذا كانت معانى الشعر منه فقد ردت بضاعته إليه

فما طمحت الهمم إلى كلامه، إلا نكصت على أعقابها، ولا برزت الوجوه إلى أن تعاطيه، إلا استترت بنقابها. كلامه يبهر الخواطر ويستوقف الخاطر، ويدر الجمام ويستوكف الماطر.

ولابن مرج الكحل المذكور فيه أمداح كثيرة. وله فيه من قصيدة مدحه بها: [الطويل]

إذا ما ابن عياش تدانى محله فلا عيش إلا وهو فيه خصيب

كريم السجايا أريحى سميدع أغر طليق الراحتين وهوب

ومنها:

تبوأ من دار الخلافة رتبة أقام بها كيوان وهو مريب

ومنها:

فحسبى من فخر وأنت مقلد مقالك عنى إنه لأديب

ومولد الكاتب أبى عبد الله المذكور ببلده برشانة عام خمسين وخمسمائة.

وتوفى - رحمه الله - بمراكش فى شهر رجب عام ثمانية عشر وستمائة.

ومنهم:

٤١ - محمد بن أبى بكر بن ولاد الأنصارى

يكنى أبا عبد الله. كان - رحمة الله عليه - من أهل الفضل والعدل والدين. وكان أمين قيسارية مالقة، مقصودا من البلاد، مؤتمنا على الودائع، يقصده الملوك والسادات فى حوائجهم. وكان - رحمه الله - طالبا حافظا للقرآن، ذاكرا للحديث. قرأ على الفقيه الحاج الزاهد أبى الحجاج ابن الشيخ -رحمه الله-، ولازمه وانتفع به، والفقيه أبى عمرو بن سالم -رحمه الله-.

وله يمدحه: [البسيط]

جزى الإله ابن ولاد وما ولدا ... خيرا وبرا على ما قال واعتقدا

هو الأمين الذى يمناه قد وكفت ... فكفه ليس تدرى غير بذل ندى

بر وفى كثير الجد همته ... درء الهموم فيعطى كل من قصدا

محدث لفنون العلم راوية ... يلقى الحديث صحيحا كالذى وردا

وإن تكلم فى فقه وفى أدب ... فما تقيس عليه فى الورى أحدا

عدل تقى كأن الله صوره ... دون البرية شخصا من تقى وهدى

لذاك قلت وقد عمت فضائله ... جزى الإله ابن ولاد وما ولدا

ومنهم:

٤٢ - محمد بن يوسف بن عمار المكتب

يكنى أبا عبد الله. هو أول من أدبنى وعلمنى القرآن - رحمه الله، ونفعه به -.

كان - رحمه الله - فاضل الخلق، حسن العشرة، موطأ الأكناف، مشفقا. فقد كنت أقرأ عليه القرآن فى الصغر، وأنا يومئذ من نحو ست سنين، فربما كان النوم يغلبنى، فكان يضمنى إلى نفسه، ويغطينى بردائه، جزاه الله خيرا وأسكنه الجنة بمنه. وكان - رحمه الله - فاضلا ورعا، منزويا عن الناس، حسن الخط، مجودا للقرآن، حسن الإيراد له، كاتبا بليغا، وشاعرا مطبوعا. لما حدقت عنده - رحمه الله - فى سورة / ٦٥ فاطر / ٦٥، وجه خالى - رحمة الله عليه - الحدقة إليه، وكتب له معها أبيات شعر يستعذر له فيها: [مجزوء الكامل]

عذرا أبا عبد الأله ... فإنه نزر يسير

وأقبل قليل أخ له ... فى وده العدد الكثير

لو كان يهدى قدر ما ... يخفى من الود الضمير

لم يرض ثهلانا ولم ... يقنع بوزنته ثبير

دامت بكم تحيى النفوس ... هدى فتنشرح الصدور

ثم السلام عليك ما ... لاحت بآفاق بدور

فأجابه أبو عبد الله المذكور: [مجزوء الكامل]

لله درك من أخ ... قد جل قدرا عن نظير

أكتبت معتذرا وقد ... أفحمت بالبر الشكور

وبذلت ما يسخو به ... فى الجود أرباب الدثور

حيت سحاءتك اللتى ... فى كتبها منك الضمير

من خـــــالص الـود الـذى ... مـــا مـثـله العـذب النـمـيـر

فـلـك الـتـنـضـول والـنـدى ... ولك الـسـيـادة والظـهـور

لا زلت فـى سـعـد يدوم ... مـــدى الـلـيـــالى والـدهور

مـــا لاح نجم فـى الـدجنـة ... أو ســرى قـــمـــر منـيـر

وعليـك من مـحـض التـحـيـة ... مـــا نمى المسك النـشـيـــر

وكـتـب فى آخر القطعـة بنثـر، وهو: وردت على، أدام الله توفيـقك، وأنجح إلى مرضاته طـريقك، أبياتك تفصح عن ودك، وقد اقـترنت برفدك، على حـين أقفـر من خطة النظم ربعى، واخـتل فيـه طبعى، لأنى كنت قـد عطلت وترها، ونظرت إلى بعـين من وترها، فرمت فـى الحين مجـاوبتك. وكيف وبيـن يدى من يجاذبنى من كل وجـهة، ويرمى خاطرى عنـد تسديده بكل شـبهة. فـما لى منـه بعد ضـجر، بشيء دون خـشونة الحجـر. وأنت بأفـضالك، تغـضى على هناته مـتطولا بذلك. وكتب مـحبكم فى الإعـلان والإسرار، محمد بن عمار. والسلام عليكم ورحمة الله.

وتوفى - رحمـه الله - فيمـا أظن فى شهر ذى حـجة آخر عـام أربعة وعشرين وستمائة.

٤٣ - محمد بن أبي غالب العبدري المشتهر بالداني[١]

يكنى أبا عبد الله. وكان أبو عبد الله هذا أديبا كاتبا شاعرا مطبوعا. وجدت بخط شيخنا الفقيه أبي عمرو بن سالم قال: حدثنا صاحبنا الفقيه أبو داود سليمان ابن القاضي أبي العباس ابن أبي غالب، قال: نهضنا إلى قرية ذكوان، ولم يكن غرضنا إلا أن نرى مكان أبي الحسين بن الفخار، لما عهدنا من حسنه، فنزلنا عند أصحاب، ثم بعثنا إليه صبيا قال لي الفقيه: فاتفق أن حملوه بعض أشراطه، وأظن أنه من عنبر الغال. وعند خروج الفتى من الموضع عضه أحد الكلاب ومزق أثوابه، فنظمنا أبياتا وبعثنا بها إليه. فقال أخي محمد: [الوافر]

لقد حزت ابن كامل المساوى ... وباينت المروءة والسخاء

ولا عجب وأنت عديم عقل ... ورأى محوت لنا الإخاء

وإن ناديت باسم أبيك حقا ... وضعت به مكان الكاف خاء

فقال أبو داود: وقلت أنا: [المتقارب]

وأنطقنا شكر إحسان من ... أبى الحسن لما تكنى به

يقول أناس وهم معجبون ... بأخلاقه وبآدابه

أعد لنا شاكر يومنا ... ونحن وقوف على بابه

كلابا تقطع أثوابنا ... وقالع ضرس بكلابه

فمن ذا يروم ندى شاكر ... وهذان من بعض حجابه

---

(١) انظر: الذيل ٥/٥٨٧.

قال: ثم كتبنا له أسفل البطاقة: إلى الفقيه الوزير فى أن يبين لنا أى الشعرين أطبع، والسلام. وبعثنا بالبطاقة إليه، فكتب إلينا: [المتقارب]

لحا الله من حد لطف المقال ... عن الحسن من كل أسبابه

إذا شاء بعضهم نعمة ... أتى بنباح ذوى نابه

فإن شئتم بسط عتبى ففى ... علاكم شفيع لإعتابه

ومن رام إغضاب ليث الحمى ... سيلقى ولو بعض إغضابه

فلا تجعلوا للنموم غدا ... سوى الخبط والصفع من بابه

بقيتم إياه ليشقى بكم ... أخو سنة ليس بالنابه

قال: ووقع تحت الأبيات: أدام الله كرامتكم، أول الشعرين أقذع، والثانى أطبع وأصنع، ومجدكم أسمع وأوسع. وكتب شاكركم: شاكر بن كامل.

ثم وصل إلينا واعتذر وحلف علينا، فنهضنا معه، فرأينا عنده من الكرامة ما تكل الألسن عن وصفه. انتهت الحكاية.

قلت: ومحمد الذى له الأبيات هو أبو عبد الله بن أبى غالب المذكور، وأبو داود أخوه. وتوفى - رحمه الله - بمراكش فى سنة ست وعشرين وستمائة.

ومنهم:

٤٤ - محمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن زنون

يكنى أبا بكر. كان - رحمه الله - حاجا فاضلا لوذعيا، كثير المداعبة، أديبا بارعا وشاعرا مفلقا، وكاتبا مجيدا، حسن الخلق، جميل العشرة. وله أمداح فى الأمراء وأشعار كثيرة فى الزهد والغزل وغير ذلك. فمن شعره - رحمه الله -: [الطويل]

لكل ابتداء آخر وتمام ... وكل رضاع يعتريه فطام
وقد صح فى عقلى تغير حالتى ... بأدنى خيال والحياة سقام
ولما انتهى البدر المنير لما له ... تعاور فى نقص فراح تمام
وعند نصول الشيب يعرف ذو نهى ... نكوصا ثناها الشيخ وهو غلام
إذا أم يوم المرء أمسى وعمره ... بذلك محصور فكيف مقام
لقد رام فيها الخلد قوما فأصبحوا ... وقد سلبوا عزا وعز مرام

ومن شعره: [الكامل]

والموت ذو خرف تساوى عنده ... يفن تطاول عمره وغلام
ولدى الضريح-إذا اعتبرت-مواعظ ... ماطت على إبرازها الأفهام
لا تحسبن هذى القبور صوامتا ... صمت القبور إذا عقلت كلام
قالت وقد رصف الفناء جباهها ... فكأنها فوق الثرى آكام
كن يا حريص كما تشاء وتشتهى ... مهلا إلى تردك الأيام
كم مدة طالت لمثلك وانقضت ... فكأنها عند الخيال منام

أفرحت إذ طال المدى وهل الردى إلا الذى يأتى به الإتمام
أما الزمان فجازر ذو مدية والناس فى كلتا يديه سوام
أنحى على أهل العراق ولم يزل يشكوه مما عات فيه الشام
يا موردا كل الأنام يعافه وله عليه مورد وزحام
ما للمعارف نكست أعلامها وأناخ فى أرجائها الإبهام
ومعرب الإنسان فيما ساءه نحو الزمان الحذف والإدغام

وله يرثى: [الكامل]

الناس فى حال الحياة نيام والقبر حيث تعبر الأحلام
وأظن هذا الدهر ما لا يثنى أو يفقدن أليفه فيلام
وإذا تكون القوس من نبع العصا فجميع ساحات الديار سهام

وله يرثى: [البسيط]

قال الضريح ولم يفغر بذاك فما من راعه الموت فليستشعر الندما
فللحياة كتاب طالما درست فيه الأمانى سطرا بالردى ختما

ومنها:

يا ساكب الدمع يبكى غيره أسفا لتبك نفسك قيحا سائلا ودما
فالمرء يرفعه فعل وينصبه حال فإن صار ميتا فقد جزما
وأكيس الناس من أضحى بهمته موليا عن وجود أشبه العدما

ومن شعره يمدح أحد السادات يصف حماما وفندقا بناه: [البسيط]

أبالعراق أنخت أم بجيان ... أما دخلت أندلسا تزرى ببغدان

ومن لبغدان أو سود تربتها ... بناعم الدهر فى بستان بنيان

زهرا بكل فصول العام تحسبه ... من حسن بهجته فى شهر نيسان

قد كنت أحسب أن الحسن مسكنه ... فى ثغر أشنب أو فى جفن وسنان

حتى بصرت به والسحر يقسمه ... على السواء لدى الحمام والخان

تنافسا فى بديع الصنع فارتقيا ... هضب التأنق فى مرقاة إتقان

فذا يتيه بتاج فوق مفرقه ... كأنه هرمز فى ملك ساسان

وذا عليه رواق لم يلم به ... كسرى فخط ولم يلمح بإيوان

ومنها:

حيث القو.... حبل كأن له ... لهف أهب له... ثعبان

ماء يسح بمصقول الرخام كمّا ... سحت على الخد دمعا مقلة العانى

جرى به اليسر فانقادت إبايته ... من بعد كم حلف حنث وأيمان

إن أكثر الناس مما أبصروا عجبا ... حتى لظنوا به من صنعة الجان

فلست أعجب من بنا تكنفه ... من الخليفة سعد أنجد البانى

وسنحته اجتهادا منك بشره ... بعزة فمضت بالعاجز الوانى

إيه أبا زكرياء المسر لنا ... خيرا فلم يختلف فى حبه اثنان

أثرت تحيى أمير المؤمنين بعدل ... فى رعيته فأمر بأزمان

فللإمام بذلت النصح مجتهدا وفى الرعية لم تنسب لعدوان

هنئتم أملا بلغتموه ولا زلتم تخصون خداما بإحسان

ودمتم لثناء تكسبون وظلم تكشفون وعز فوق كيوان

وما كفى منه أوفى فى الإجازة إذ أمن لنعمى وما للطول والشان

وأدبه - رحمه الله - كثير. وتوفى فى غزوة ماردة فى شهر جمادى الأولى عام سبعة وعشرين وستمائة.

ومنهم:

٤٥ - محمد بن أحمد بن عطية القيسى شهر بابن عطية[1]

ويكنى أبا عبد الله. كان - رحمه الله - من أهل مالقة. وله المعرفة بالوثائق، حسن الخط سهل الألفاظ مستقلا بصنعة التوثيق جليل المقدار مشارا إليه. ولى قضاء مالقة نائبا عن القاضى أبى عبد الله ابن الخطيب أبى مروان الباجى مدة، ثم لاه أمير المؤمنين أبو العلاء مستقلا بمالقة فسار فيها السيرة الحسنة وأظهر من العدل ما يليق بأمثاله. ووصفه الفقيه أبو الطاهر فى بداية كتابه فى موثقى زمانه، فقال فيه: متعمق فى العلوم عارف، مستول بذهنه على كلية المعارف. نشأ بمالقة وأطوادها متوافرون، وأعلامها النجوم متكاثرون، فحل من نفوسهم المحل الذى لا يدرك، وسكن منها ما يطرح له كل شىء ويترك، وباعه فى الشغل رحب المتسع، فيضمن كل شىء بأدنى ما يسع. يراعته تخدمه، وبراعته فى كل حين تقدمه. وقد أخذ بحظ من العلوم ليس بالقليل، وتقلد منها ما صار غير قليل. وتوفى - رحمه الله - فى الثالث من ذى القعدة سنة سبع وعشرين وستمائة.

(١) انظر: الذيل ٦/ ٥٢.

ومنهم:

٤٦ - محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى[١]

يكنى أبا عبد الله من حسباء مالقة وأعيانها وقضاتها ونبهائها. وقد ذكر خالى - رحمه الله - والده فيما تقدم من هذا الكتاب. وكان أبو عبد الله هذا من علية الطلبة ونبهائهم، ذكيا فطنا بارع الخط كاتبا بليغا أديبا شاعرا مطبوعا. ولى قضاء مالقة فى أيام الأمير أبى عبد الله بن هود فى عام ست وعشرين وستمائة نحوا من أربع سنين.

ثم إن أهل مالقة بغوا عليه وشنعوا عليه القيام على الأمير ابن هود. فخرج عن مالقة قاصدا ابن هود إلى إشبيلية ليعرفه بذلك ويطلب منه الإقامة معه. فلقى أبا عبد الله بن الرميمى وزير ابن هود حينئذ، فرده من الطريق إلى مالقة، وأقام بها معه أياما، ثم ذهب معه إلى غرناطة، فكبل فيها، وثقف فى أحد أبراجها مدة طويلة، ثم سرح بعد ذلك، وامتحن - رحمه الله - فى حياته كثيرا، نفعه الله بذلك. فمن شعره - رحمه الله - يصف قوسا:

تكاد تصيب خافية الرمايا ... فترشق قبل أن ترمى إليها

كأن عمودها خود بخال ... تخال قضيبها تاجا عليها

ومن شعره يصف دولابا: [الطويل]

ودائرة فى الماء سبحا تخالها ... كردانة فى كف محكمة الغزل

فهذى تطير الماء من فرط سبحها ... وهذى تطير القطن من شدة الفتل

لقد شاقنى منها أنين كأنه ... أنين بكائى يوم بنت عن الأهل

---

(١) انظر: الذيل ٦/ ١٦٣.

ومن شعره يرثى أبا محمد القرطبى: [الكامل]

لا صبر للعلياء بعد وحيدها سيان حزن جزوعها وجليدها

ومن شعره يصف روضة ونهرا: [الطويل]

أيا روضة تبدى النجوم أزاهرا وتختال فى ثوب من الحسن رائق

لقد سل فيض النهر بيضا كأنها بياض المشيب فى سواد المرافق

إذا انساب ما بين الربيع تخاله سنا البدر حسنا أو وميض البوارق

كأن خرير الماء يخضم بالحصا مدامع محزون ورنة عاشق

وتوفى - رحمه الله - بغرناطة، وسيق منها ميتا إلى مالقة، ودفن بجبل فاره، بل بجبانة جبل فاره - رحمه الله -، وذلك عام ٦٣١.

ومنهم:

٤٧ - محمد بن إدريس بن على بن إبراهيم بن القاسم بن مرج الكحل[1]

يكنى أبا عبد الله. قدم علينا مالقة مرارا وأقام بها مدة. وأبو عبد الله هذا من فحول شعراء الأندلس المفلقين. كان - رحمه الله - شاعرا مجيدا وكاتبا مطبوعا، سلس الطبع رائق المعانى سهل الألفاظ ذاكرا للآداب متصرفا بأنواع البلاغات. أنشدنا خالى - رحمه الله - قال: أنشدنا أبو عبد الله بن مرج الكحل: [الرمل]

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك

(١) انظر: الذيل ٦/ ١١٠، والتكملة ٢/ ٦٣٦.

أنت لا تلحقه متبعا فإذا وليت عنه تبعك

ومن شعره أيضا: [الوافر]

سقى الله الجزيرة من محل فقد حسنت لقاطنها مراحا

وطاف بها طواف الصل نهر كما أبصرت في خصر وشاحا

ورب عشية فيه طفقنا نرود الظل والماء القراحا

وقد ضرب الضريب بها قبابا على الأدواح أبهجت البطاحا

وكان جنابها يخضر آسا فأصبح وهو مبيض أقاحا

كأن الخضر قربه يمينا ومد عليه جبريل جناحا

ومن شعره يعتذر عن أحد إخوانه لغلام كان يهواه، وكان قد رآه فأعرض عنه فلامه على ذلك: [الطويل]

يقولون لي أعرضت عمن تحبه كذبتم ولكن لم يكن رائق النفس

ولم يكن الإعراض مني تعمدا وهل يمكن الإعراض عن غاية الأنس

ولكن صرفت الطرف عن نور وجهه كما تصرف الأبصار عن قرصة الشمس

وقد دخل رث الحالة على الأستاذ ابن طلحة، فتكلم مع أحد الطلبة، فزجره الأستاذ، وزجر الطالب، فارتجل هذين البيتين، ودفعهما إليه، وهما: [الكامل]

بأبي رشا هام الفؤاد بحبه وتقطعت من لوعة أفلاذه

شغف البرية كلها بجماله وأشدهم شغفا به أستاذه

ومن شعره أيضا: [البسيط]

لا تغضبن الذى ترميك أسهمه ... فقد جعلت له الأعراض أغراضا

فالماء والنار بعض من عناصره ... يغلى إذا اتقدت وربما فاضا

ومن شعره: [الطويل]

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم ... فأنتم على ما جاء فى سورة النمل

وبالعدل والإحسان لم تتخلقوا ... فلستم على ما جاء فى سورة النحل

وأنشدنى خالى - رحمة الله تعالى عليه -، قال: أنشدنى أبو عبد الله بن مرج الكحل لنفسه يهجو: [الطويل]

دع ابن حريق يزدهى بكلامه ... فإن رحاه دون طحن يجعجع

وهل شعره إلا كبارق ومضه ... خلى من المعنى ولكن يفرقع

ومن شعره أيضا: [الرمل]

ذهب الحرص على الوعد الذى ... سد عن إنجازه كل طريق

طال فيه المطل حتى إننى ... قد تمثلت بشعر ابن حريق

ومن شعره يهجو مؤذنا: [الوافر]

ألا قل لابن بغل لا يؤذن ... فينجس ذكر خالقه بفيه

إذا ما كان فى فمه كنيف ... فكيف يحل ذكر الله فيه

ومن شعره فى أحد الولاة: [الطويل]

وكنت أظن الحب بالضد للقلى ... ولم أعتقد أن الولاية ضده

فلا تطلبوا من عند وال محبة ألا رب وال قد تغير وده

فإن شئتم حدا لسكر معربد فلا تضربوه فالولاية خده

ومن شعره مما أنشدنيه خالى: [مخلع البسيط]

لا تطلبوا الود عند وال فى تركه للأذى كفايه

رب ضعيف أذاه خاف يبدى مع القسوة الإذايه

ما كان فى النفس من خبايا تخرجه الخمر والولايه

ومن شعره: [الكامل]

تسليط أعدائى على لنعمة ولقد سررت فإنه تمحيص

قد كنت أحسب أنه لى نقمة لو أننى وحدى به مخصوص

ومن شعره: [المجتث]

اصبر على الظلم تكف وتؤت أجرا موفى

من كان غارس شىء فلينتظر منه قطفا

ومن شعره يصف عشية أنس بنهر القبداق: [الكامل]

عرج بمنعرج الكثيب الأعفر بين الفرات وبين شط الكوثر

ولتغتبقها راحة ذهبية من راحتى أحوى المدامع أحور

وعشية قد كنت أرقب وقتها سمحت بها الأيام بعد تعذر

نلنا بها آمالنا فى روضة تهدى لناشقها شميم العنبر

والدهر من ندم يسفه رأيه فيما صفا منه بغير تكدر

والورق تشـــدو والأراكـــة تنثنى والشمس ترفل فى قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والربى بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده مهما طفا فى صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ومن شعره ونقلت من خط أبى عمرو بن سالم: [الكامل]

يا نظرة أودت بحسن شبابى وقضى على نعيمها بعذاب
ما كنت أحسب نظرة من بصرة تقضى على مشتاقها بعقاب
يا شادنا عيناه تفعل بالنهى ما تفعل الصهباء بالألباب
لو ذقت ما ذوقت من ألم الهوى لعلمت قدر الشوق للأحباب
إنى لأعجب من عتاب عواذلى جهلا عليك وما يفيد عتابى
قلبى يرى أن لا سلو من الهوى رضى الذى يلقى من الأوصاب
يا عاذلى ماذا تضرك شقوتى القلب قلبى والعذاب عذابى

ومن شعره يمدح الكاتب ابن عياش: [الطويل]

سرى الطيف من أسماء والنجم راكد ولا جفن إلا وهو فى الحى راقد

شفى ألما ألم بمضجعى ... وبات يدانينى وكانت تباعد

ألم على رغم الرقيب ودوننا ... على عدوان الدهر بيد فداقد

ومنها:

معاهد تذكى حرقة الكبد التى ... تكابد من آلامها ما تكابد

كأن بها الغدران زرق نواضر ... بها الطل كحل والغصون مراود

أعلل بالآمال نفسا عليلة ... تكدر للآمال منها موارد

ومنها:

إليكم بإيلام الملام فمسمعى ... كقلب ابن عياش وتلك حقائد

إمام البرايا فى بلاغته التى ... يقر لها بالعجز من هو جاحد

ومنها:

ومن عجبى أن ترحل الشمس دائما ... ومثلى فى مثل الجزيرة قاعد

إذا لم يلائمنى مكان ألفته ... فكل مكان مثله لى فاقد

ولست كقوم أضمرتهم بلادهم ... أولئك موتى والبلاد ملاحد

ولو لم يكن أصلى-وحاشاه-ماجدا ... كفى الفرع منى أنه اليوم ماجد

ومنها:

وقال حسودى أين إرثك منهم ... فقلت لهم: مال الأكارم نافد

إذا لم يفدك المال حمدا مؤبدا ... فيا ليت شعرى ما تكون الفوائد

ومن شعره: [الوافر]

رأوا بالجزع برقا فاستهاموا ... ونام العاذلون ولم يناموا

وعندى من معاطفها حديث ... يخبر أن ريقتها مدام

وفى أجفانها السكرى دليل ... وما ذقنا ولا زعم الهمام

تعالى الله ما أجرى دموعى ... إذا عرضت لمقلتى الخيام

وأشجانى إذا لاحت بروق ... وأطربنى إذا غنت حمام

ومن شعره يخاطب صفوان بن إدريس ويعتب عليه: [الطويل]

سقى سدرة الوادى السحاب الغوائث ... وإن غيرت منه السيول العوائث

عذيرى من الأيام خابت صقورها ... ونالت جزيل الحظ منها الأباغث

وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم ... خمولا ولا ذكر مع البخل لابث

وما ضر خلا طيبا ورث الغنى ... إذا لم يغيره من الدهر حادث

يهون علينا أن تبيد أثاثنا ... وتبقى علينا المكرمات الأثائث

فهل عند صفوان بن إدريس أننى ... مقيم على حفظ المودة ماكث

وإن كنت قد خاطبت فصل خطابه ... فعاقت عن الود المخطوب الكوارث

ومن شعره يتشوق إلى أبى عمرو بن غياث الشريشى: [الوافر]

أبا عمرو متى تقضى الليالى ... بلقياكم وهن قصصن ريشى

أبت نفسى هوى إلا شريشا ... ويا بعد الجزيرة من شريش

ومن شعره: [الكامل]

دع عنك قسطاس اللسان ولا تزن ... من كنت تحسب راجحا أو ناقصا

وإذا نقدت فكن نحاسا وليكن ... من كنت تبصره لجينا خالصا

وأدبه - رحمه الله - كثير، وشعره شهير. وسأذكر قطعة منه فى باب موسى.

وتوفى - رحمه الله - فى نحو عام أربعة وثلاثين وستمائة.

٤٨ - محمد بن حسن بن إبراهيم الأنصارى

يعرف بالبنالى. من جلة طلبة مالقة. كان كاتبا بليغا وشاعرا مطبوعا. وله كتاب سماه بطلوع الزهرة السنية فى سقوط زهرة الثنية، أثبت فيه أشعار الطلبة بمالقة، وحلاهم فيه. وقد ذكرت له منه فى مواضع من هذا الكتاب. فمما أثبت فيه من قوله: [مخلع البسيط]

وشادن رائق المحيا ... تاه به الحسن والشباب

إحدى ثناياه قسيل عنها ... قد اعترى بعضها ذهاب

أنجز وعد الفراق منها ... فمن حجى فعله يهاب

فكأنه رجيم بشهب ... إذ شرر فيه والتهاب

قد ظل يبغى استراق سمع ... فانقض منها له شهاب

وله فى المعنى: رجز

وبارع الحسن زرى فى النظر ... ببهجة الشمس وحسن القمر

قالوا وقد ماس بغصن ناعم ... أسقط بعض ما به من زهر

كم أسقطت إحدى الثنايا مبسما ... له كمثل الخاتم المجوهر
فانطرحت عن عدد جملتها ... من قبل فى حساب تلك الطرر
أما رأوا بحر الجمال يرتمى ... والبحر قد يطرح بعض الدرر

وله فى المعنى: [مخلع البسيط]

وبارع الوصف ذى جمال ... لكل قلب به احتفاء
فقلت قول امرئ خبير ... له بتحقيق ذا اكتفاء
وما الثنايا سوى حباب ... جرى على بعضها انطفاء

وله فى المعنى: [الوافر]

وريم كم رمى قلبى نبالا ... بسحر جفونه أبدا تراش
إن أبدى السن منه خصاه قلنا ... سنا المصباح أطفأه فراش

ومن شعره، وكتب به إلى الفقيه الأوحد أبى جعفر بن خديجة: [المتقارب]

لأنجم أفقك نستمطر ... وأسهم ذهنك نستنصر
فأرض الطروس إذا جدبت ... بسحر بلاغتكم تمطر
فتنبت فى الحين روضا له ... جنسى زهر، أنواره تزهر
نجوم من الأفق منقولة ... بأرض سماء بها تبهر
حدائق صور فيها الجمال ... حداقا من الأنس لا تسهر
فيا حسنها لم تزل دائما ... عيون المعانى بها تبصر

فتلك قدود وتلك خدود فمنظرها طاب والمخبر

ومهما وردنا على غربها فليس لنا بعده مصدر

أنضحى على فرط برح الظما وفضل أبى جعفر يسفر

ويا ابن خديجة إن أخرجت معان تتم وتستظهر

فعذب حلاه وخصب علاه لنا روضة ولنا كوثر

ومنهم:

٤٩ - محمد بن يوسف بن هود الجذامى[1]

هو الأمير. كان ابتداء أمره بمرسية. ثم إنه انتظمت له البلاد واتفقت له الأقطار على مبايعته والدخول فى دعوته، فبايعه الناس فى بلاد الأندلس، وخلعت دعوة الموحدين منها، وذلك فى عام ست وعشرين وستمائة.

وبويع فى مالقة فى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شعبان من العام بعده.

فأول جمعة أقيمت لدعوته ودعوة العباسيين فى الرابع من رمضان من العام المذكور.

وكان - رحمه الله - قد ملأ قلوب الروم رعبا، وكانوا يصفونه بالشجاعة والنكاية للعدو. وكان - رحمه الله - كثير العطاء لمن قصده، عفيف السيف، سيء التدبير. وصل إلى مالقة مرارا وأقام بها إلى أن انتقل إلى ألمرية، فدخلها ليلة الخميس الخامس والعشرين من جمادى الأولى من سنة خمس وثلاثين وستمائة، فأقام بها عند ابن الرميمى ليلة الخميس المذكور

(١) انظر: الإحاطة ٢/ ١٢٨.

إلى نحو من ثلث الليل وهو صحيح دون ألم. فلما كان الثلث الثانى سمع الصياح فى دار ابن الرميمى، فنهض إلى الدار فوجد ميتا، فيقال: إنه خنق، ويقال: إنه مات موتته، والله أعلم.

ووصل الكتاب بموته إلى مالقة غدوة يوم السبت، بعد اليوم المذكور فى قارب فى البحر. فسبحان من لا ينقضى سلطانه، ولا يبدل ملكه. لا إله إلا هو، الحى الذى لا يموت، وهو على كل شىء قدير.

ومنهم:

٥٠ - محمد بن على بن خضر بن هارون الغسانى[1]

المشهور بابن عسكر. وهو خالى - رحمة الله عليه -، يكنى أبا عبد الله، مبتدئ هذا الكتاب.

كان - رحمه الله - جليل المقدار متفننا فى العلوم على اختلافها، ومشاركا فيها على تشتت أصنافها، يتقد ذكاء، ويشرق طهارة وزكاء. نشأ بمالقة وبها أعلام وجلة أكابر، فأربى عليهم فى معارفه. وكان معظما عندهم مشارا إليه فيهم. كانت الفتوى تدور عليه بمالقة، والمسائل ترد عليه من البلاد، فيفتى فيها، ويعمل فيها برأيه، والقضاة يعظمونه كل التعظيم ويقطعون برأيه فى أحكامهم.

وكان معظما عند الملوك مقربا لديهم. ولى القضاء بمالقة نائبا عن القاضى أبى عبد الله بن الحسن، وذلك فى مدة أبى عبد الله بن هود. ثم إن ابن الحسن أخر.

---

(١) انظر: الذيل ٥/ ٥٩٥، والتكملة ٢/ ٤٠٧.

فلما كان فى أيام الأمير أبى عبد الله بن نصر، ولى مرة ثانية مستقلا. وصل كتابه فى توليته القضاء فى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان المعظم عام خمسة وثلاثين وستمائة فبكى - رحمه الله -، وامتنع. وكتب إلى الأمير أبى عبد الله يذكر أنه لا يصلح للولاية حرصا على أن يعزله عنها تورعا منه - رحمه الله -. فلم يقبل الأمير ذلك منه، وبقى على ولايته.

وظهرت فى أيامه الحقوق، وسار من السيرة الحسنة ما لم يسر بها أحد قبله.

كان ماضى العزيمة، مقداما مهوبا منفذا للأحكام، فكان بذلك مستحسن المقاصد، مشكورا فى الصادر والوارد.

وكان - رحمه الله - أفضل الناس خلقا، وأرحبهم صدرا، وأجملهم عشرة، وأتمهم رجولة، وأنداهم يدا، وأكثرهم احتمالا. يحسن إلى من أساء إليه، ويجود بماله على من بخل به عليه، مع ما كان عليه من سياسة الناس ومداراتهم وقضاء حوائجهم وله فى صنعة التوثيق باع مديد، وسهم سديد. وكان سريع القلم سهل الألفاظ مختصر الوثيقة، غاية فى البراعة إلى الشعر الرائق، والكتب الفائق.

وله تصانيف عجيبة متداولة بأيدى الناس، كالمشروع الروى فى الزيادة على كتاب الهروى، والتكميل والإتمام لكتاب التقريب والإعلام، والأربعين حديثا الموافق فيها اسم الشيخ لاسم الصحابى، وهو منزع لم يسبق إليه، وكنزهة الناظر فى مناقب عمار بن ياسر، وكالجزء المختصر فى السلو عن ذهاب البصر، وغير ذلك.

رحل الناس إليه وأخذوا عنه. وكان - رحمه الله - قد أخذ عن شيوخ جلة كأبى الحجاج ابن الشيخ، وأبى محمد القرطبى، وأبى على الرندى، وأبى جعفر الجيار، وكالقاضيين أبى محمد بن حوط الله، وأبى سليمان داود، وكالقاضى أبى الخطاب بن واجب، وكأبى زكرياء بن عبد المنعم الأصبهانى وغيرهم.

وكان قد مال أخيرا إلى الرواية. وإنما نبهت عليه هذا التنبيه، وذكرت بعض ما كان من المحاسن فيه، مخافة أن ينقرض الزمان. فتنقرض أخباره. ويفنى ناس عصره، فتنسى مآثره وآثاره، وليقف من لم يدركه على مناقبه الجميلة، ويشاهد بعض مآثره الحميدة ومنازعه الجليلة. وما زالت مناقب الأئمة تخلد وتذكر، وتذاع وتنشر.

وإذا كان من العلم قد تعين شرعا، واستحسن طبعا، فحقه على آكد الحقوق، وسكوتى عن الاعتناء بتخليد مناقبه ضرب من العقوق. ولا غرو أن يقال: ما باله أطال فى مدحه عنانه، وأدر من سماء فكره عنانه، فذكر له ما لم يذكره لسواه، ولا أظهر على أحد نصه ولا فحواه، فعذرى فى ذلك أنه لم يكن أحد من أهل عصره يجاريه، وأيضا لفرط حبى فيه، واعتنائه - رحمه الله - بى وتحفيه، فلا أقل من أن أوفى له بعض ما له من الحق، وأقوم به فأنا الأوجب بذلك والأحق.

وعلمه - رحمه الله - وفضله كثير من أن أحصيه.

وقد نعيت إليه نفسه، حين آن أن تغرب من سماء مغاربه شمسه. فمن شعره فى ذلك - رحمه الله -: [الطويل]

ولما انقضت إحدى وخمسون حجة كأنى منها ما تذكرت أحلم
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها إلى الحتف منى علنى منه أسلم
إذا هى قد أدنته منى كأنما ترقيت فيها نحوه وهى سلم

ومن شعره: [الطويل]

إلى الله قوم تعرضت الدنى لهم ورمتهم كى تصيب فراغ
وتبا لنفسى إنها عن طريقهم تميل لقوم بالجهالة راغوا
أهاب ذنوبا صيرتنى لميتة إهابا وما إلا المتاب دباغ
تقسمت الأعضاء منى بطالة فللهو قلب والرقاد دماغ
وبينى وبين النفس فى كل حالة دفاع فتردى مسرة وتراغ
عجزت فما وسم الجلاد بلائح على ولكن للوساد صداغ
وأخلدت للراحات والموت يستوى أولو ضنك عيش عنده ورباغ

ومن شعره وقد طرقه هم: [مخلع البسيط]

واصبر لما يعتريك تغنم غنيمتى راحة وأجر
فإن هم الخطوب ليل لا بد يجلوه ضوء فجر

ومن شعره وقد استدعى أن يجيز: [الطويل]

أجبتك لا أنى لما رمته أهل ولكن ما أحببت محتمل سهل
وكيف أرانى أهل ذاك وقد أتى على المميتان البطالة والجهل
وما العلم إلا البحر طاب مذاقه وما لى عل فى الورود ولا نهل

فأسأل ربى العفو عنى فإنه لما يرتجيه العبد من فضله أهل

وله فى المعنى: [الطويل]

أجبت على حكم التواصل والود سؤالك لما لم أجد منه من بد

مقرا بأنى لست أهل إجازة وما كل مشموم وإن طاب كالند

وما كل ماء للصدى وإنما كتبت كما واسى المقل من لجهد

وله يستدعى من أبى عبد الله بن مرج الكحل أن يجيزه رواياته، وكتب إليه بها إلى إشبيلية: [الكامل]

يا من تصور شخصه من نور .....

وقد رغب منه الفقيه الكاتب أبو الحسن الرعينى أن يجيز أولاده، فكتب إليه: [السريع]

أصوح النبت فيرعى الهشيم عذرا فما برقى مما يشيم

فصارم العجز لدى اغتدى صلبا وعضب العلم فى الجهل شيم

حسب المعيدى سماع فما له إذا ينظر مرأى وسيم

إن تطلب الرؤية منه فقد كلف من ذلك خسفا وسيم

وهى طويلة.

ومن شعره فى المعنى: [المتقارب]

ويقصر مهدى النعاج العجاف عن السمن البدن والبدن

أمثلى يعرض فى حلبة تبارى السوابق بالكودنى

ومن ذا الذى فى رواة العلوم ... فأثبتنى بعد أو عدنى

ولو رمت إلحاق نفسى بهم ... لطاردنى العجز أو ردنى

وإنى وإن أنأ عنهم خطى ... لأرجو وحسبى أن أدنى

ومن لى بإدراك قوم سروا ... إلى أسرف الفعل والديدن

وقد قصر السن بى والسناء ... عن ذلك العتن الأهدن

ولما تبسم عرف العراق ... حركنى الشوق واعتدنى

ووالى ارتياحا لمن حله ... كعهدك بالغصن الألدن

أناس بهاليل بيض غدوا ... يلوحون فى الزمن الأكدن

ومنها:

تنص المعالى على مجدكم ... كنص على على المدنى

ولما علمت بهم لم أبال ... بمن سدته بعد أو سدنى

وكلفت رد الجواب لهم ... فحملت من ذاك ما أدنى

فأصبحت فيهم قصيرا كمن ... يقيس الردينى بالمردن

فعذرا لمظهر سوقة ... يروم معارضة الصيدنى

وكتب معها بعد الصدور، وبعد: فإنه لما دعا لهذه الإجابة أكرم داع، وجب الفعل بالاتباع لا بالابتداع. فكم آلى على أن أبرز فى منصة العجز سعالتى، وأطرز من العذر ما أحتمل به على علالتى. فلعل هذا المكلف قصد أن يجمع إلى الخز المشوب، أو أظنه طلب أن ينظم إلى الدر المخشوب. فلو لم يأخذ القوس إلا البارى، ولا دخل الحلبة إلا السابق المبارى، لما علم

الأرفع من الأنزل، والرامح من الأعزل، ولرميت أدواء الجهل بالتعطيل، وعريت أفعل عن صفة التفضيل. لكن اقتضت الحكمة أن يباين الند نده، ويلاين الشيء ضده، حتى يعرف العذب بالأجاج، ويشرف الدر بمقايسة الزجاج. ولما علمت أنى إذا امتثلت، ونثرت كنانتى ونثلت، فإنما أكون من بين سبق الجواد بعيره، وزين بهدره بلاغة غيره، فأجبت، بعد أن تسترت من الحياء واحتجبت، فكتب والقلم غاثر، والعجز لما أروم نظمه من الكلام ناثر. وبعد أن وقفت على هذا الاستدعاء الذى طلعت من المطالع العراقية شمسه، وحسر اليوم بهذه البلاد الغربية عليه أمسه، وكسا هذا الأفق من حال التشريف والتنويه، ما لم يكن يحتسبه ولا ينويه، وتأهل لأن يحمل من أهله العلم حيث قطبه الذى عليه مداره، ويروى عنه بالمكان الذى هو محله وداره. فيا عجبا للبحار كيف استمدت أوشالها، واستعدت لطلب المكاتبة. وقد كان يجب أن تقصد ويمشى لها. فيا لها نفحات مسكية، ولمحات نيرة ذكية، أوجبت للإجابة حقا، وصيرت كل سامع مسترقا ومستحقا... وهى طويلة.

وكتب معزيا: مثل سيدى أجزل الله أجره، وأطلع فى ليل مصابه فجره، فى متصبره من الفضل الذى زمامه، والعلم الذى أصبح إمامه، والزهد الذى رداه رداء الورع، والمجد الذى فاق فيه نظراءه فبرع. لا تزعزعه النوائب، ولا تهزه ولا تروعه المصائب، ولا تستفزه جريا على سنن الفضلاء الأكابر، وأخذا بما ذخر الله تعالى للصابر.

وفى فصل منها: ولست - أعزك الله ووقاك - بأول من أفرده الدهر من حميمه، وجرعه كأس حميمه. فشيم الزمان، عدم الأمان، وسجايا الدهر، رزايا العلماء فى البر والبحر. ألم يفجع متمما بمالك، وصيره يبكى القبور

لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك. وأصاب الخنساء بصخر، فلم يحجبه ما يسرته له من الثناء والفخر، وفرق بين ندمانى جذيمة، فأفقد كل واحد منهما نديمه، وملأ قلب سيبويه أحزانا، حتى أنشد عن أخوين كانا. . . . : رجز

كل أخ مهما غدا أخ له مفارقه

لا بد أن يطرقه من الحمام طارقه

وسوف يلحق الفرقدين العناء، فلا ينفعهما الاستثناء. فإذا علم المرء أنه إلى الموت مآله، وقد درج عليه سلفه وآله. فما ينفعه الوله، وسوف يفنى آخره كما أفنى أوله: [الطويل]

وما المرء إلا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق

وكتب معها: [المتقارب]

عزاء فمثلك من يؤتسى به فى العزاء إذا الخطب لم

ومن كان قلبك فى صدره محا الصبر ما خط فيه الألم

ومنها:

وللعلم بدر به يجتلى إذا ما ادلهمت دياجى الظلم

ومن يدر أن الردى منتهاه فليس مفيدا له ليت لم

ومن أمل الخلد فى دهره فمن جهله نفسه قد ظلم

وكتب مهنئا بزواج فقال بعدما تقدم جزء من الرسالة: فيا لها خطبة ما أسعدها وأسناها، وبغية تنيل مبتغيها عظمى المقاصد وحسناها. فهنيئا له بقرينه يفوز منها بوسطى سلك الحسب والعد، وزهرة رياض العلى والمجد،

ودرة لم تنشق عن مثلهـا الصدف، وزهرة طلعت فى سماء المجـد والشرف. قسما لقد جلت قدرا عن كل محاول، وقصرت عن إدراكها يد المتطاول. فلو صنعت من قرص الشمس دنانير مهرها، وطبعت دراهمه من نيرات الكواكب وزهرها، وبذل الوجـود فى نقد صـداقهـا، وسلبت لها الجـوزاء عن تاجـها ونطاقها، وأجرى من برها إلا مـا قصر عنه كل بحر، وسيقت لخدمـتها الثريا فى ملاءة الفجر ؛ لما بلغ لها بحق، ولقصر عن الأوجب لها والأحق.

وكتب يوما: مثل سيدى تذكـر بعد أمة، ورعى الأمانة وواجب الذمة. فالفـضل يتعلـم من أخلاقه، والعـلم من جملة ذخـائره وأعلاقـه. وما أظن سيدى إلا أن النسـيان المركب فى طباع بنى آدم، غلب عليه حـتى طال العهد وتقادم. ولا غـرو فإن البشـر بذلك أنسوا، ونسى أبوهم فنسـوا. إلا أنى قد ذكـرت سيـدى غيـر مـرة، وأعملت من المخـاطبـة كل طمرة. فـتارة وعـد بالتوجيه، فقلت: لا تنكر نجابة من آل الوجيـه، وأخرى جعلت فيه العتاب، للمتوجه بالكتاب. فـقلت: لعله لم يكن أهلا لأدائه، فلا أرمى غيرى بدائه. والآن يصل به إن شاء الله فـلان، وهو من أهل الأمانة والثقـة، وممن يختص منى بالمودة والمـقـة. وأرجـو إن وصله إلى ناديكم، فلـيكن الإسـعـاف من أياديكم، إن شاء الله، وإن كان محتقرا قدرا، ومن سقط المتاع الذى يبتخف به ويرزى. ففـى علمك أن الطالب يقنع بورقه، ويراها أعظم من بـدر النهار ورقه، والسلام.

وكتب يوما: وصل الله بقاء الفقيه أبى الحجـاج، مؤملا لقبول الشفاعة وقـضاء الحـاج. قـد علمت - أدام الله عـزتك، وجـعل للمكارم ارتيـاحك وهزتك - أن حق الجار مرعى، وذمامـه شرعى. فينبغى أن يلاحظ ويرتقب،

فهو كما قال – عليه السلام –: 'أحق بالصقب'. وإن كان خامل المقدار، فيرعى له قرب الدار، وحسبك من هذه المرتبة المنيفة، قصة أبي حنيفة، حين استعمل قدمه في إكمال الشفاعة، وما أهمل جاره ولا أضاعه. وإن رجلا خديما تعرفه إن شاء الله من قبل موصلها، وهو... جار لي بيت بيت، فحركني للشفاعة بعد أن أبيت. فوصلتني الآن رغبة في أن أشفع له شفاعة حسنة، وأفوز بنصيب من هذه الحسنة. وذكر أن مقر الوزارة العظمى، لا ينحى من لاذ به ولا يظمأ، أعلى الله مقداره، وأجرى بأفق مراده أقداره؛ سجنه لأمر سببه، وأدب أوجبه. ويرجى إن شاء الله أن يكون الأدب قد أقامه، وألزمه الاستقامة. فالغرض منك أيها الصفي الوفي في إحراز هذه الفضيلة، وتبليغ هذه الوسيلة، لعل الشفاعة تتقبل، فيكون حق المجاورة قد رعى ولم يهمل.

لا زال محل الوزارة قابلا شفاعة الشافع، مواصلا على الجميع أشتات الأيادي والمنافع. ولا زلت أعزك الله ساعيا في خير، جاريا بمقاصدك أسعد يمن وطير... بمنه، والسلام.

ومن شعره: [المتقارب]

ولما أذاب الهوى مهجتي ... فأصبحت منها كرسم دثر

ولم يبق عين تراه العيون ... مني ولا أثر من أثر

تعرضته قاصبدا كي يرى ... شحوبي فيشفق أو يعتبر

وناديت رفقا فقال اعجبوا ... أمن دون جسم يلام البشر

وقال أتبصرني هازلا ... فإنك لست ترى بالبصر

فقُلت لقد صدق القائلون أريها السها وترينى القمر

ومن شعره فى ناعورة: [السريع]

ودائر يسرق من مائه كواكبا فهو بها صاعد
حتى إذا قام بها واستوى وقلت هذا فلك زائد
أهوت إلى الأرض كما قد جرت نيازك لاح لها مارد
فعاد من حليتها عاطلا وهو إلى حالته عائد

ومن شعره فى المعنى: [السريع]

وسابح فى الماء أعجب به لم يعرف السبح ولا أنكرا
يجرى مدى الدهر وما زال عن موضعه يوما ولا قصرا
وينتقى من مائه فضة يسبكها من حينه جوهرا

ومن شعره فى قوس: [الوافر]

ألا يا ناظرا رمىى تعجب كأنى فى الإصابة لحظ ريم
أسر بحسن ريشى من رمى بى كأنى قد رميت على الهموم
إذا أرمى السهام يقال هذا هلال الأفق يرمى بالنجوم
فلو أرمى على الشيطان يوما سبقت إليه من قبل الرجوم

ومن شعره فى أحدب: [السريع]

وأحدب تحسب فى ظهره حبابة فى نهر عائمه
مثلث الخلقة لكنها فى ظهره زاوية قائمه

وله فيه: [السريع]

يا أوقص الخلقة بعدا فقد ... شوهك الله بهذا الوقص

وزادك الله ولكنها ... زيادة أكثر منها نقص

كأنه فى حملها صائد ... يحمل من دون طيور قفص

وله فيه: [الطويل]

وقالوا أتهوى أحدبا فأجبتهم ... أرى حبه للقلب أسلي وأروحا

فقالوا فصفه قلت غصن تحدبت ... كمامته من قبل أن تتفتحا

وكتب وقد استدعيت منه أقلام: سيدى الأرفع، وسندى الأمنع، الذى أفخر بولائه، وأذخر وده لأزمات الدهر ولأوائه، ما زال للأدب يدير أفلاكه، ويسر أملاكه، وينظم عقوده وأسلاكه. وصلت أحرفك المشرقة، وغصون أدبك المورقة، تعبر عن براعة، وتعرب فى العبارة عن طلب يراعة. فلله أنت، لقد أبدعت فى وصفك، وصدعت بالحق فى نظمك ورصفك، فحليتها من ألفاظك بدرر، وأعليتها فوق الشمس والقمر، حتى تمنى الوشيج أن يكون يراعا، وتحققت الصوارم أنها لم تزل للأقلام أتباعا، وأشرت أن يكون مما خرجته أناملى، وصرفته عواملى. فكيف وهو فى يمينى لا يكاد يمشى خجلا، وفى يمينك ينشئ حللا. وعندى يريد أن يعرب فيعجم، وعندك ينبئ عن البيان ويترجم. فخفت أن يعدى على خطك الأغرب، كما يعدى الصحيح الأجرب. لكنى سأوجه إليك إن شاء الله بابنة حزن، وغدية مزن، نابتة فى الحجر الصلد، ومستوية كاستواء الملد، قد امتدت أنابيبها امتداد القداح، وطالت فى دوحتها طول الرماح، وامتنعت لمدى من الأوراق،

واجتمعت وإنما تصلح بالافتراق. فحينئذ تبرى وتقط، وتكتب وتخط، فتبدى إذا صحبت يمينك سحرا، وتخرس من آدابك الرائقة بحرا. والله تعالى يبقى إخاءك، ويديم ولاءك، بمنه. وكتب محبك الأشكر، محمد بن عسكر. والسلام.

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين أبا العلاء إدريس: [الطويل]

إليك تركت الأرض والمال والأهلا ... لأسمع من داعى قبولك لى أهلا

وفيك هجرت العيش أخضر ناعما ... بها ونسيم الأرض أعطر معتلا

ومنها:

ركبت إلى لقياك كل مطية ... مبرأة أن تعرف الأب والنسلا

إذا نسبوها فالتنوفة أمها ... ووالدها ماء الغمام إذا انهلا

وما علمت يوما غذاء وإنما ... أعار لها الأعضاء سائقها فتلا

وقد ضمرت حتى اغتدت من نسوعها ... فلو عرضت للشمس ما أسقطت ظلا

وما فى قداها قدر مقعد راكب ... ولكنها ساوت مساحتها الرجلا

لتبليغها المضطر تدعى ببلغة ... وإن قست بالتشبيه سميتها نعلا

سأشكرها جهدى وأثنى بفضلها ... فقد بلغتنى خير من وطئ الرملا

مليكا كأن الشمس فوق جبينه ... وليث الشرى فى درعه حاملا شبلا

إذا رام أمرا لم يخف فيه من عسى ... وإن قال كن لم يخش فى غرض من لا

وما ذاك إلا أن فى الله همه ... فيجرى له فى ذلك القول والفعلا

ومنها:

له فتكات فى العدى وعزائم تسدد رعبا فى قلوبهم النبلا
نعدهم أسرى وهم فى ديارهم ونحسبهم ما بين أهليهم قتلى
همام إذا ما الحرب شبت تقدمت به همة حسب الشجاع بها فضلا

ومنها:

إذا أوعد الأعداء لم يعرفوا البقا

ومنها:

ولا غرو إن لاحت نحيلة باطل فعجل بها فالحق يعلو ولا يعلى
ألم تر موسى حين ألقى عصاه لم يطق ساحر يلقى عصيا ولا حبلا
وما ابن لبون الحرب يسطيع صولة إذا هو قد رام القناعيس والبزلا

ومنها:

تقابله سيفا ومنك تسابقا حسام محلى أو دهاء قد استعلى
طلعت بأفقى إمرة وخلافة كما اشترك النوران واتحدا فعلا
وإن امتزاج الطيب بالطيب مكسب له قوة ما كان يعرفها قبلا
رضيتم بتغريب يصحف لفظه لدى بتقريب إليك فما أحلى
وبالشوق للأحباب إذ أنت مؤنسى وكم وحشة صارت طريقا لما يسلى
وبالبين عنهم خائفا مترقبا وإذ سار موسى خائفا لحق الرسلا

ومنها:

جهول يرى أن السيادة شرعة ... فقل سامرى صاغ من عنجد عجلا

وما زلت أوليه من البشر والرضا ... نصيبا ويولى من إساءته كيلا

إلى حين أصمتنى سهام قسيه ... فأوقعن بى عيبا وسيبن لى نغلا

وسرت طريدا فى البلاد كأننى ... لأحمد سمعا قد حملت به عذلا

فأحمد ربى إذ منيت بغربة ... ولم يرنى صانعت وغدا ولا ردلا

وربتما ماتت من الجوع حرة ... ولم ترض أن تختار من ثديها أكلا

فمن مبلغ الأعداء أنى آمن ... وأن أذاهم عاد ممتنعا سهلا

وأنى بحيث الدهر قد صار خائفا ... لإضراره بى أن أحمله الثكلا

وأنى منكم فى جوار وأرتقى ... له البدر ما شان المحاق له شكلا

أما علموا أنى بآخر آية ... من اقتربت سحرا يورثهم خبلا

فدمت بكم أجنى السرور ويجتنى ... عدوى من فرط الحسادة لى نكلا

وله فى قارئ يقرأ ما يكتب له تحت أثوابه باللمس من غير أن يعاين ما فى الطرس مكتوبا: [السريع]

وقارئ ما تحت أثوابه ... كأنما ينظر فى طرسه

نورية فاضت بأعضائه ... فانقلبت فيه إلى حسه

كأنما قوة إبصاره ... قد نقلت منه إلى لمسه

كأنما الحرف له نابض ... وهو كجالينوس فى جسه

لا تعجبوا من أمر إدراكه ... ينفد ما يعلوه من لبسه
فالأفق الأعلى سماواته ... لا تحجب الإدراك عن شمسه
لمثله كان سليمان قد ... تفقد الهدهد فى نفسه
فيا لها من آية أعجزت ... عن مثلها كل بنى جنسه

ومن شعره يصف عشية أنس - رحمه الله -: [الطويل]

أأنسى من الأزمان أنس عشية ... أجلنا بها الأحداق بين الحدائق
حدائق بيض بالأزاهر وسطها ... جداول كالأسطار وسط المهارق
كأن على تلك الأباطح جردت ... صوارم لما خيف من كل ارق
صفت وصفا فيها الحصا فكأنها المجرة ... حفت بالنجوم الشوارق
وقد أودع الأرواح عند هبوبها ... عليها يدى داود رب الخلائق
يصوغ دروعا فوقها كلما جرت ... فيا لك من حسن للحظك رائق
وغنت بها الأطيار وهى تجيبها ... فيا عجبا من حسن أخرس ناطق
أقمنا عليها بعض يوم كأنه ... لبصره فى العمر لمعة بارق
مع أبناء صدق طاهرين كأنهم ... نجوم سماء أشرقت بالمشارق
حسان الذى يبدو فويق جيوبهم ... أعفة ما قد ضم تحت المناطق
أقر بنو الدنيا جميعا بأنهم ... شياه وكل الناس مثل البيادق
يديرون فى وصف العلوم كئوسهم ... وليس سوى الآداب خمرا لذائق
رأت أنسنا شمس النهار فلم تزل ... تسارع نحو الغرب سير السوابق

وغارت بنا فاصفر للناس وجهها ... كما اصفر من خوف النوى وجه عاشق

عجبت لها قد أبصرتنا ولم تقف ... وقد وقفت قدما لقتل العمالق

فهلا أقامت كى يدوم وصالنا ... ولو قدر ما ترتد مقلة وامق

فتبا لدهر لا يدوم نعيمه ... لقد قطعت للأمن منه علائقى

تطول على الحر اللبيب صروفه ... كليل سليم أو عذاب منافق

وتقصر ساعات الوصال إذا أتت ... كخلب برق أو كغفلة سارق

فيا لزمان بالورى متقلب ... خلائقه للخلق شر الخلائق

كأن بنى الدنيا لوقع صروفها ... عصافير ترمى عن قسى البنادق

فما منهم من يستطيع تحصنا ... لإصماء سهم للمنية راشق

سواء عزيز القوم مثل ذليلهم ... لديه ومن فى السفح أو فى الشواهق

فما عمرت عمرو بن هند جنوده ... ولا أنعم النعمان قصر الشقائق

كأن جميعا إذ سقاه حمامه ... بكأس حقاق خر من رأس حالق

أطعت الهوى حتى خدعت ومن يطع ... هوى النفس يخدعه كخدع المآذق

فيا نفس كفى قد بلغت بى المدى ... أما لك بعد الشيب توبة صادق

ويا رب عفوا إننى منك واثق ... فمن على عبد بجودك واثق

وله من قصيدة كتب بها جوابا لبعض إخوانه: [البسيط]

أطل على الدهر فى عتب أو اقتصر ... فلست منه على حال بمنتصر

ودع بنيه ففيهم من شمائله ... ما قد تضمن من مستقبح السير

حازوا التليديـن من لؤم ومن حسد إلى الطريفـين من عى ومن حصـر

ومنها:

كم قد تنكر لى من قـد محضت له ودى ومـا جـئت مـن شىء له نكر

وظل يوثـر أفـراس العـــداوة لم ينفـــعـه وعظ ولم أغـــدر ولم أتر

ومنها:

لما تـوهم أن يقـــوى بقـــدرته على المضـرة لم أصـرف له بصـرى

وكلت لله آمـــالى فـأعـــجـزه وقلت بـالجبـــر لما قـــال بالقـــدر

ومنها:

إيه فـــديت بـأرواح العـــداة أبا مـحـــمـد وفـــداك الدهر بالنـفـر

أتشـتكى حـسد الحـساد وهو لهم كـالنار تعـرف فيـهـا نكهـة القطر

ومنها:

إن كنت تطلب منهم مثل نفسك قد طلبت مـعـجزة من غـيـر مـقتـدر

عـذرا لهم فلقـد رامـــوا بجـهلهم شأو امرئ فوق أوج الشمس والقمر

مهما مشى نحو قـصد للعلاء سعوا وإن سـعـوا خلفـه فـى غـاية يطر

تجـرى اليـواع بيـمنـاه فـتـبلغ مـا يغيب من سـمهرى فى يمـين جرى

ومنها:

وصـفـتنى بصفـات أنت مـالكهـا لكن تكسـيت منهـا ثوب مفـتخـر

فـالريـح تخطر بالأزهـار جـارية فـتكتـسى من شذاهـا الطيب العطر

كـأنما كـنت فى المرآة تبـصـر من ... وصـفـتـه فلديهـا العكس للصـور
حقا دعيت بزهرى منك قد جمعت ... فى الطرس بين فـنون الزهر والزهر
وقد برعت زهيـرا فى القريض ومن ... تقـارب اللفظ خصـوا ذاك بالصغـر
إيه تـكلفنـى رد الجـواب وقـد ... علمـت أنى لا أسطيـعـه فـدر
لما بعـثـت رياضـا منك مـثـمـرة ... سرقت منها وليس الـقطع فى الثمر
فإن نطقـت فعن علم بصـفحك لى ... وإن سكت فـإنى بـالسكوت حـر

وكتب إليـه الفقيـه أبو على الاستجى بـقطعة شعـرية، فجاوبه عليـها مسرعا: [الكامل]

يا سـيـدى قـد أفحـمـتنى أحـرف ... ألفـيت فـيهـا كل سـحـر مودعـا
وافت وعـهـد أخـيك عن أثـبـالهـا ... قـد طل من نهـب السـرور وودعـا
ذكـرت عن قـمـريـن لاحـا عندنا ... ولعل عـندك أشـرقـا وتطـلعـا
سكرا بأفـلاك جـرت بهـمـا لنا ... فـتـألفـا فى أفـقنـا وتجـمـعـا
فلـعل إظـلامـا لدينـا يـنجـلى ... بهـما وأنـسـا قد مـضى أن يرجعـا
ولقـد غنيت بنور وجـهك عنهـمـا ... وبنور ذهنـك إذ بدا وتشـعـشـعـا
ولئن تغـب عنا فـإنك حـاضـر ... فاعـجب لمفتـرقين قد حـضرا مـعا
فـإذا تمتع ناظرى حـسـنـا فـقـد ... لاح الجـمـال للحظكم فـتـمتـعـا

ومن شعره وقد سأله بعض الطلبة أن يجود عليه، فكتب إليه مع جملة دراهم أعطاها له: مخلع

عـذرا فـإن الحـسـام ينبـو إن لم تسـاعـده شـفـرتاه
والصـقـر إن لـم يكن بـريش لم تسـتطع نهـضـة قـواه
ورب ذى منيـة ولـكـن باعـده الفـقـر من مناه
فـاقبل - فـديت - القليل ممن لم يسـتطع غـيـره يداه

وله يصف سيلا دخل على أمير المؤمنين أبى العلاء فى رياضة بوادى. . . . : [الكامل]

يا أيهـا الملك الذى قـد أشـرقت أقطـار ريـة من سنـاه ونـوره
يا من يرينا الشمس فوق جبينه حسنا وليث الغاب فوق سريره
وإذا الزمان رأى رجاحـة عقله صرفـتـه عن ثهـلانه وثبـيره
عـذرا لواد أم قـصـد مقـامكم كـدرا وحـسن الزور فى تكديره
عـجـلان محـمـر الأديم كأنما غلب الحـيـاء عليه عند خطوره
يحكى الحوامل باضطراب فؤاده قلقـا وعـدو الأيـم عند مسيره
سيريك متن السيف عند صفائه جريا وسـرد الدرع عند فتـوره
وافى يقبل فى الثرى إذ لم يطق تقـبـيل كف تـزدرى بنمـيـره
ويروم يقضى بعض حقكم الذى عـجزت أولو الأفـهام عن تعبيره
منع الكلام وقـد تـعـين شكركم فـأتاك يعـرب عنه صوت خريره

وتوفى - رحمة الله عليه - فى ظهر يوم الأربعاء لجمادى الآخرة عام ستة وثلاثين وستمائة، غفر الله له، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه لا رب سواه.

ومنهم:

٥١ - محمد بن عيسى بن مع النصر المومناني[1]

يكنى أبا عبد الله. ورد علينا مالقة أيام الأمير أبى عبد الله بن هود فأقام بها سنين.

كان - رحمه الله - من جلة العلماء والمحدثين، أكثر اشتغاله بالحديث. وكان - رحمه الله - ذا هيئة جميلة وشارة حسنة، وسيم الضورة، منبسط النفس، عالى الهمة.

وكان عنده من الكتب ما لم يكن عند أحد. أدخل مالقة فوائد وكتبا لم يشاهدها قبله أحد من أهلها. وجدت بخط خالى - رحمه الله - ما نصه: أنشدنى الفقيه أبو عبد الله المومنانى وقال: وجدتها بخط قاضى الجماعة الشريف أبى عبد الله محمد بن طاهر الفاسى، وينسبها لابن تومرت يخاطب بها أبا حامد الغزالى، وهى: [المتقارب]

أخذت بأعضادهم إذ أتوا ... وخلفك العجز إذ أسرعوا

وأصبحت تهدى ولا تقتدى ... وتسمع وعظا ولا تسمع

فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

وقال: وأنشدنى أيضا له: [السريع]

الأرض للطوفان محتاجة ... لعلها من درن تغسل

قد كثر البغى على ظهرها ... وكذب المرسل والمرسل

---

(١) انظر: الذيل ٨/ ٣٥٠.

وانتقل - رحمه الله - إلى مراكش، وبقى بها معظما عند الأمير الرشيد أبى محمد عبد الواحد بن أبى العلاء فى غاية من المكانة والتنويه إلى أن أراد الله بهلاكه، فكتب إلى بعض السادات يذكر له القيام على الأمير أبى محمد عبد الواحد المذكور، فذهب غلامه بالبطاقة فجعلها فى يد الأمير وهو يظن أنه إليه أرسله. فكان الأمير على شغل فى قصره، فلم يعبأ بالبراءة ورمى بها واشتغل بما كان بصدده.

ورجع الغلام إلى أبى عبد الله المذكور فأعلمه بالنازلة، فعلم أنه لا يعيش أبدا. ثم فكر فى نفسه وحمله رأيه على أن يكتب براءة يستعذر للأمير فيها ويطلب الإقالة منه لعثرته، ووجه بها إليه فى الحين. فقرأ الأمير البراءة، وقال: لأى شىء يستعذر وما جنى ذنبا. ثم تذكر البراءة الأولى فقرأها ووجه فى الحين على أبى عبد الله المومنانى وأمر بقتله. ويقال: إنه ذبح ذبحا، نفعه الله، وأعظم أجره. ووصل مالقة خبر موته فى أوائل ذى القعدة عام ثمانية وثلاثين وستمائة.

ومنهم:

٥٢ - مسلم بن أحمد بن محمد بن قزمان

يكنى أبا الوليد. كان - رحمه الله - كاتبا أديبا بارعا متفننا فى الأدب، جيد الطبع، متقد الخاطر. من شعره: [البسيط]

ولى شبابى ولم أعلم بكرته ... فالآن قد صرت من حتفى على وجل

كأنه قادم وافى أحبته ... يبغى بتسليمه توديع مرتحل

ومن شعره: [البسيط]

لو كنت تنظر للآجال معتبرا ... وسيرها سير ذى الأوبار فى السفر

أبغضت محبوب آمال تقر بها ... نفسا تحير بين الورد والصدر

ومن شعره: [المتقارب]

وقالوا اعتقدت متابا من الحميا ... وأنك لا تشـــــــــــرب

فقلت نهارا فمهما دنا ... غروب فحلقى لها مغرب

ومن شعره: [الطويل]

مرادك دينار تعيه ودرهم ... وإنهما عند الحقيقة أوزار

هما شرك الدنيا كطعمة قانص ... ليأخذ ذا أنس ويسلم مذعار

فكن شرسا صعب القياد إليهما ... فآخر ذا هم وآخر ذا نار

ومن شعره: [الطويل]

إذا زرت غبا زدت حبا وغبطة ... فمخلق ثوب الود طول تلاق

فللعين إعراض عن البدر مدة ... ولكنها ترعاه عند محاق

وله يصف عصا فى يد شيخ يمسكها: [البسيط]

وعمدة لى وقد ألزمت صحبتها ... تخذتها قدمى مذ هاضنى قدمى

نحيلة الجسم لله ندى نسبتها ... وقد تعاورها قدما ذوو الهرم

من عاتق النبع مثل القدح قد نحتت ... صلفاء فى لمسها من كف ملتزم

صليبة العجم صفراء القميص لها ... نحافة الصب مهجورا أو الدلم

على ثمانين مرت بى أشير بها ... وما لهن ارتجاع لا على غنمى

كأننى قوس رام.وهى لى وتر ... والدهر يشرع لى سهما من العدم

وتوفى - رحمه الله - فى عشى يوم الأحد بعد صلاة المغرب فى..... شعبان المكرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ودفن اليوم الثانى بعد صلاة الظهر مجاورا للأستاذ أبى على الرندى.

ومن شعره: [الطويل]

أما رام ظبيا راقنى بصفاته ... وحسن لآله وزين سماته

وددت لطيف ليس ينقض حكمه ... فيوفى بوعد أو يروم لآته

ومجد أثيل قد ملكت عنانه ... وذات نأت عمن نواها بذاته

إذا غاب عن فكرى خيالك ساعة ... فقد ساء حالى من أذى غمراته

ولى منطق رطب بشكرك كلما ... تنشقت عرف المسك من نفحاته

وكم عزم القلب المعنى على النوى ... ولكننى استوقفت عن عزماته

ولولا مقال الناس عنى هالع ... لكنت قريح الجفن من عبراته

وأعمى انسكاب الدمع إنسان ناظرى ... وصار محاقا نوره بأذاته

ولا غرو ما يلقى خليلك فى النوى ... وما بثه من مؤلمات شكاته

فإن مذاق البين مر وإننى ... أرى سكرات الموت من سكراته

ولو كان شخصا كنت قاتله ولم ... أخف قودا أو باهضات دياته

وإن حمام الأيك فوق غصونه ... ليشكو أليم البين فى نغماته

وكنت أظن الدهر يبقى مسرة ... تظل به موصوفة بثباته

فلما تفرقنا استزدت زهادة ... ولم أرض أنى من رجال عفاته

ولا راقنى أنى أعدد من ذوى ... موالاته قربا ولا من ولاته

ولو زارنى منه بنخبة عزه ... لما قلت هبنيه ولا قلت هاته

ولا كنت مرتاحا ببهجته ولا ... اغتررت بما أبصرت من حسناته

فما لذ شرب منه إلا أمره ... وكدره بالصعب من سيئاته

إذا استهدف البين المشتت مقلتى ... وأصبح هذا الدهر أضمى رماته

فما هو إلا بالمصائب محذق ... به قد أحاطت من جميع جهاته

أبا حسن إنى عهدتك محسنا ... فأيقظ كريم ودنا من سناته

ولا تستبن فيه تطلع بيننا ... مقالة من يهديك هدى صفاته

وآنس بحرف أو بحرفين واحشا ... يفديك من صرف الردى بحياته

فلا زلت فى ضمن الحياة مهنأ ... وأبصرت من عاداك رهن مماته

ومنهم:

٥٣٠ - مسعود بن عبد الله

يكنى أبا الحسن، إسلامى. كان كيسا ذكيا أديبا، بارع الأدب، كاتبا بليغا. له أشعار حسان وموشحات رائقة. وكان ذاكرا لآداب كثيرة، معتنيا بطريقة الأدباء.

ومن شعره يرثى: [الوافر]

أبيني يا منون لنا السؤالا ... وبالحق انطقي ودع الجدالا

لقد أشعرتنا بذهاب عيش ... وما نلنا من الدنيا منالا

فكم ذا نشتكيك ولم تحني ... كأن لم تسمعي قيلا وقالا

علام أدلتنا نعمى ببؤسى ... فغم بما نعمنا الدهر بالا

وحكمت النوائب في البرايا ... فلم تبق النساء ولا الرجالا

ولم ترث لحزبهم فمهما ... حللت بهم شددت لهم عقالا

ومنها:

قتلت العالمين بلا سلاح ... وعطلت الأسنة والنصالا

وقد غادرت أهل الأرض صرعى ... ولا زرقا بعثت ولا نبالا

وقد كنا نعد لك العوالي ... لو انك كنت أبديت القتالا

وإن قتل الأنام غدا حراما ... فقد صيرت قتلهم حلالا

ومنها:

فمن هذا الذي يرجو حياة ... يسر بها وسوف تسوء حالا

إذا فكرت ليلا أو نهارا ... وجدت حقيقة الدنيا محالا

إن اعتزت سيغشاها هوان ... أو اعتلت ستنتقل انتقالا

وليس رشادها إلا سفاها ... وليس لها هدى إلا ضلالا

وما أعطت لطالبها اختيارا ... ولا بقت لعاشقها وصالا

وكم هدمت لعامرها بناء ... وكم قطعت لواصلها حبالا

ومنها:

بنو الدنيا حياتهم نيام ... فإن زاروك فاحسبهم خيالا

وكل رزية فيها عزاء ... لرزء عارض هد الجبالا

ومنها:

على فقد التى لما استقلت ... تغير كل عز واستحالا

فآثر عقد جيد الدهر لما ... أصيب بها ولم يرض الجدالا

وحتى أنجم الآفاق أمست ... تشكى فى منازلها الكلالا

وأظلمت القصور لساكنيها ... وقد كانت تروق لهم جمالا

لئن صار الضريح لها حجابا ... لقد كان الحياء لها حجالا

ولم تجزع لموت حين وافى ... ولا أبدت لرؤيته اختبالا

لقد جرعتنا كأسا فظيعا ... شربناه وكان لنا سمالا

وأحببنا لقاء الموت لما ... رأينا بعدك المحيا وبالا

وشقت القلوب عليك عين ... نواعم لم تراع لها دلالا

ولما أن جعلت اللحد مثوى ... وهبن نفوسهن لتستمالا

تفديك المكارم والمعالى ... إذا الغرم اغتلى منك النوالا

وأما المأثرات فقد أقامت ... لديك وأقسمت أن لا زوالا

ألا يا رب ذا وجه مصون ... وسيم الروع فامنعه ابتذالا

أثابك ربك الحسنى جزاء ولقاك الكرامة والجلالا

زهت بك جنة الفردوس عجبا وحور العين بادرن اقتبالا

على أن لو بسطنا الخد أرضا تمر عليه ما كان احتفالا

عسى الصبر الجميل يزور قوما قد اجتلدوا وما وجلوا اجتلالا

وهى أكثر من هذا. وأدبه مشهور.

ومنهم:

٥٤ - مغاور بن عبد الملك بن مغاور[1]

ويكنى أبا الحسن، وهو ابن أخى الشيخ أبى بكر بن مغاور. كان - رحمه الله - نبيها فطنا لوذعيا شاعرا مجيدا. نقلت من خط الفقيه أبى عمرو بن سالم، قال: أنشدنا أبو الحسن بن مغاور لنفسه مما قاله بمرسية: [البسيط]

وليلة بتها والسعد يسعدنا فى فتية كنجوم الدهر أكفاء

نرتاح فى جنة راقت محاسنها مستمتعين بآلاء ونعماء

وبيننا شمعة كالبدر مشرقة لكنها طلعت فى صفحة الماء

فزنا بنيل المنى رغما لحاسدنا والدهر ذو مقلة عن ذاك عمياء

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية سقيت من ليلة فى الدهر غراء

ونقلت من خطه أيضا، قال: أنشدنى الفقيه أبو الحسن مغاور لنفسه بمالقة: [المتقارب]

---

(١) انظر: المعجم فى اصحاب الصدفى ٢٤٣.

بجـــامع مـــالقـــة شـــادن هضـيم الحشـا ثغـره جـوهر

يطـوف بإبريقـه سـاقـيـا ولكـن لـواحـظـه تـسكـر

يبـيح لنـا الماء من كـفـه ويحـمـى اللمى واللمى أعـطر

كـأن بـخـديه بدر الـدجـا فكل إلـى حـسـنه يـنظـر

ومن شعـره، ونقلت من خط أبى عمـرو بن سالم أيضا قـال: أنشدنى ابن مغاور لنفسه:

يا نـاسـخـا أحكمت يداه فـوق سـمـاء الـطروس زهرا

طرسـى روض بغـيـر زهر فـاغـرس بيـمناك فـيـه زهرا

ونقلت أيضا من خط أبى عمرو بن سـالم، رحمة الله تعالى عليه بمنه، آمين، من شعره: [مجزوء الخفيف]

سـود الشـعـر خـده بعـد مـا كـان أبيـضـا

وتـقـضى شـبـابـه فـهـو يبكى لما مـضى

ومن شعره: [البسيط]

بالأمس لحـيـتـه سـوداء حـالكة واليـوم ليس لهـا عـين ولا أثر

كـانت كـعـارية فى خـده رجـعت إلى المعـيـر فلم يسـمع لهـا خـبـر

ومنهم:

٥٥ - المنذر بن رضى الرعينى[1]

يكنى أبا الحكم. أصله من بسطة، وانتقل منها إلى الموحدين فى أول أمرهم، ووفد عليهم فتلقوه بالبر والإكرام لمكانه من الحسب، وبراعته فى الأدب. وأقطعوه إقطاعات بمالقة، فاستوطنها. وكان - رحمه الله - جليلا كاتبا بليغا شاعرا. وصفه ابن أبى العباس فقال: مجرر ذيول كسحبان، ومالك أزمة البيان، إلى بلاغة تربى على بلاغة إبراهيم بن هلال، وبراعة توقف عليه صفة العلم والكمال، وذكاء كذكاء إياس، وفهم يحل كل مشكل واقتباس. ومن شعره فى صفة قينة: [مخلع البسيط]

وقينة تستبيك حسنا ... كمسك دارين إذ تشم

ألذ فى الكف منها ثدى ... تطعن فى الصدر إذ تضم

وله فى صفة راقصة. ورأيت ابن أبى العباس نسبها لعبادة، والصحيح أنها للمنذر: [المنسرح]

راقصة لا تحس وطأتها ... تخالها فى الخفوف كالطيف

تنقل أقدامها على عجل ... كأنما رقصها على سيف

ومن شعره فى طول الليل: [الكامل]

فى ليلة وصلت بأخرى مثلها ... لا ينقضى إظلامها إصباحا

تبدو النجوم بها وتخفى تارة ... تحت الغيوم كما أجلت قداحا

---

(١) انظر: التكملة ٢/٧٠٦.

ومن شعره وكتب بها إلى أبى محمد ابن أبى العباس: [الكامل]

أأضـــام والجـــار الأمـــين منـيع ... ويراع فـى كنف الـكريم مـــريع

وترى عـلى كـسـآبـة وتخـــالـنى ... فى صـغـرة بيـن السـراة خـشـوع

لو قـــد رأتنى من رأتنـى قـبلهـــا ... عـجبـت وقالت كـيف ذاك يضـيع

عـهدى به يسـتـدفع الجانى حـمى ... وأراه قـد أعـيـاه بعـد شـفـيع

الله فى حـــفظ الجـــوار وذمـــة ... والعـــز عـز والجـمـيع جـمـيع

وله يرثى أبا محمد ابن أبى العباس: [البسيط]

لمثل رزئـك دمع العـــين ينسـكب ... ومن مـصابك قلب المجـد يضطرب

وفـقـد مـثلك لا فـــقـدان يعـدله ... وإنما هو فى فـــقـد العلى سـبب

قـالوا توفى عـبـد الله فـانفطرت ... له القلوب وكـاد الحـين يقـترب

يا هضـبة عـجلت أيدى المنون بهـا ... فبعدك الأرض يكسـو خدها شحب

وكيف شمس الضحى أضحت أما غربت ... لذاك بل كيف لاحت بعدك الشهب

وكـيف لم تصـبح الأمـواه غـائرة ... وكيف تخضر فـى أدواحها القضب

أقـــول لمـا أتى منعـــاه فى رجب ... مـاذا من الحزن أهدى نحـونا رجب

ومنها:

وكنت أحـسبنـى وحدى أصـبت به ... حتى عـلا جمعنا والسـؤود العجب

يثنى العـدو كما يثنى الـصديق ولو ... لم يثـنيـا أثنت الأيـام والحـقب

ومنها:

لا أجمل الصبر من هذا المصاب ولا ... أراك لو مت تأتى بالذى يجب

والنعش حذو بنات النعش محتمل ... له صرير فمثلوم ومجتذب

مثل السفينة إلا أن راكبها ... جمع ومجلوبه ما مثله جلبوا

وكتب إلى أبى محمد ابن أبى العباس المذكور: [الكامل]

يا من إذا عد الأفاضل فى الورى ... فهو الذى يثنى عليه الخنصر

يا من هو العين الذى كل الورى ... فى كل مشكلة ألمت يبصر

يا سالكا سنن ابن ثور جملة ... فلأنت فى كرم السجية أشهر

حزت المآثر يا وحيد زمانه ... فبك السراة على الحقيقة يفخر

لا زلت ترفل فى ثياب محاسن ... وشذا الثناء يذاع منك وينشر

وله فى شمعة خضراء: [السريع]

خضراء تحكى الغصن فى شكلها ... بين اعتدال دائم واخضرار

يقول إذ أبصرها مبصر ... نور ذاك الغصن أم فيه نار

تبكى لما حل بها أو لأن ... شتت شمل الليل ضوء النهار

وله أيضا فى شمعة: [المنسرح]

واقفة ليلها على قدم ... لم يعرها فى وقوفها فتر

تنفق للناس نفسها كرما ... حتى لقد مسها به ضرر

فينقضى الليل مظهرا حزنا ... مما عراها ويطلع الفجر

وشعرُه - رحمه الله - كثير، وأدبه مشهور.

ومنهم:

٥٦ - موسى بن محمد المشعلانى[1]

يكنى أبا شهاب. من الأدباء النبهاء. كان شاعرا وأديبا بارعا. نقلت من خط خالى قال: نقلت من خط ابن سالم، أنشدنى أبو بكر ابن أبى غالب، قال: أنشدنى أبو شهاب لنفسه:

حمدت الله أن كنت المعافى ... وخصك بالعمى عينا وقلبا

فعينك ليس تبصر عين شىء ... وقلبك يبصر الأشياء قلبا

ومن شعره: [الكامل]

مما أضر بنا لدى ترحالنا ... طين على ظهر الطريق يبيس

فكأن آثار الركائب فوقه ... خط تقادم فى الكتاب دريس

وكأنما الطرق المدوسة حوله ... طرر المصاحف أخلقتها السوس

ومنهم:

٥٧ - مقدم بن معافى بن حسن بن زياد المالقى

يكنى أبا الحسن، من علية طلبة مالقة ونبهائهم ومعدود فى حلية حسبائهم. قال فيه أصبغ فى كتابه: مقدم فى النباهة كاسمه، وأصيل جرى على سنن الانقباض ورسمه. لم يقف فى أبواب الملوك ممتدحا، ولا أورى زنادا ماله بالشعر مقتدحا.

---

(١) انظر: صلة الصلة ٢٦.

وكان أبو الحسن هذا بليغا كاتبا أديبا شاعرا.

ومن شعره - رحمه الله - يرثى عبد الملك بن منذر البلوطى[1]:

[الطويل]

عليك أبا مروان يوم النوى كدت ... أموت ولو أنى أموت لروحت

وفيك اتخذت الحزن خدنا وصاحبا ... وأنواع ترجيع الحنين تعلمت

عشية مات الصبر واحتضر العزا ... وغيض بماء العين فى جفنها السحت

وجاء رسول البين فينا فقال إذ ... رآنى لأشياع له ذا تخيرت

فشد على أطواق ثوبى كفه ... وأسلمنى من بعد أنسى وجردت

إلى عصبة لم يرحموا سوء مرفقى ... كأنى بدين الله ربى كذبت

وأذن فينا للرحيل مؤذن ... فقال: أجيبوا البين قد حضر الوقت

فهان على الموت حين سمعته ... ووكل بى منهم رفيق فما زدت

أقاد ولا أدرى أقتل يراد بى ... أم السجن فاستسلمت للحين وانقدت

فقيدت فى قيد الحديد كأننى ... أسير بدار الحرب أو من به غرت

وطبقت فى سجن إذا الليل جنه ... تجلت نجوم الليل بدرا وكبرت

وظلمة سجنى فى سواد مصائبى ... كمشى نهار مر ساعته الست

مصاب أبى مروان أفنى تجلدى ... فصبرى مقطوع الحبال ومنبت

تجرع كأس الموت دونى ليته ... يؤخر عن ذاك المقام وقدمت

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم ١٣١.

به كنت ألتذ الحياة وإن غدا ... صريع المنايا ما أبالى متى مت

فقدت بفقدى شخصه كل راحة ... وكل سرور يوم ودع ودعت

وعوضت من أنسى به الحزن والأسى ... ومن جمع شملى بالتفرق عوضت

سأبكى عليه ما بقيت فإن أمت ... سيبكيه من بعدى رثائى الذى قلت

وإن لم أجد دمعا بكيت له دما ... وإن لم أطق كتمان ما حل بى بحت

وإن غلب الوجد المبرح والأسى ... وضعت على قلبى يدى وتأوهت

إذا اشتد بى كربى وضاقت مذاهبى ... ولم أستطع صبرا على كبدى صحت

تطاول بى ليلى وبدرى آفل ... فلا البدر يبدو لى ولا أنا أصبحت

أقول لمن بالذل والسجن عابنى ... رويدا فإن حال الزمان فما حلت

وإن كان وشك البين أخلق جدتى ... فحزنى جديد ليس يخلق ما شئت

وإن كان صرف الدهر غير ظاهرى ... فإنى الذى تدرونه ما تغيرت

وإن كانت الأيام أعدمننى المنى ... وغيرن من حالى فإنى الذى كنت

وليس بعيب أن سجنت لريبة ... ولا سيبهم أهلى لأنى أشركت

ولا قتلونا واستحقوا دماءنا ... بحق ولو بالحق كان لأذعنت

ولا أوثقونا بالحديد وعطلوا ... ديارى من أهلى لأنى أجرمت

وهى طويلة.

ومن شعره - رحمه الله - يرثى من مات فى البحر: [الطويل]

هوى حيث تهوى الشمس عينا حمية ... من البحر فالتمت عليه غرائبه

خـلا أنها درت شـروقا ومـذ هوى ... بلجـتـه مـا أطلـعـتـه مـغـاربه
هل الدر إلا بـالبـحـار مـقـره ... فلا غـرو أن يسترجـع الشيء واهبه
هوى الطود بالرمس الوجـيب كـأنه ... من الأرض قد ضاقت عليه سباسبه
لذلك كـان البـحـر ملحـا لأنه ... هو الـدمع تذريـه علـيـه نـوادبه
وقد كنت أسـتسقى لمن هلك الحـيا ... فـمن بعده لا جـاد بالدمع سـاكبـه
ولا سح وكـاف الغـمـام ببـقـعـة ... ولا نثـرت در الغـمـام سـحـائبـه
ومـا كنت أخـشى أن تكون وفـاته ... بمثل الذى كـانت تفـيض مـواهبـه
وما كـان إلا البحر إن فـاض جوده ... ولكنـه كـانت عـذابا مـشـاربه
فـيـا بحـر إن واريـتـه إن مـجـده ... بأفق المعـالى طـالعـات كـواكـبـه

وشـعره - رحـمـه الله - كثـيـر. مات سنة ثلاث وأربـعـمـائة، ودفن بحضيض جبل فاره.

ومنهم:

٥٨ - منصور بن الخير بن يملى[1]

المقرئ بمالقة. توفى فى سنة ست وعشرين وخمـسمائة، ذكر ذلك أحمد بن الباذش فـي فهرسـته، وذكـر أنه توفى على سن يزيد فيـها، ونسـبه إلى الكذب والدعوى فى القراءة ودخـول الأقطار ورواية الحديث بها. وهذا الذى ذكره ابن الباذش أمر لم يعرف به الشـيخ المذكور، بل كان من جملة المحدثين المقرئين الموصـوفين بالعدالة. وقـد رحل إليه من غرناطة الحافظ أبو عـبد الله

(١) الذيل ٦/ ٤٤٩، والتكملة ٢/ ٦٤١.

النميرى، وتلا عليه القرآن، وآثره على ابن الباذش ولم يتهمه فى شىء من روايته. ولا يشك فى أن النميرى أتم معرفة بعلم الحديث وأحسن نقدا له من ابن الباذش، وقد روى عنه سوى النميرى جماعة من الجلة، كالأستاذ الكبير أبى القاسم بن دحمان، فلم يصفه بشىء من ذلك، بل كان يصدر به فى أشياخه ويعظمه. وقد روى الأستاذ الأجل أبو محمد القرطبى السبع عن ابن دحمان عن أبى على منصور المذكور، وكان أعرف الناس بهذا الفن، فلم يطعن عليه ولا اتهمه. وقد أشار الأستاذ أبو محمد القرطبى إلى ذلك فى إجازته المنظومة فقال بعد تقديم صدر منها: [الطويل]

وأشياخ منصور بن يملى جماعة ... ولابن شريح فيهم المنصب العالى

تلا السبع بالكافى عليهم محصلا ... وحسبك بالكافى مفسر إشكال

وحاز ابن يملى بالمعدل رفعة ... وما مثل موسى بن الحسين لرحال

ونال بلقيا الطابرى بمكة ... أبى معشر ما شاء من درك آمال

ومنها:

روى عنه تلخيص المثانى رواية ... وعرضا فلا تحفل بقيل ولا قال

وإنما قال الأستاذ - رحمه الله - فى هذا البيت: . . . فلا تحفل بقيل ولا قال، لتكذيب ابن الباذش لأبى على فى روايته عن الطبرى. ولا أدرى ما حمله على تكذيبه، ورحلته إلى المشرق لا تنكر لشهرتها والحمد لله. وتوفى - رحمه الله - بمالقة فى شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة. ذكره ابن بشكوال. قال شيخ شيوخنا الفقيه العالم أبو على الرندى فى فهرسته، وقد ذكر أبا على بن يملى: وقد تكلم فى أبى على هذا، تكلم فيه أبو جعفر بن

الباذش وبالغ وأظهر التعسف فى أمره. قال: وأخبرنى القاضى أبو بكر ابن أبى زمنين عن الشيخ المحدث أبى بكر بن رزق أنه ناظر أبا جعفر بن الباذش فى أمر أبى على حتى أذعن له أبو جعفر، ووقف عند قوله. وقال أبو على: هذا قد وثقه الأشياخ، منهم أبو بكر بن رزق وغيره، وصححوا روايته. وأخبرنى الفقيه العالم أبو القاسم - يعنى السهيلى - أنه وقف على إجازة أبى معشر لأبى على عند بعض أهل مالقة. وفى هذا تبعيد للتهمة فى حق هذا الشيخ والحمد لله. قلت: وذكره ابن بشكوال، وقال: كانت له رحلة إلى المشرق حج فيها، ولقى أبا معشر الطبرى. ولقى أبا عبد الله ابن شريح، وأبا الوليد الباجى. قال: وسمعت بعض شيوخنا يضعفه.

ومنهم:

٥٩ - موسى بن رزق

هو الوزير أبو عمران صاحب أبى عبد الله الرصافى. كان - رحمه الله - من النبهاء والأدباء. وكان كريما مقصودا عالى الهمة جميل العشرة. وكان طلبة مالقة الجلة كأبى عبد الله الرصافى الأديب، وأبى على بن كسرى، وأبى بكر الكتندى يجتمعون فى منزله، ولا يبرحون عنه ليلا ولا نهارا. وكان له بستان يختص بهم لجلوسهم ومناظرتهم. ولهم فى ذلك البستان أوصاف عجيبة ومعان مخترعة. ولهم فى أبى عمران المذكور أمداح رائعة أذكر الآن طرفا منها، إذ قد وعد خالى - رحمه الله - فيما مضى من هذا الكتاب[1] بذكر بعضها فى باب موسى.

---

(١) راجع آخر ترجمة الرصافى.

فمن ذلك مقطوعات الأديب أبى عبد الله الرصافى يصف بستان أبى عمران المذكور ويمدحه، فقال: [الكامل]

ما مثل موضعك ابن رزق موضع ... زهر يرف وجدول يتدفع

وكأنما هو من محاجر غادة ... فالحسن ينبت فى ثراه وينبع

وعشية لبست رداء شحوبها ... والجو بالغيم الرقيق مقنع

بلغت بنا أمد السرور تألفا ... والليل نحو فراقنا يتطلع

فابلل بها رمق الغبوق فقد أتى ... من دون قرص الشمس ما يتوقع

سقطت ولم يملك نديمك ردها ... فوددت يا موسى لو أنك يوشع

قلت: وقد جرى الأديب أبو عبد الله بن مرج الكحل هذا المجرى فصنع قطعة ينحو فيها نحو أبى عبد الله الرصافى، وهى: [الكامل]

طفل المساء وللنسيم تضوع ... والأنس ينظم شملنا ويجمع

والزهر يضحك عن بكاء غمامة ... ريعت لشيم سيوف برق تلمع

والنهر من طرب يصفق موجه ... والغصن يرقص والحمامة تسجع

فانعم أبا عمران واله بروضة ... حسن المصيف بها وطاب المربع

يا شادن البان الذى دون النقا ... حيث التقى وادى الحمى والأجرع

إن غاب نور الشمس لسنا نتقى ... بسناك ليل تفرق يتطلع

الشمس يغرب نورها ولربما ... كسفت ونورك كل حين يسطع

أفلت فناب سناك عن إشراقها ... وجلا من الظلماء ما يتوقع

فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل ... فوددت يا موسى لو انك يوشع

ونقلتُ من خط أبى عمرو بن سالم، قال: أنشدنى صاحبنا الفقيه أبو على بن كسرى مما ارتجل أبو عبد الله الرصافى بحضرة أبى بكر الكتندى الكاتب - رحمه الله - فى صنوبرة قد صنعت من نحاس، وثقبت جوانبها وركبت فى وسط مستدير يديره ماء فى بستان أبى عمران المذكور فقال فيها أبو عبد الله الرصافى - رحمه الله - هذه الأبيات: [المتقارب]

وروض جلا صدأ العين به ... أزيرق يطفو على مشربه

صنوبرة ركبت ساقها ... إليه فخاضت حشا مذنبه

فشبهتها وأنابيبها ... بها الماء قد جد فى مسكبه

بأرقم كعك من شخصه ... وأفراخه يتعلقن به

وله فيها أيضا: [البسيط]

لم أنس ما راق عينى من صنوبرة ... لها مع الماء حال غير محلول

تعب فيها لجينها فتنفخه ... أعطافها مثل أشطار الخلاخيل

وله فيها أيضا: [مخلع البسيط]

وجدول كاللجين سائل ... صافى الحشا أزرق الغلائل

عليه شكل صنوبرى ... يفتل من مائه حلائل

ولأبى بكر الكندى فيها: [الطويل]

صنوبرة لم يوجَد الكون مثلها ... حلى بساتين وريق مذانب

حوت ذائبا من طعمها فوق عادة ... فسالت ينابيعا على كل جانب

يضاهى الثريا شكلها واجتماعها ... لو ان الثريا قد حكتها بذائب

قلت: ولم أقف للفقيه أبى عمران المذكور على شعر. غير أن الفقيه أبا عمرو بن سالم قال فيه: كان من الأدباء. وتوفى - رحمه الله -....

* * *

ومنهم:

٦٠ - صالح بن على بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن مسلمة الأنصارى

يكنى أبا التقى، ويعرف بابن المعلم. كان - رحمه الله - من أهل الطلب البازع والمعرفة والاجتهاد يتصرف فى فنون من النحو والآداب وغير ذلك. وكان نبيها ذكيا يميل إلى طريق الرواية أخذ عن شيوخ جلة، كالأستاذ أبى محمد القرطبى، وأبى على الرندى، وأبى محمد بن حوط الله، وأخيه أبى داود، وكأبى الخطاب بن واجب، وجماعة. وكان - رحمه الله - من أهل الأدب، لكن لم أقف له على شعر.

حدثنا صاحبنا الفقيه الزكى ولد أبى التقى صالح المذكور، قال: كنت فى وقت أدرس كتاب الزكاة من الموطأ، فأطلت القراءة ليلة من الليالى حتى غلبنى النوم، فكنت أرى والدى - رحمه الله - جالسا معى، فكنا نتحدث فى القراءة والطلب، وكنت أقول له: هل عملت قط شعرا، فكان ينشدنى: [الطويل]

وقفت أمام الحى أرصد غفلة ... أساعد طرفى تارة وأناظر

فإن غفل الواشون عنا تكلمت ... حواجبنا عما تكن الضمائر

قال: وكان يقول لى: هى على سفر من سيبويه مقيدة. قال: فنظرتها فوجدتها كما ذكر. وتوفى - رحمه الله - فى يوم الأربعاء ضحوة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وستمائة.

٦١ - صالح بن جابر بن صالح بن حضرم الغسانى

يكنى أبا التقى. كان - رحمه الله - من طلبة مالقة وأدبائها، ذكيا ينظم الأشعار المعربة والهزلية ويصنع الأزجال والموشحات الرائقة. وكان له فى صنعة النجوم باع مديد. وله فيها تواليف عجيبة بين منثور ومنظوم. وكان - رحمه الله - فاضل الطبع، حسن الحال، لوذعيا متواضعا.

قال الفقيه أبو عمرو بن سالم: كتبت على منزل أبى التقى صالح اسمى، فجاء وقرأه، فكتب إلى: [الكامل]

ألفيت خطك سيدى بالباب ... ففهمت منه تهمم الأحباب

وعلمت أنك إنما وافيتنى ... لترى بأنى من ذوى الألباب

فجاوبه أبو عمرو بن سالم: [الكامل]

كتب المتيم خطه بالباب ... لتعده من جملة الأحباب

وتشرفا بجلالكم وخلالكم ... يا مولعا بلباب كل لباب

ومن شعره يستدعى مربى: [الوافر]

بعثت إليك يا خلى إناء ... وقد وافى بوقت الظهر فيء

فوجه فيه شيئا ليس عندى ... سواه وليس عندك منه شيء

ومن شعره: [الكامل]

قد جاء للحانوت بعدك صالح ... فإذا بها قد زال عنها أنسها

ورأى مكانك حين غبت كأنه ... أفق السماء إذا توارت شمسها

ومن شعره فى القسى: [الوافر]

نظرت إلى القسى فقلت مهلا سؤال لا تمل الأذن سمعه

أرى من أم منكم رمى سهم ليوقعه بمن قد رام قمعه

يورى بالرجوع إلى وراء ويسرع للمواجه أى سرعه

فقلت مه ألست أخا حروب ألم تسمع بأن الحرب خدعه

ومن شعره يذم أبناء الزمان: [الكامل]

عجبا لأبناء الزمان وحالهم ما منهم للدهر غير مساعد

إن جاد جاد جميعهم وتسارعوا لمراده وقتال كل معاند

وإذا رأوه سطا على من قد سطا صانوه واتبعوا سبيل الذائد

وشعره - رحمه الله - كثير وموجود بأيدى الناس. وسأذكر من شعره فى باب عيسى فى مكاتبة بينه وبين أبى الأصبغ بن عياش.

ومنهم:

٦٢ - صفوان بن إدريس

يكنى أبا البحر. أصله من مدينة مرسية. واجتاز على مالقة، وأقام بها مدة، وأخذ عنه بها من شعره كثير. ثم انتقل إلى مراكش فأقام بها مدة. وهذا المذكور من فحول شعراء الأندلس وأدبائها، شاعر مفلق وكاتب بارع، تضرب ببراعة كتبه الأمثال: وله رسائل عجيبة ومقامات غريبة، وأشعار رائقة. نقلت من خط أبى عمرو بن سالم قال: أنشدنى أبو البحر صفوان لنفسه بمالقة عند توجهه إلى الحضرة من شعره: [الكامل]

يا حسنه والحسن بعض صفاته ... والسحر مقصور على حركاته

بدر لو ان البدر قيل له اقترح ... أملا لقال أكون من هالاته

عبثت بقلب محبه لحظاته ... يا رب لا تعتب على لحظاته

ركب المآثم فى انتهاب نفوسنا ... فالله يجعلهن من حسناته

يعطى ارتياح الحسن غصنا أملدا ... حمل الصباح فكان من زهراته

والخال ينقط فى صحيفة خده ... ما خط حبر الصدغ من نوناته

وإذا هلال الأفق قابل خده ... أبصرته كالشكل فى مرآته

ما زلت أخطب للزمان وصاله ... حتى دنا والبعد من عاداته

فغفرت ذنب الدهر فيه لليلة ... سترت على ما كان من زلاته

غفل الزمان فنلت منها بدره ... يا ليته لو دام فى غفلاته

ضاجعته والليل يذكى تحته ... نارين من نفسى ومن وجناته

بتنا نشعشع والعفاف نديمنا ... خمرين من غزلى ومن كلماته

وضممته ضم البخيل لماله ... أحنو عليه من جميع جهاته

أوثقته فى ساعدى لأنه ... ظبى خشيت عليه من فلتاته

والقلب يدعو أن يصير ساعدا ... ليفوز بالآمال فى ضمناته

حتى إذا هم الكرى يجفونه ... وامتد فى عضدى طوع سناته

عزم الغرام على فى تقبيله ... فنهضت أبدى الطوع من عزماته

وأبى عفافى أن يقبل ثغره ... والقلب مطوى على جمراته

فـاعـــجب لملتـهب الجـــوانح غلة يشكـو ألظمـــا والماء فـى لهـــواته

وله يخاطب أبا عبد الله بن مرج الكحل المتقدم الذكر، فقال: [الطويل]

سـأنفث والمصـــدور لا شك نافث وأسـمع إن أصـغت إلى الحـوادث

وكم وقـفت لى بالمعـاتب مـثلهـا على حين لا شىء على الصـبر باعث

فـهل ســحـر هاروت يقى لـلـمـة فـروعى مـيت والتـــوهـم باحث

خلـيلى من سـكان بابـل حـــدثا فـــإن الخليل لـلخليل مـــحـادث

هل السحـر باق مثل ما قد عـهدته أم اتفـقت بـعـدى أمـور حـوادث

ومـا عند هاروت ومـاروت فـانظرا أعلمـهـمـا فـى ذلك الغـار لابث

وإلا فـشـعـر قـد أعـارته عـينهـا فإن ابن مرج الكحل بـالسحر نافث

أمـا والذى أعطاه فى الشـعر غـاية أمانى ابـن حجر عن مـداها روائث

وقـال أليس الحـسـن ذلك طبـعـه وأنك فـــيـــه من مـــحـل لماكث

لقـد راع ســـربى أن عنانى بـقـوله تغـيـر لى فـيـــمن تغـيـر حـارث

فمن بعـد هذا القول لست بـجانح إلى مكســب إذ مكســبى هو ارث

ومنها:

ووجـهـــتـهـــا غـراء عل قـــرينه يصـيخ وبى فك القـديم الكثـاكث

كـأن بيـاض الطرس سـام كـرامـة وأســـوده حـــام فـــمن هـو يافث

ومنها:

وفى حـرم الإخـــلاص ودك عندنا وقـــد منعت عـنا هناك الـروافث

وسوق ودادى نفقت كاسد الوفا ... وقد كسدت فيها المساعى الرثاثث

متى رمت بى نصرا تجبك ثلاثة ... لسانى وودى والسريجى ثالث

وكتب إليه ابن مرج الكحل بقصيدة أولها: [الطويل]

أعادتك من ذكر الأحبة أشجان ... فقلبك خفاق ودمعك هتان

تحن على شحط المزار إليهم ... ومن دون لقياهم قفار ويلدان

خليلى ما فى الأرض صفو مودة ... إذا لم يكن يصفى المودة صفوان

رمانى بزور وهو بالحق عالم ... وكل كلام الشر زور وبهتان

نطقت فأفحمت العراق بلاغة ... وأخرست ما تحوى السراة خراسان

ولو سمعت سمعا عكاظ بلاغتى ... لما جرر الأذيال فى الدهر سحبان

ولو كنت فى جيل الأوائل لم يكن ... ليذكر بالإحسان فى الشعر حسان

فجاوبه الفقيه أبو بحر صفوان بقصيدة منها: [الطويل]

سل البان عنهم كيف بعدهم البان ... أشاقوه إذ ساروا وراعوه إذ بانوا

ألم يتعاط دون بان قضيبه ... فتلك القدود الهيف فى العين إخوان

فما بالها لم تدن شوقا إليهم ... ولم تتقدح فيها من الوجد نيران

ومنها:

إليها فلا انجرت ذيول ظلالها ... ولا أشبت منها المعاطف أغصان

فإن حكموا أن القدود ذوابل ... فشاهدهم أن النواظر خرصان

وإن أجمعوا أن الخدود أزاهر ... فحجتهم أن المعاطف أفنان

خليلى عوجا وانظرا وتبينا ... ولا تكسلا لن يبلغ المجد كسلان

أهدى الذى تهدى الرياح سلامهم ... فإنى أرى للريح عرفا له شان

لعلهم قد أودعوها شذاهم ... ليرتاع مشتاق ويهتز هيمان

وإلا فقولا أنتما قول منصف ... أطيع نسيم الريح روح وريحان

أقول لقلبى حين أشعر غدرهم ... ثكلت أترضى أن تخون كما خانوا

ولا غرو أنى كنت للعهد حافظا ... وكلهم عند الشدائد خوان

فعن حكمة ما يخزن النار مالك ... ويخزن دار الخلد والفوز رضوان

ولا كابن مرج الكحل علق مضنة ... تشد عليها للشدائد أيمان

وما راعنى من وده غير أنه ... يغيره قوم كدهرى ألوان

أقول له لما أصاخ لقولهم ... أمن نفحات الريح يهتز ثهلان

ومنها:

لعمرى وما عمرى بحلفة فاجر ... ولكنها بر وصدق وأيمان

لقد علمتنى كيف تصفو مودتى ... أعادتك من ذكر الأحبة أشجان

صدقت إذا لم يصف صفوان وده ... فليس بصافى الود فى الناس إنسان

هل النون فى صفوان إلا مزيدة ... من الصفو والإخلاص يستبن صفوان

شهدت يقينا أن فكرك آية ... يؤيدها من معجزاتك برهان

فلا تجعلنى من بنى الدهر إنهم ... لنعلى -على أنى تسامحت- عبدان

ولا كل من يدعى فتى هو مالك ... ولا كل من فوق البسيطة سعدان

ألست الذى ارتج العراق لذكره كما ارتج إذ لاقت جيادى صنعان
وكم كلفت مصر ببشر مآثرى وقامت على ساق لذكرى بغدان
لى الكلم العذب الذى لو بذلته لطالبه ما استعمل الماء صديان
من الكلم الرطب الذى لو أبحته لزيف عقيان وبهرج مرجان
كلام إذا أرسلته قال بعضهم لبعض أعنى الآن عمرى لقمان

ومنها:

وإنى لماضى المضربين وحاملى جبان ولكن فى المجامع سحبان
جردت حساما فى يد الدهر لو درى لساد به لكنما الجهل حرمان
ولو أن إنسانى يسر مودتى لما انطبقت من فوقه لى أجفان

وكتب - رحمه الله - عن أحد الناس يستعطف أحد أهل الدنيا: أما بعد، أدام الله مدة الشيخ أبى فلان، وأبقاه عمادا وجنة ونصرة، وعاطفا على من استجار به من ساعة العسرة. ولا زال منتصرا للمظلوم، دافعا فى صدر الظلوم، راعيا حق الأدب الذى أضاعه الزمان وأهمله، منتهضا منه ما قعد به الدهر فأخمله، فإنما يرجى للعظيمة العظيم، ويدخر للشدائد من حقه التوقير والتعظيم، وإلى الله يلجأ اللهفان، وبسفينة نوح يستجير من يكنفه الطوفان. وأنا بالله ثم بك من زمان عطل أدبى، وأردت أن أقوم به فأقعد بى. وكلما أشرت إلى أن أبرأ، نهب، وإن جنحت إلى أن أخمد، ألهب، وأنشد وقد جاء بالتعنيف وذهب:

الضب والنون قد يرجى اتفاقهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب

فبقيت لا أدرى هل انطباعى قصر من طباعى، أم براعتى أخملت يراعتى، أم فصاحتى عمرت بالخمول ساحتى، أم سحر أدبى إلى الهوان أدى بى، أم إطنابى قصر أطنابى. كما لا شك أن إشعارى جعلت اتصال أشعارى، ورسائلى قطعت وسائلى، وشوارد أمثالى أبت أن يسود أمثالى. فهلا بنانى عنانى، ولم تكن مذهباتى مذهباتى، وخطابى للغير خطابى. أستغفر الله لا أشكو ولا أدع، رغم أنف الأشم وشموخ الأجدع. فأقسم بمآثرك التى خلدتها حجولا للزمان وغررا، ونسقتها فى جيد الوجود دررا، ثمينا فى غير إغلاق، لولا أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [سورة الأنعام آية ١٥١]، لو أدت بنات فكرى بغير ذنب، ونفضت يدى من الأدب عن الصاحب بالجنب، وبرئت من الأدب وأربابه، وأتيت الزمان من بابه. ولكن بقى - أعزك الله - فى هذه الفضيلة فضلك، وهذا الهدف سيقرطسه إن شاء الله نصلك. وها أنا قد وقفت بين يدى علاك أخاصم دهرى، وأباحثه لأية علة فتق كمائم الخمول عن زهرى، أم كان أراد أن لا يجمع بى الحسنيين، ولا يطابق فى المنظر والمخبر بين المغنيين. فعلى هذا من يحسن فى جميع الجهات ويجمل، من ذا الذى يعطى الكمال فيكمل. وإن كان إنما حط درجتى ظلما وهضما، وعبث بجاهى فشرط نظما، فكفى بك حكما من أهله، يضرب على يدى جهله ونشله. يا أبا سليمان، اخبر الزمان، واحكم فى قضاياه حكم سليمان، واقض بينى وبين زمانى بالواجب الأحق، وإنما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ومثلك نهض بمن ألقى إليه يد الاستسلام، نهضة عمر بن خطاب - رضى الله عنه - لشهرة الإسلام. وإليكها تختال كما تفعل كل ذات ذيل، وتستجير بك من زمان ضل فى اهتضامها ضلال هذيل. ولا غرو أن تجيرها،

فالفضيلة خامسة طبائعك، وإسعاف مؤملك عنوان صنائعك. وكم لها من أخية، تصغيرها على حد التكثير كما قالوا بريق ودويهية، والمشار بهما إلى الأمر. والله تعالى يخلد ذكر مجدك فى بطون الأوراق، يتهاداه العراق من الشام والشام من العراق، والسلام كما اعتمره الزمان بالأشواق، وطير الثناء يروح ومجدك سخى بالعشى والإشراق، والسلام.

وكتبه - رحمه الله - كثير مشهور.

* * *

حرف العين

ومنهم:

٦٣ - عامر بن معاوية بن عبد السلام بن زياد بن عبد الرحمن بن زهر

ابن ناشرة بن لوذان اللخمي، يكنى أبا معاوية، من قرطبة. وأصله من رية ولاه المنذر قضاء الجماعة بقرطبة من إشارة الفقيه بقى بن مخلد. وكان لعامر رحلة سمع فيها من سحنون بالقيروان، ومن أصبغ بن أبى الفرج بمصر، ومن غيرهما.

وكان من أهل الرواية فاضلا ورعا، إلا أنه كان يذكر عنه غفلة. وروى أن محمد بن غالب بن الصفار، تكرر عليه طويلا، فكان يقول له كل مرة يأتيه: من أنت رحمك الله، فيتسمى له، ويعرف عنده. فإذا عاد لم يزده لديه إلا جهلا، واستدعى معرفته. وقال أحمد بن خالد: سمعت من القاضى أبى معاوية فى بعض مجالسه، حديثا ذكر فيه يافث بن نوح، فقال: هو بالتاء بنقطتين، فأنكرناه، فقال: امضوه، فقد قلت

لابن بكير: يافث بالتاء نقول؟ قال: نعم، من غدوة إلى الليل. وحكى أن الحبيب بن زياد عاتب بقى بن مخلد فى تركه الإشارة على الأمير به للقضاء. فقال له بقى: لا تلمنى، فلنفسى احتمدت، فأشرت بمن هو عندى منك أفضل، والغيب لله، فسكت عنه الحبيب. ولم يزل قاضيا أيام المنذر. ثم اشتهر أمر ولاية الأمير عبد الله، فعزله وولى النضر بن سلمة. ويحكى أن

عامـرا لقى ابن حفصـون قبل ثورته، فرآه ابن حفـصونْ وقبل يده، فـقال له عامر: اتق الله فى الناس إذا ملكت رقابهم. فـمن هناك، زعموا، قوى طمع ابن حفـصون، والله أعلم. وتوفى عـامر - رحمـه الله - سنة سبع وسبـعين ومـائتين بعـد ثلاث سنين من ثورة ابن حـفصـون. ذكر ابن الفـرضى بعض قصته. وذكر سائرها غيره.

ومنهم:

٦٤ - عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصارى المالقى

ومنهم:

٦٥ - عبد الله بن أحمد بن عمر القيسى يعرف بالوحيدى

. . . . . سـتهـم. وقد رفـعت أمـره، إلى الذى أطال فى هذا العـمل عمره. إنه يقضى بالحق، ويمـضى حكمه على جميع الخلق، لا إله إلا هو، والسلام. وتوفى - رحـمه الله - بمالقة ودفـن بمسجد حكمـه من داخل سور مالقة المنسوب إليه، وصلى عليه ابن حـمدين وابن حسون. وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وخمـسمائة. ومولده سنة ست وخمسين وأربعـمائة. وكان قد كف بصره، نفعه الله. ذكر ذلك ابن بشكوال.

ومنهم:

٦٦ - عبد الله بن على ابن أبى العباس

يكنى أبا محمـد. كان - رحمه الله - من جلة الأدباء وعلية الفـصحاء الخطباء، مـعدودا فى الرؤسـاء من أهل مالقة الحـسباء. مـرتبتـه فى المعارف مشـهورة، وآدابه مـدونة مسطورة. كـان جليل المقدار، عـالى الهمـة، رفيع

القدر. كتب للسيد أبى يعقوب وعن أبى محمد عبد المومن، وجملة من السنادات. وكان معظما عندهم، مقربا لديهم يباهون به فى مجالسهم، ويشاورونه فى أمورهم. وصفه أخوه أبو العباس فى كتابه فقال: فقيه ماهر، وأديب خطيب شاعر، ونادرة عصره، وجمال مصره. استشرفت إلى خطبه الرائقة، وآدابه الفائقة متون المنابر، ونطقت ببراعته وجزالة خطباته ألسنة الأقلام وأفواه المحابر. وكان منذ نشأ بعين الجلالة منظورا، وفى ديوان أشغال السادة مذكورا. تفرد بتقييد العلم وتفرغ له، وحمله عن الرجال الجلة الكملة، وطار ذكره فى الآفاق ورأى فى دنياه ما أمله. وكان مع هذه المفاخر شاعرا مطبوعا.

ومن شعره - رحمه الله - يمدح أمير المؤمنين عبد المومن بن على: [الكامل]

طاوع فطوع يمينك المقدور ... واسلم فأنت الناصر المنصور

واضرب بسيفك حيث شئت من العدى ... إن القضاء حسابك المسطور

وردت لكم بشرى النبى فصرحت ... أعجاز تصديق به وصدور

ومنها:

وأعدتم الدين الحنيف لبدءه ... فكأن خيركم له تصدير

سائل عن الأعراب معرفة الظبا ... يخبرك منها شاهد وخبير

ومنها:

جلبوا الجياد الجرد كى تحميهم ... فغدت بهم للحين وهى قبور

أهديتم سمر الرماح رسالة ... وأتاهم بالمرهفات نذير

ومنها:

كانوا بجنة طاعة فغدت لهم ... من محرز التضييع وهى سعير
عاطاهم حبل الغرور فأصبحوا ... صرعى وسلك نظامهم منثور
وغدا وخطار القناة لهامه ... جسم وناشرة السنان سرير
فمقامه يذكى تباريح العدى ... وعنانه لمسيئهم تحذير
وكأنه فوق العوالى خاطب ... يومى لمصرعه بها ويشير

ومنها:

وكأن مسعودا على ضد اسمه ... وضباره فى قده مجبور
من لا تدانيه النجوم جلالة ... من لا يحيط بوصفه التعبير
من لا توازيه الجبال سكينة ... أضحى شبام دونها وثبير
ملك عليه مسحة لمليكه ... يرتد عنها الطرف وهو حسير
وإذا أدار بكفه سمر القنا ... هشت إليه من العداة نحور
هو حجة الله التى ببيانها ... نطق الكتاب وأنبأ التفسير
فاهنأ أمير المؤمنين فإنما ... أيدى القضاء بما تشاء تدور

وكتب - رحمه الله - إلى أبى جعفر بن ملحان مشرف مالقة على لسان أبى الحجاج بن مطرف، يذكر أن بينه وبينه ذماما، وكان قد ضيق عليه فى ماله، فاستعطفه له عندما سأله أبو الحجاج ذلك، فكتب له على الفور، وهو هذا: [البسيط]

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة ... أعلى من الشكر عند الله فى الثمن

إذن منحتكها منى مهذبة حذوا على حذو ما أوليت من مُنَن

أنا - أدام الله أمركم، وأضفى على كافتنا ستركم - أعتد بكم اعتداد الرمح بالنصل، وأعتمد بشرف خلالكم اعتماد الفرع بالأصل. فإن درت من روضى كمامة، جادتها من سمائكم غمامة، فسحبت عليها معاطف الذيول، ونبهت جفنها من سنة الذبول، أو عاص أخلاب البوارق، وأخياف الطوارق، ولوى بزخره النباهل ؛ أشرقت لى أنوار هداكم، وأقمار علاكم، فأضاءت لى أعلام المجاهل. ولما نفح نسيم اعتلالكم، وسنح لبرق اجمالكم من إسفار الآمال، وإيثار الاقتبال، ومطاوعة التهمم والاهتبال، واحتاج إليكم فى الطلب، لتكونوا ملاذا وثقة يغير بكم على عقد الكرب ؛ قصد محلكم الكريم عمر الله بالمسرات أكنافه، وعم بالمبرات والبركات أسماعه وأخلافه، يجيل فى منزلكم فاتر قداحه، ويعيد عند علاكم وارى اقتداحه، ويختم بالاستخبار مبادئ افتتاحه. وماذا أقول ونور جلالكم عرض فحمت، وبرق اجمالكم أومض فشمت، واستثار حالى فيما يقرب آمالى، بحسب ما تحققته من طولكم، وعلمته. . . . والذى يستمسك معظمكم بأسبابه، ويستمنح الوفر من بابه، ضويعة بذكوان رشا رزقها بعيد، ووعدها وعيد، وعمرتها من جهلة البادية الذين يعيثون فى الأموال عيث السباع، ويعادون ضيفها بمباينة الطباع. ومتى لم يكن لنا عليهم فى الكرامة شفوف، ومن بر الولاة رأى معروف، تحامونا كما يتحامى الأجرب، ونبذونا نبذ النواة فلا تدانى ولا تقرب. ومن جملتها هذان الحجران اللذان ضربت عليهما العطلة رواقا، وعقدت بينهما وبين الكساد حلفا واتفاقا، فلا يرجوان إنفاقا، ولا يعدمان خيبة وإخفاقا. وكأنما بث الدهر عليهما رقيبا، وابتغى قابض الخراج على

نازلتهما تعقيبا. فإن سلك بينهما وجار، وألم بساحتيهما جار، نظر المكاس بفرط الإضاعة، ومزجى البضاعة، إلى طالع تلك الساعة، وقال لى السمع والطاعة، الآن طرق الاستعمال، وانثالت الأموال، وفى يدى وضعت الجبايات والأعوال. ومنها فى قول المكاس: ما أحال جيش الفقر إلا قد انهزم، لى ما أخذت وعلى صاحب الأصل ما التزم. حتى إذا أنفذ ما وقد، وانقطع الورد الذى يغشى أمله ورقد، عاد آفل عمره إلى الطلوع، واشتمل بثوب الاستكانة والخضوع، وأنشد: فضح التطبع شيمة المطبوع. ومع وضعى هذه الأمور فى غاية العرفان، وتغييضى منهم على قذى الأجفان، أحمل جوارهم على حيف، وأمنح من مواصلة إفادتهم بمسرى طيف، وأعدهم لطارق وضيف. وهذه الرحى التى رفعت إلى طولكم منارها، وشببت على علم نارها، هى لرجل من إخوانى، وخواص زمانى. وقد جعل الله على أياديكم زمام صلاحها، ومطالع صباحها. فإن عاقتها موانع الأقدار، وتعذر - وحاشاكم - أمركم بتوقيف فلكها المدار، غرب من أفق الأمل ما طلع، وانحط عند أهل الجهة ما أعلاه اجمالكم من قدر الجلة ورفع، وإن قصرت على أخى مشواها، ونالت النفوس من لمحات علائكم ونفحات اعتلائكم هواها، وانفسح فيما منح بطولكم المجال، وأروت من بركم السجال، منحتم الفضل جسيما، وزدتم أنفسكم الحسنى تتميما، وواصلتم صباحا منها على العهد الأحسن مقيما، إن شاء الله، والسلام.

ومن شعره - رحمه الله - يرثى ابنة لأبى الحكم بن حسون: [الكامل]

سلم أخى لوقيعة الأرزاء والبس لمرزئها جميل عزاء

واركض جيادك فالمجرة مسلك ومعاشر لك أنجم الجوزاء

وارفع لواءك فالثريا جنة ... ومن السماك أحبة للقاء

ولك الإمارة بستدل بسعدها ... ولك المنى فى مطالع السعداء

ولك المعالى تستدر حوافلا ... ما حالفت لمواهب النعماء

ولك العوالى الخاضبات عواملا ... فى صدر كل عجاجة تيهاء

ولك السيوف المشرفية دأبها ... فى الحرب ضرب جماجم الأعداء

وأرى عيانا فى العزاء تأسيا ... بأئمة للهدى والخلفاء

متهاديا ما بين طرف خاشع ... من رحمة تبدى وبين دعاء

فهمت تسعر وجنة مطرودة ... عن عبرة وكآبة حمراء

تهمى فتغرق صفحة فى لمحه ... وجدا وتغرق مقلة فى الماء

يهفو إذا اهتزت أراكة أيكة ... خفاقة حنيت على ورقاء

فيظل يسجع نادبا فتيخا له ... نوح الحمام ورنة المكاء

واها لدوح معالم هضر الردى ... منه المعاطف فانثنى لسماء

ولوى بزهرة عزة قد حليت ... لباتها بقلائد الأسداء

أودت فأسلمها إلى دار البلى ... من كان يسندها إلى الأحشاء

لم تغن عنها الخافقات ولا الظبا ... وفخار كل طمرة جرداء

يا فادح الغلب الذى فل الحيا ... ورمى حصاة القلب بالأرداء

أنى طرقت مها الملوك ولم تتر ... وسلبت در الكأس لليسراء

وطلعت فى إبان أروع ماجد ... يجلو الخطوب بغرة غراء

فترى جموع المعتفين ببابه ... يسعون بين الركن والبطحاء

مبتسم ما بين روض ناعم ... يندى وبين غمامة وطفاء

أرجت بذكراه النوادى فانتشت ... أنفاسها عن روضة غناء

طلق الجبين إذا تجهم حادث ... سفرت مطالعه عن السراء

وعلاه لولا بارق من أفقه ... شمنا سناه بمظلم الأرزاء

ما لاح وجه الصبر أسوة منقد ... فيها ولا عزى بحسن عزاء

فسقى ثراها من سلالة ماجد ... ودق يجود بديمة وطفاء

وغمامة مسح الصبا أعطافها ... تستضحك الأنواء للأنواء

ولما وردت هذه القصيدة على ابن حسون وقعت منه موقعا عظيما، فوقع للفقيه أبى محمد المذكور:

وصل - لله درك - رثاؤك الأثير الخطير الذى يروق سناه، ويرق لفظه ومعناه. ولسنا نشك فى صفاء ودك، وإبراز ندك، إذ نحن على مثل ذلك مودة وحبا، وأكثر منه دفعا عن جنابك الكريم ودبا. والله يمتع بمكانك، ويبقيك واسطة فى جيد زمانك، بمنه وفضله، والسلام عليك منى ورحمة الله وبركاته.

وشعره - رحمه الله -، وكتبه ومكانه من العلم بحيث لا يخفى، فلا معنى للإطالة فيه.

ذكر أخوه أصبغ وفاته فقال: وتوفى أبو محمد - رحمة الله عليه وغفرانه، وروحه وريحانه، وهلال سمائه فى سماء الفتوة وقاد، وصباح

اقتباله صقيل الصفحات والأبراد - فى ليلة الثالث من رجب الفرد عام اثنين وستين وخمسمائة.

ومنهم:

٦٧ - عبد الله بن الرية المالقى

يكنى أبا محمد. وصفه أبو العباس بن أصبغ فقال: شاعر مجيد، وعقد يزهى به الجيد. حل من زهر العلوم محل السنان من العامل، والزبرقان من المغازل، وتمت به غرر المحامد، فقام مقام الصلة بالعائد. قال الفقيه أبو العباس بن أصبغ: مرت جارية يوما على فتى من فتيان مالقة ونبهائها، فسألها متى يكون اللقاء، فوعدته بأن تصل عنده فى المغرب، فوصلت إليه فى الموعد، فصادفت أباه قد وصل من سفر، فحار الفتى وخجل منها. ثم إنه تخلف الجارية فى غرفة على باب الدار. قال أصبغ: ما بها أنيس إلا البق والفأر. فجلست الجارية فيها وهى قد دهشت واستطير عقلها، وبقى الفتى مفكرا باكيا من سببها، لا يقدر على الانصراف عن والده. ثم احتال إلى أن وصل إليها. فلما كان فى الصباح خرجت الجارية تبكى، وقلبها يضطرب مما دهاها. فاعتذر إليها الفتى، فلم تجبه. فاتصل خبرها بالفقيه أبى محمد بن الرية فوصف الأمر على ما وقع، وكان الفتى يعرف بأبى الدرداء. فقال: [السريع]

مر أبو الدرداء يوما على ... جارية ماجنة شاطره

فراعه منظرها إذ بدت ... كالشمس فى طلعتها الزاهره

قال لها سيدتى أنفذت ... مقاتلى ألحاظك الساحره

عساك يا سيدتى أن ترى ... من هنا وقت المسا سائره
تلقى فتى أى فتى فى الورى ... منهذبا أردانه عاطره
وعنده راح ونقل وما ... يحتاج من أسبابه ياسره
فغرها أن أبصرت طلعة ... باهية زاهية فاتره
جاء بها الفتى إلى غرفة ... مظلمة أرسمها داثره
حصيرها من عهد عاد وقد ... تداولته الأمم الغابره
ليس سوى البق بها مؤنس ... حنت لمن يدخلها فاغره
فباتت المرأة فى محنة ... عريانة الجسم بلا ساتره
جيعانة للفعل مشتاقة ... ناعية باكية ساهره
تراقب الليل متى ينجلى ... وليلها فى الطول كالآخره
حتى إذا الصبح بدا سافرا ... قامت إلى منزلها ذاعره
قال لها هل لك من عودة ... أو هل ترين ههنا خاطره
فأنشدته وهى مما بها ... من حزنها فى بردها عاثره
إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضره

ومن شعره - رحمه الله -: [الطويل] ·

درى شجر للطير فيها تشاجر ... كأن سقيط الطل منها جواهر
كأن القرارى والبلابل حولها ... قيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على هذا الترنم قهوة ... كأن على حافاتها الدر دائر

ومن شعره: [الطويل]

بنى هاشم حيوا بأخلاق هاشم ... ولا تفضحونا فى العلى والمكارم

أرى ألف بان لا يقوم بهادم ... فكيف بان خلفه ألف هادم

ومن شعره: [السريع]

تقصد أهل الفضل بين الورى ... مصائب الدنيا وآفاتها

كالطير لا يسجن من بينها ... إلا التى تحسن أصواتها

ومن شعره يصف أترجا: [المنسرح]

يا حبذا يومنا ونحن على ... رءوسنا نعقد الأكاليلا

فى جنة دالت فى مقاطفها ... ثمارها الدانيات تذليلا

كأن أترجها تميد به ... أغصانه بحسن منه محمولا

سلاسل من زبرجد حملت ... من ذهب أصفر قناديلا

وله يصفها: [المنسرح]

يشى بما للصبوح أترج ... حوى من الطيب ما حوى الدرج

أنبته فى قضيبه شجر ... مشوك فى النبات معوج

إن ترج يوما قطافه منعت ... رماحه أن تنال ما ترجو

كل مصدغ تحته ذهب ... وكل غصن من فوقه زج

جرده واقرن به مشعشعة ... يلف مضاهيك النار والثلج

ومن شعره يهجو: [السريع]

لو عـــمـى اللؤم وأطـلقـتـــه ... لما عـــدا دور بنـى مـــسلمـــه

أو طعـنوا بالـرمح مـن يومـــهم ... لما جـرى من دمـهـم مـحـجـمـه

وله أيضا يهجو: [البسيط]

حلت برية مـن ذى العـرش داهيـة ... مـا مثلهـا عـبرة فى سـالف الزمن

قاض يحـد على الصهـبا ويشـربها ... يا ليت دولـتـه فى النـاس لم تكن

وله رحمه الله: [الطويل]

لعـــمـرك مـــا الإنســـان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى اتكالا على الحسب

فـقـد رفع الإسلام سلمـان فـارس ... وقد وضع الكفـر الشريف أبا لهب

وشعره - رحمه الله - كثير.

ومنهم:

٦٨ - عبد الله بن محمد بن على بن عبيد الله الحجرى

يكنى أبا مـحمد. أصله من قنـجاير، قرية من أحـواز ألمرية، من أهل البيوتات والأعيان بهـا وذوى اليسار. وتطوف فى بلاد الأندلس، ثم عاد إلى ألمرية، فولى إمـامة الجامع والخطبة بهـا، ودعى إلى القضاء، فـامتنع. ثم لما كانت كـائنة العدو بألمرية. خرج إلى مرسـية، فاستـدعي لولايات ومراتب، فأبى ذلك وزهد فيـه، والتزم الخمول، فضـاقت حاله بها. فخـرج إلى مالقة فلم تقله. فـخـرج إلى مدينـة فاس فـأقـام بها مـدة. ثم انتـقل إلى سبتـة فاستوطنها. وكان - رحمه الله - فاضلا ورعا مقيدا متقنا. قال شيخ شيوخنا

الأستاذ أبو على الرندى: لقيت الفقيه أبا محمد المتقدم الذكر بمالقة سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

وروى الفقيه أبو محمد عن جلة الأعلام، كابن موهب، وابن العربى، وابن إحدى عشرة وأبى محمد السلمى، والحمامى الشاعر، وأبى الطاهر السلفى، والمازرى، وكأبى الحسن بن مغيث، وأبى جعفر البطروجى، وغيرهم. ووجدت بخط الأستاذ أبى على الرندى ما نصه: حدثنا الشيخ الثقة الفاضل أبو محمد بن عبيد الله الحجرى، عن القاضى أبى.... قال: أنشدنى، يعنى أبا الحجاج الضرير، قال: أنشدنى أبو بكر المرادى لنفسه فى إثبات القدر: [البسيط]

علمى يقبح المعاصى حين أركبها ... يقضى بأنى محمول على القدر
كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم ... أكن لأفعل أفعالا بلا قدر
وكان فى عدل ربى أن يعذبنى ... فلم أشاركه فى نفع ولا ضرر
إن شاء عذبنى ربى أو شاء نعمنى ... أو شاء صورنى فى أقبح الصور
فيا رب عفوك عن ذنب قضيت به ... عدلا على فهب لى صفح مقتدر

قال الأستاذ أبو على: فى ظاهر هذه الأبيات القول بالجبر. وقال أيضا: فى غير هذه الرواية، فى هذه الأبيات، بعد البيت الأول بيتا، وهو:

لو كنت أملك نفسى أو أدبرها ... ما كنت أطرحها فى لجة الغرر

وكان مولد الفقيه أبى محمد المتقدم الذكر بألمرية عام ثلاثة وخمسمائة.

وتوفى - رحمه الله - فى صفر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

ومنهم:

٦٩ - عبد الله بن فائز بن عبد الرحمن العكى

شيخ جليل القدر من أهل الفضل والورع والتفنن فى العلوم. أخذ عن أبى عبد الله بن سليمان، وأبى الحسين سليمان بن محمد. وروى عنه الحافظ أبو عبد الله بن الفخار وغيره. نقلت من خط الفقيه الأستاذ أبى على الرندى ما نصه: قال الحافظ أبو عبد الله: حدثنى ابن فائز، عن الأديب أبى عبد الله محمد بن سليمان، عن خاله أبى محمد بن وليد، عن أبى منصور بن أفلح القينى، عن أبى على القالى، عن أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن قتيبة، عن أبيه، عن عبد الرحمن الأزدى، عن حفص بن عمر، عن الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - قال: إن رجلا سأل ربه - عز وجل - بينة أن يريه موقع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى فيما يرى النائم جسد رجل معمى، يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان فى صورة ضفدع، له خرطوم كخرطوم البعوضة، قد أخذ فى منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه. فإذا ذكر الله - عز وجل - خنس عنه.

ومنهم:

٧٠ - عبد الله بن محمد بن عبد الله ويعرف بابن ذمام

يكنى أبا محمد. قد تقدم ذكر والده فى باب محمد. وكان الفقيه أبو محمد هذا من أهل الأدب والذكاء والفطنة، ذا هيئة جميلة وشارة حسنة. كتب لجملة من السادات كالرشيد ابن أبى يعقوب وأخيه أبى يحيى ابنى أمير المؤمنين أبى يعقوب.

فكان معظمـا عندهم ومقربا لديهم. وتوفى - رحـمه الله - فى رجب سنة ستـين وخمسـمائة. ومولده سنة ثـلاث وثمانين وأربعمـائة. وكان أبرع الناس خطا، وأحـسن من خط فى البطاقة، مـع الكتب الرائق البليغ والشـعر الفائق المطبوع.

وكان يكتب بأنواع الخطوط من الريحانى، والمشـرقى، وغير ذلك، فلا يدرى من يزيد فى الحسن على صـاحبه. إلا أنه كان - رحـمه الله - يصاب فى عقله أحيانا، فربما استطال بلسانه. وكان ينال من الموحدين، وسجن على سب المهدى - رضى الله عنه -. وإنما كـان ذلك منه حين يصيـبه ذلك الألم ويخرج عن حد التكليف، حتى إنه فى جمعة من الجمع حين استوى الخطيب على المنبر، وأخذ يعظم الإمام، قال لـه: كذبت، لعنك الله. فأخذ من حينه وثقف. وبقى مكبـلا فى سجن مـالقة مدة. ونقل إلـى مراكش، إلى أن زال عنه ذلك الألم. فكتب يستـعطف أمير المؤمنين المنصور ويصف حـاله ويسأله فكه من وثاقه.

وهذه هى القصيدة التى كتب بها: [الطويل]

ظهـائر لطف الله فى سـر مـقصـد ... ويشـهد لى عند الأمـيـر بمقصـدى

ويدرى أمـــيـــر المؤمـنين بأنـنى ... على مذهب فـى الأمر عدل مـسدد

وإنى عُـلى حب الإمـــام وهـديه ... ومن بعـده من راشـد الأمـر رشـد

وإن يدر لا أبقى بسـجنى مـقـيـدا ... بأثقـل قـيـد ضـيق مـؤلم رد

وحـرمتـه إن يدر صـدق عـقيـدتى ... لسبق فـى التسريح يومـى على غد

ورق لشـيخ ذى عـيـال وصـبـيـة ... وحـال ثواها من ثوى ضيـعة اليـد

له فى ثقاف السجن عام وأشهر ... تقلص عنه الرفد من كل مرفد
وضاع وضاع الأهل والشمل بعده ... وأضحوا عراة فى أذى جهد مجهد
أيرضى أمير المؤمنين بضرهم ... وضرى وفيه الفضل رحب المقلد
أحيف معاذ الله بل هو رحمة ... وممدود ظل الله للمتردد
وقسطاس عدل يشمل الأرض أمنه ... بحكم مفيد من قريب وأبعد
سينظر فى تفريج همى وكربتى ... مصيبا بنور الله غير مفند
ويمضى سراحى طالب الأجر راجيا ... بذلك مذخور النعيم المخلد
وإنى على ما يرتضى الأمر والهدى ... ويرضى ولاة الأمر من كل مهتد
وإن ذكرت عنى أكاذيب مفتر ... فسمع الهدى عن سمعها جد مبعد
وحاشى لمثلى أن ينيب لفاسد ... من الرأى أو يسعى بخلة مفسد
ولى خدمة للأمر فى كل صالح ... تشرد عن سعيى عداتى وحسدى
وإن طعن الأعداء بى لشكاية ... تثير خبال الذهن طعن توعد
فذلك أمر يقبل الله عذره ... ويرفع لى التكليف حين التعبد
وفضل أمير المؤمنين ووعده ... يعيد الردا عذرا على غائل الردى
أيا من هو المخصوص بالعدل والتقى ... وبالنصر والتأييد فى كل مشهد
وبالعلم ثم الحلم والسبق فى العلى ... وبالشرف الأبقى القديم المجدد
وبالصبر فى الهيجاء والفتك فى العدى ... إذا عرف الخطى فضل المهند
إليك أمير المؤمنين قصيدة ... رفعت بها عن ساحتى رفع مفتد

فخذها وأنسها وشفع مديحها ... فمقصودها التسريح لى وهو مقصدى

أتتك بأبكار المدائح لم تلج ... على سمع ذى سمع ولا لفظ منشد

فلو كنت فى نظمى لبيدا وبرقه ... لبلدنى التكبيل كل التبلد

ولم أدر ماذا أستجيد لأنه ... مقام عظيم القدر سامى التأيد

وأمداحه من رام بالنظم حصرها ... كمنهل قطر رام جمعه باليد

ولا زال فى ظل من الملك وافرا ... ولا زال فى سعد من السعد مبعد

ودام بنصر للغريب وأهله ... وتنظيم شمل فى قرار ممهد

ومنهم:

٧١ - عبد الله بن أحمد بن محمد الحميرى

يكنى أبا محمد، ويعرف بالاستجى، وهو والد شيخنا ومعلمنا الفقيه الأستاذ العالم أبى عبد الله، أبقاه الله. وكان أبو محمد هذا من أهل الفضل والدين والورع، مقرئا لكتاب الله تعالى قائما به، عارفا لطرق روايته وتجويده وإتقانه، جاريا على سنن السلف الصالح، نفعه الله ورحمه. وكان يقرئ بالجامع الكبير بمالقة. توفى بعد سنة ستمائة.

ومنهم:

٧٢ - عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى

هو الأستاذ العالم الفاضل المحدث أبو محمد عبد الله القرطبى، علم من أعلام الديانة والمعارف، وروضة علم ظلها على الجميع وارف. كان -

رحمه الله - جليل المقدار، فقيها مدركا محدثا راوية عارفا متفننا، حافظا من مشاهير الحفاظ ورؤساء المحدثين، مقيدا ثقة فاضلا ورعا زاهدا، جميل الهيئة، كثير التواضع، مع وقار عظيم، ونزاهة نفس.

مولده - رحمه الله - يوم الاثنين قرب صلاة الظهر الثانى والعشرين من ذى القعدة عام ستة وخمسين وخمسمائة.

قعد للأقراء بمالقة وله نحو من عشرين سنة، ثم رحل وأخذ عن شيوخ جلة كالحافظ أبى بكر ابن الجد بإشبيلية، والقاضى الإمام أبى القاسم بن حبيش بمرسية، والمحدث الفاضل أبى محمد بن عبيد الله بسبتة، والقاضى العالم أبى محمد بن عبد الرحيم بغرناطة. ولازم ببلده جماعة كالأستاذ الكبير أبى محمد بن دحمان، والأستاذ العالم أبى زيد السهيلى، والحافظ أبى عبد الله بن الفخار، وغير هؤلاء.

وأجاز له عامة أعلام أكابر، كأبى مروان بن قزمان، وأبى الحسن بن النعمة، وأبى الحسين بن هذيل وغيرهم. وذكره شيخنا الفقيه المحدث الخطيب أبو القاسم بن الطيلسان - أكرمه الله - فى كتابه المسمى باقتطاف الأنوار واختطاف الأزهار فى ذكر أشياخه، فقال فى الأستاذ أبى محمد - رحمه الله -: الأستاذ المقرئ المحدث المسند الناقد الفاضل التقى العالم السنى أبو محمد القرطبى، من أهل مالقة. أصله من قرطبة، من بيتة كريمة يعرفون ببنى عبد الله. قال: وكان من جلة المقرئين وكبار المسندين وجهابذة الأستاذين، ممن جمع الله له العلم والعمل والهدى الصالح والخلق الفاضل. وذكره خالى - رحمة الله عليه - فى أشياخه فقال: ومن شيوخى - رحمهم الله - الشيخ الفقيه العالم المحدث الفاضل أبو محمد عبد الله بن الحسن القرطبى شيخ

المحدثين وإمامهم وعالمهم ومتقنهم. وذكره ابنه صاحبنا الفقيه الأجل الفاضل العارف الأكمل أبو بكر حميد فى كتابه المسمى بالرسالة الموسومة، بشكر المنة، فى ذكر محاسن خادم السنة، يعنى أباه الأستاذ أبا محمد، فإنه جمعه فى فضائله وعلمه وجملة أخباره، وهو كتاب نبيل حسن أبدع فيه ما شاء، وأجاد الوصف والإنشاء.

ومنهم:

٧٣ - عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى

وهو الفقيه العالم الحافظ القاضى أبو محمد - رحمه الله -. كان إماما فى العلم متقنا مقيدا متفقها عارفا بالأحكام. إماما فى علم الحديث وما يتعلق به من التاريخ والأنساب وأسماء الرجال، عالما بالأصول، أديبا ماهرا، بديع النظم والنثر، متقدما فى علم النحو، حافظا للغة، معتنيا بالرواية، كثير التواضع والزهد.

ومن شعره - رحمه الله -: [الوافر]

أتدرى أنك الخطاء حقا ... وأنك بالذى تأتى رهين

وتغتاب الورى فعلوا وقالوا ... وذاك الظن والإثم المبين

ومن شعره: [الطويل]

أيا طالبا دين النبى محمد ... على حين عم الحق وانتشر العدل

لديك كتاب الله والسنن التى ... رواها رسول الله بالعدل فالعدل

هما الحق والبرهان والنور والهدى ... فما لهما عدل ولا عنهما عدل

ودع عنك آراء الرجال فما لمشتريها بدين الله صرف ولا عدل

ومن شعره: [الكامل]

لقد استجرنا فالملامة عدها وتجاف عن ذكر الذنوب وعدها

وإذا ندمت على أخ لا تبدها ومتى أمنت على الأمانة أدها

وولى - رحمه الله - القضاء بكور كثيرة من الأندلس وغيرها. ولى سبتة وإشبيلية وميورقة ومرسية وقرطبة وسلا. ثم رجع من سلا واليا قضاء مرسية، فتوفى بالطريق بمدينة غرناطة ليلة الخميس فى نحو ثلث الليل الأول، ودفن يوم الخميس المذكور الثانى من شهر ربيع الأول سنة اثنى عشرة وستمائة. فبقى بها مدفونا إلى أن نقل منها إلى مالقة، فكان وصوله يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر شعبان من العام المذكور، فدفن على مقربة من مسجد الغبار بجبانة مالقة.

ومنهم:

٧٤ - عبد الله بن الحسن الأشعرى

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الروس. من طلبة مالقة. كان أديبا شاعرا، له قصائد حفال على ما ذكر لى، ولم أقف له على شعر. وتوفى - رحمه الله - فى نحو عشرين وستمائة.

ومنهم:

٧٥ - عبد الله بن يحيى المعروف بابن عساكر

يكنى أبا محمد، من أهل مالقة وطلبتها النبهاء. أخذ عن الأستاذ العالم أبى محمد القرطبى وغيره من شيوخ مالقة. ورحل وحج. وكان أديبا كاتبا

شاعرا، لم أقف له على شعر. نقلت من خط شيخنا الأديب أبى عمرو بن سالم، قال: أنشدنى الفقيه أبو محمد بن عساكر فى صفة البجر. ولم يعرف القائل:

المشى فى البر دون نعل ... تسعين يوما وتستقل

أهون من منزل رفيع ... تحت قلاع عليه ظل

فاحذر ظلال القلاع واعلم ... إن ظلال القلاع ذل

ليس لرأس عليه حطت ... مرة أو مرتين عقل

ومنهم:

٧٦ - عبد الله بن رضوان المداتى

من أهل مالقة، وكان له ابتداع آلات. وكان مشتغلا بصنعة الحساب والفرائض ماهرا فيها، عارفا بفنونها وأنواعها. وكان له ميل إلى الأدب. نقلت من خط أبى عمرو بن سالم قال: أنشدنى هذه الأبيات الحاج أبو محمد عبد الله بن رضوان المداتى لأبى عمرو بن عامر من وادى آش هذه الأبيات: [الكامل]

ومهفهف وجناته جناته ... وحماته من قاطف لحظاته

خطت لنا ألفا مراقب لحظه ... فوددت أن سواعدى لاماته

ثم انبرى يتلو على أستاذه ... فكأن مزمارا حكت لهواته

وأنشدنى: [الكامل]

ومهفهف قلق الوشاح يروعه ... جرس السوار يشتكى من ضيقه

وسنان خط المسك فوق عذاره ... لاما عرفت النون فى تعريقه

ما باله فى خده من ورده ... لهب وقلبى لاعج بحريقه

أضحى عذاب الصب فى هجرانه ... لكن شفاء الصب فى تعنيقه

ومنهم:

٧٧ - عبد الله بن حسن البرجى

يكنى أبا محمد، كان - رحمه الله - من أدباء مالقة ونبهائها معدودا فى أذكيائها وشعرائها. وكانت بينه وبين أبى عمرو بن سالم مكاتبات كثيرة.

فمن شعره - رحمه الله -: [الكامل]

تاه الجنان بآسه وبورده ... ومعذبى أربى عليه بخده

فاستنشقن نسيمه من عرفه ... واهصر قضيب ثماره من قده

لكن نكهة ريقة من ثغره ... أندى وأعطر نفحة من رنده

من أين للأغصان عطفة لينه ... إن جاء يرفل معجبا فى برده

أو لاح ما حملت من صيقل ... كلفت أنامله بمرهف هنده

سيفيه فاحذر خيفة إن سل ذا ... من لحظه أو سل ذا من غمده

من أى سيف شاء يبطش كفه ... وسيوفه ولحاظه من جنده

لم يستقلا باله ما منهما ... إلا وفيه سرائر من عنده

وكأن بارع قدره من قده ... وكأن لمحة ظرفه من خده

أشقى وأنعم فى هواه فأجتنى ... ضدين من نعمى رضاه وضده

فتنعمى وتلذذى من قربه وتعذبى وتشوقى من بعده

هل يا محمد لى لوصلك منهل يروى ظمأ للعاشقين بورده

أودى بعبد الله لحظك والهوى نار تشب على حشاشة كبده

فارحم تضرعه إليك وذله واستبق بعض دمائه من وجده

قال أبو عمرو بن سالم: حضرنا موطنا فيه صاحبنا أبو محمد البرجى وأبو العباس أحمد بن راشد اللخمى، فجاء فتى من أهل الظرف وسألهم قطعة فى فتى اسمه رضوان، فقال أبو محمد - يعنى البرجى - ارتجالا: [الطويل]

يناديك يا رضوان عبد متيم يحن لمرآك الأنيق فؤاده

غريب رماه البين فى أرض رية وقد بعدت أوطانه وبلاده

وها هو قد زمت ركائب بينه فآن لعمرى نأيه وبعاده

فمنوا بتوديع المسافر واسمحوا بقبلة كف منكم فهو زاده

وثنوا بأخرى إن أردتم حياته بريق الثنايا كى يتم مراده

ولا تسمعوا من قول واش مخبب يطير شرار النار نحوى زناده

وله من رثاء رثى به الأستاذ أبا محمد القرطبى: [الطويل]

غربت فسيف الدين ليس له غرب وغبت فلا شرق يضىء ولا رب

لئن أوحشت منك المعاهد والحمى فأدمعها من دون واكفها العذب

وإن طاق ربع الأنس والصبر بعدكم فإن فناء الحزن بعدكم رحب

ولما نعى الناعى بفقدك بكرة سكبت عليك الدمع لو ينفع السكب

وقلت وقد ضاقت على مذاهبى ... وقلب فوق الجمر من وجده القلب

ومنها:

إذا لم تلح شمسا على أفق الهدى ... فلا انهل وسمى ولا انثنت القضب

خليلى هبا ساعدانى بعبرة ... وقولا لمن بالرى ويحكم هبوا

نبك العلا والمجد والعلم والتقى ... فمأتم أحزانى نوائجه الصحب

فقد سلب الدين الحنيفى روحه ... ففى كل سر من نباهته نهب

وقد طمست أنوار سنة أحمد ... وقد خلت الدنيا وقد ظعن الركب

مضى الكوكب الوقاد والمرهف الذى ... يصمم فى نص الحديث فما ينبو

تمنى علاه النيران ونوره ... وقالا - بزعم - إنه لهما ترب

أأسلو وبحر العلم غيضت مياهه ... ومحيى رسوم الشرع يحجبه الترب

عزيز على الإسلام أن يودع الثرى ... مسدده الأهدى وعالمه الندب

ومنها:

بكى العالم العلوى والسبع حسرة ... أولئك حزب الله ما فوقهم حزب

على القرطبى الحبر أستاذنا الذى ... على أهل هذا العصر فضله الرب

ولا عتب إن أبدى عليه تجلدا ... ولكن إن أقوى عليه هو العتب

فقد كان فيما قد مضى من زمانه ... به تحسن الدنيا ويلتئم الشعب

ويجمع سرب الأنس روض جنانه ... فقد جف ذاك الروض وافترق السرب

فسحقا لدنيا خادعتنا بمكرها ... إذا عقدت سلما فمقصدها حرب

ركبنا بها السهل الذلول فقادنا إلى كل ما فى طيه مركب صعب
ونغفل عنها والردى يستفزنا كفى واعظا بالموت لو كان لى لب

ومنهم:

٧٨ - عبد الله بن محمد بن يخلفتن الفازازى

كان من جملة الطلبة النبهاء. ولى القضاء فى أيام أمير المؤمنين أبى العلاء بن المنصور، فكان مشكورا موصوفا بالجزالة والتنفيذ. وانتقل من مالقة إلى إشبيلية فى عام خمس وعشرين وستمائة.

ومنهم:

٧٩ - عبد الله بن عبد العظيم الزهرى

يكنى أبا محمد. كان - رحمه الله - من جلة المحدثين، مشتغلا بالرواية عارفا بها، ثقة على الرواية متصرفا فى العلوم، جليل المقدار مع ما كان عليه من الانقباض والورع والزهد. ولى القضاء ببلش مدة، فسار فيها أحسن سيرة. وكانت له تواليف عجيبة، ككتاب الأوليات فى الخفيات والجليات، وكتاب الاختصار والتقريب فى ذكر رجال الموطأ. سمعت عليه بعضا من الكتابين وناولنيهما. وكان من شيوخه أبو عبد الله ابن الفخار، وأبو زيد السهيلى، والأستاذ وأبو عبد الله ابن العويص، وأبو الحسن ابن قزمان، وأبو القاسم ابن بشكوال، وأبو محمد عبد الحق الإشبيلى، وأبو عبد الله بن حميد، وغيرهم. سمعت عليه - رحمه الله - كثيرا، وناولنى وأجازنى إجازة عامة. وكان له - رحمه الله - فى التوثيق باع مديد. كان حسن الوثيقة، بارع الخط، عارفا بالصنعة متقنا لها. حدثنى الفقيه أبو محمد المذكور سماعا

عليه، قال: حدثنى الأستاذ أبو محمد ابن العكاز، قال: حدثنى المقرئ أبو إسحاق الميورقى عام سبعين وخمسمائة، قال: كنت أقرأ على القارئ المقرئ الزاهد شريح بن محمد بن شريح فى أطراف النهار. فلما كان ذات يوم أتيته فى القائلة، وكان يسكن فى دار بين خرب هناك، فسمعت عنده صوتا حادا.

فدخلت عليه وعاينت نسرا، وهو يقرأ عليه بذلك الصوت، فيشير له عند الوقف وعند الصلة برأسه. فلما أكمل، رأيته وأنا باهت متعجب، دعا له الشيخ والنسر يؤمن. ثم انتفض انتفاضة من بين يديه ودار شيئا وسوى بجناحه ونهض فى السماء، فسألت الشيخ عنه، فقال لى: هو من مؤمنى الجن، رغب منى أن يجود على، والله يفعل ما يشاء. سمعت هذا الحديث على أبى محمد - رحمه الله - فى العاشر لربيع الآخر سنة ست وعشرين وستمائة. وحدثنى أيضا سماعا عليه وشبك أصابعه بأصابعى وقال: حدثنى الشيخ المقرئ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الفريشى، وشبك أصابعه بأصابعى بمسجده مسجد أم هاشم بقرطبة، وقال: شبكت أصابعى بأصابع الفقيه المحدث الزاهد أبى بكر محمد بن على بن محمد العربى الطائى ثم الحاتمى بالحرم المكى الشريف، وقال لى: شبكت أصابعى بأصابع أبى الحسن على بن محمد المقرئ الحائك الباهارى، وشبك الحائك بأصابع الخطيب الفاضل الزاهد الورع أبى الحسن على الباغوزاوى خطيب باهار، وقال: رأيت رسول الله - ﷺ - فى المنام، وقال لى: يا على شابكنى، فإن من شابكنى دخل الجنة، ومن شابك من شابكنى دخل الجنة، ومن شابك من شابك من شابكنى دخل الجنة، وعد إلى سبعة. قال على: فشبكت أصابعى بأصابعه - ﷺ - واستيقظت.

وكان عنده - رحمه الله - من غرائب الأحاديث وطرفها كثير. توفى - رحمه الله - بحصن بلش فى شعبان عام ثلاثين وستمائة.

ومنهم:

٨٠ - عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن

هو الكاتب أبو محمد ابن الكاتب، مشهور الطلب والحسب. من أهل ابيات الشريفة. قديم الحسب، شريف الأصل. وسيأتى فى هذا الكتاب من ذكر سلفه ما يدل على جلالته. وكان أبو محمد هذا جليل المقدار، عالى الهمة، مشكور المكانة. كتب لأمير المؤمنين أبى يعقوب، ثم لابنه المنصور. وكان معظما عندهم، ونال لديهم الجاه. وكان - رحمه الله - أديبا شاعرا بليغا وكاتبا مطبوعا. وشهرة مكانته تغنى عن الإطالة فى ذكره.

ومنهم:

٨١ - عبد الله بن رضى بن المنذر بن رضى الرعينى

يكنى أبا محمد. وكان - رحمه الله - من علية الحسباء وحلية الأدباء. كان كاتبا وشاعرا محسنا، بارع الخط. كتب لجملة من السادات. وكان مقربا عندهم، مكرما لديهم. وكان فى أيام ابن زنون مشتغلا بالأحباس. فلما كان عند رجوع مالقة للأمير أبى عبد الله ابن نصر، وطرأ على ابن زنون ما طرأ، أخرج أبو محمد المذكور من منزله ليحمل لرئيس البلد يفعل فيه ما يرى. فأخرج أبو محمد المذكور مكشوف العورة، والناس قد أحدقوا به، ونالوا منه، وصفعوه، فأوصلوه إلى باب الدجل من أبواب مالقة، ورماه أحدهم بحجر فرض به رأسه، وقتل فى المكان. نسأل الله السلامة وحسن العاقبة.

أخبرنى شيخنا الفقيه الورع الخطيب أبو إسحق ابن القرطبى أنه كان يرى الفقيه أبا محمد المذكور بعد موته فى المنام، وعليه ثياب صفر، وهو فى غاية النعمة فى دار هائلة رفيعة العماد، فسيحة الفناء، تتلألأ نورا، لا تشبه منزلا من منازل الدنيا. فكان يصل إليه ويعانقه. قال: فكان أبو محمد يتحدث بحديث لا أتذكر عليه. فكنت أقول: دعنى من هذا. رب الدار ما لقيت منه؟ فكان يقول لى: ما لقيت منه إلا خيرا. قال الفقيه أبو إسحاق: فكان يقول لى، ويتلعثم، فلا أفهم ما يقول. ثم كان يقول فى آخر كلامه، قال لى: من يؤمن بى، ويتوكل على، ما يرى منى إلا خيرا، واستيقظت.

واستشهد أبو محمد فى غرة يوم الأربعاء الحادى عشر لرمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ومنهم:

٨٢ - عبد الله السطيعى السبتى

يكنى أبا محمد. أصله من سبتة، وكان بمالقة وزير أمير المؤمنين حسن بن حمود المستعين. فلما مات حسن بمالقة، ثقف السطيعى إدريس بن يحيى بن حمود، وخاطب الفتى نجا، فوصل، وشد ثقاف إدريس. وأراد نجا أن يكون الأمر له، فقتل البربر نجا، وأخذوا ماله، ودخلوا على السطيعى، وقالوا: البشرى، دخل الخليفة الجزيرة الخضراء. فلما برز السطيعى لهم، وضعوا سيوفهم فيه وقتلوه. وكان السطيعى مدبر الأمور، حسن السياسة. وكان حاجا وفقيها. وفيه يقول ابن الحناط فى رسالته المشهور: [الكامل]

فقه وحج جمعا لوزير ... بر صحيح الرأى والتدبير

ما قدر الأقوام هذا أن يرى ... أبدا ولكن ذاك فعل مدير

إن جئته يوما بدهرك شاكيا ... أغنتك فطنته عن التفسير

وتوفى - رحمه الله -....

ومنهم:

٨٣ - عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد القائد

يكنى أبا محمد، أصله من قلعة يحصب من كورة إلبيرة، وهى المعروفة بقلعة بنى سعيد، إلا أنه سكن مالقة واستوطن بها. وهو من بيت حسب وجلالة، مشهور المكانة، وهو حفيد عمار بن ياسر - رضى الله عنه -. وقد جمع له خالى - رحمة الله عليه - فضائل جده عمار فى جزء، سماه بنزهة الناظر فى مناقب عمار بن ياسر. وذكر اتصال نسبه به، فقال: هو عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر - رضى الله عنه -. قلت: ذكر خالى - رحمة الله عليه - فى كتاب نزهة الناظر أنه وقع فى بعض التواريخ أن جدهم، يعنى جد بنى سعيد، هو عبد الله بن الحسن بن سعيد بن عمار، دخل الأندلس فى أيام يوسف الفهرى، ونزل قرطبة، واستوطن بها الدار الكبرى التى صارت بعد ذلك لعبد الرحمن بن طورون. وكانت له أزحى الفنارة التى كانت على وادى قرطبة. فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وغلب على يوسف الفهرى، ودخل قرطبة، قتله مع جماعة من أصحاب الفهرى. ثم استوطنت

ذريته بعد ذلك قلعة بنى سعيد. قال خالى - رحمة الله عليه -: فكان لهم فيها شرف باذخ، وعز مع الأيام راسخ، لم يزالوا بها حماة الدين، وأسود ميادين، تملكوا أعنة القيادة، وسلكوا طرق السيادة، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر، ويجرون فيها جرى الأفاضل والأكابر، إلى أن كان منهم القائد أو محمد - أعزه الله -، فكمل بذلك الأفق بدره، وعلا فى الهمة الشريفة قدره. وكان أبو محمد - رحمه الله - جليل المقدار، مشارا إليه معظما عند الملوك، نبيها من أهل الطب، يذكر أدبا كثيرا وتاريخا، ويقول الشعر. وتوفى - رحمه الله تعالى -.....

ومنهم:

٨٤ - عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله ابن يحيى البلوى

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الشيخ. وهو ولد الفقيه الحاج الزاهد أبى الحجاج ابن الشيخ - رحمه الله -. وسيأتى ذكر والده - إن شاء الله -. وكان أبو محمد هذا حاجا فاضلا ورعا، من جلة شيوخ الطلبة ونبهائهم. كان مشتغلا بصنعة التوثيق عارفا بها متحققا، مبرز الشهادة، جاريا على سنن سلفه الصالح من الخير والفضل. وقد وصفه الفقيه أبو الطاهر فقال فيه: نبعة الصون المجدية، وشجرته التى هى غير مردية ولا مؤذية. امتدت لها فروع، وتحصنت من الشيطان بأوراق كالدروع، ففر منها وهو مروع. اقتفى جادة أبيه وجده، فقابله الدهر بجده، وعامله بحقيقة من حده. فنبذ الدنيا نبذ النواة، لما اعتقد الخير ونواه. فالقناعة لبوسه، ومن نكد الدنيا وجومه وبؤسه. نفذ فى العلم سهمه، وعظم منه فهمه، وتواضع فارتفع قدرا، ولصق بالحضيض

فلاح فى السماء بدرا. ومن مثل أبى محمد فى النشأة والنبات، والتمسك بحبل اليقين والثبات، لما بلغ حد التكليف ووصل، انحجز عن أخدانه وانفصل، وعبر البحر لقضاء الفريضة وأدائها، وأبرأ نفسه من ألم المشقة ودائها، فحل بالبيت العتيق، وتنسم عرفه كالمسك الفتيق، وطاف بحرمه الآمن، وأظهر من التعظيم ما هو فى صدره خفى كامن. قلت: وهذا الفقيه أبو محمد - رحمه الله - له رواية عن شيوخ جلة. وقد أجازنى وتلفظ بالإجازة. وتوفى - رحمه الله - فى السابع من محرم عام ثلاثة وثلاثين وستمائة.

ومنهم:

٨٥ - عبد الله بن على بن زنون

نشأ بمالقة، وكان له ابتداء طلب. ثم إنه زال عن القراءة، وبقى محاولا لأمور الدنيا. فلم تزل الأيام ترفعه درجة بعد أخرى، حتى بلغت به من المكانة والرفعة والوجاهة إلى أقصى مبلغ. وكان ابتداء أمره فى دولة الأمير أبى عبد الله بن هود، وذلك عندما أخذ القاضى أبو عبد الله بن الحسن - رحمه الله - عن مالقة وحبس بغرناطة، وكان ابن زنون ممن سعى فيه، ونسب إليه ما كان بريئا منه. فعند انفصال القاضى أبى عبد الله من مالقة، اجتمع ابن زنون وطائفة من أهل البلد، ونسبوا لابن الحسن القيام على ابن هود. فكبل ابن الحسن بسبب ذلك. ثم ظهرت براءته. وبقى ابن زنون يشتغل بالطائفة التى كانت معه على ابن الحسن إلى أن أفناهم واحدا بعد واحد، بين النفى والقتل والسجن الطويل، وأبقى البلد فى حكمه، فلم يكن ينفذ أمر من الأمور إلا بمشاورته. وكان ولاة البلد لا ينفذون إلا ما أمر ابن

زنون به، ولا يتعدون ما يحده. وكانت أوامره تنفذ فى البلاد فضلا عن بلده. وأخذ فى مصلحة البلد، فشيد الأسوار أتم تشييد، وأصلح الأبواب الخلفية، وبنى الخرجة الكائنة الآن أمام باب فنتالة، وجدد الباب المعروف بباب الرواح، وجعل عليها بابا، ولم يكن قبل فيه، وأظهر فى البلد آثارا كثيرة فى داخله وخارجه. وكان مع ذلك مقصودا من البلاد، يرد الناس عليه من كل قطر، وينشدونه الشعر، فيحسن إليهم ويرفدهم. وكان عطاؤه جزلا وعائده ضخما. وبقى كذلك فى هنية من عيشه سنين. ثم إن الأقدار دارت عليه حتى أعفت رسمه، وصيرته كأن لم يكن. وذلك أنه كان قد أضر أهل بلده وأذاقهم شرا، وحملهم ما لم يكن فى وسعهم. فكان الناس يرتقبون هلاكه، ويكثرون من الدعاء عليه. فأمهله الله تعالى إلى أن أخذه، فلم يفلته. وكان ابتداء زوال أمره وجاهه فى أول مدة الأمير أبى عبد الله ابن نصر، لأن ابن زنون ضبط البلد عند خروج سالم بن هود عنه، ورام البقاء على دعوة ابن هود. ولما خالفت البلاد ورجعت للأمير أبى عبد الله بن نصر، رأى ابن زنون أنه لا يفيده البقاء مع ابن هود، فشرع فى بيعة الأمير أبى عبد الله بن نصر، وذلك فى ليلة الأربعاء العاشر من رمضان. واستدعى ابن زنون الناس للشهادة فيها بالليل فى داره، بعد أن استعد الرجال والحراس بالأسلحة، فقرئت بالليل، وشهد فيها، وأعيدت قراءتها فى اليوم الثانى بالمسجد الجامع. وفى غدوة يوم الأربعاء الحادى عشر من رمضان اتصل خبر وصول الرئيس أبى الوليد ابن عم الأمير أبى عبد الله ابن نصر، فشرع ابن زنون فى الخروج إلى لقائه، وأمر الناس بذلك. ثم خرج، وتقدم ابن إدريس أمامه، فوثب العامة عليه وقتلوه. فرجع ابن زنون إلى البلد، وقتل الزهرى وابن بسام. ثم رأى اشتداد الأمر، ففتح الباب ودخل الرئيس ومن معه، وفر

ابن زنون من حينه صحبة أخيه عامر، وعلجيه. فأمر باتباعه، فأدرك فى بعض الطريق، وسيق. وجعل فى قطعة كانت فى البحر. وأفلت أخوه وعلجاه. وانتهبت دياره وديار قرابته. ثم إنه أنزل من القطعة، وسجن بالقصبة، وأخذ معه جملة من أصحابه، فثقفوا فى الحديد. ثم إنه حمل بالليل فى زورق إلى غرناطة، وضرب فيها ضربا وجيعا، المرة بعد المرة. ثم رد إلى مالقة ليخرج مالا اتهم أنه عنده، فلم يخرجه. وما زال يعاقب بالضرب حتى مات. وكان يضرب بالليل بحيث لا يراه أحد ولا يسمعه، فقيل: إنه تناول موسى كانت عنده فذبح بها نفسه، وقيل: إنه ذبح بها، ولم يذبح هو نفسه. نسأل الله السلامة وحسن العاقبة.

ومنهم:

٨٦ - عبد الله بن ضمعج

هو صاحبنا أبو محمد. كان - رحمه الله - من نبهاء الطلبة، يتصرف على حداثة سنه فى فنون. وقرأ كثيرا من النحو والأدب واللغات. وكان ذكيا فطنا لبيبا متواضعا، حسن الملاقاة، جميل العشرة، فاضل الأخلاق. وعقد الوثائق بمالقة، وتصرف مسددا فى بعض جهاتها. ثم انتقل إلى حصن وزد قاضيا، فقتل فى الطريق - رحمه الله ونفعه -. وكان - رحمه الله تعالى - شاعرا مجيدا. من شعره: [السريع]

وابأبى بدر يلوح على ... غصن وطيب مائس فى برود

ثغره ..... برود

خداه كالورد ومن حسنه ... يخجل ورد الروض ورد الخدود

دعـوته والشـوق قـد شـفنى دعـوة مـشـغوف الـفؤاد عـمـيـد

فـقـال لـبـيك ولان وإن كـان لـغـيـرى قلـبـه كـالـحـديد

قـربنـى حـين رأى أننى استـوجب القـرب برغم الحسـود

وله، وكان يهـوى صبيـا اسمه عـبد الحق، وكـان له فيه رقـيب يسمى بوسخ الجبن: [الرمل]

لام عـبـد الحق لما أن رآنـى قـد هجـرتـه

قـلت لا لـوم فـعـذرى بيـن فـيـمـا أتيـتـه

إنمـا أنـت كـجـبن شـابه الوسخ فـعـفـتـه

* * *

ومن الكنى فى هذا الحرف

٨٧ - أبو عبد الله ابن المالقى

أديب. له فى غلام جميل حلق رأسه: [الخفيف]

حلقوا رأسه ليزداد قبحا ... حذرا منهم عليه وشحا

كان قبل الحلاق ليلا وصبحا ... فمحوا ليله وأبقوه صبحا

ذكره الحميدى فى تاريخه. قلت: وقوله: ليزداد قبحا، أن الزيادة تقتضى أن يتقدمها شىء منها. ولو قال: ليكسب قبحا أو نحوه لكان أطبع.

ومنهم:

٨٨ - عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الملك ابن قزمان

يكنى أبا الحسين. قدم علينا مالقة وأقام بها. وكان - رحمه الله - فقيها محدثا راوية، من جلة المحدثين. يحمل عن أبيه الإمام أبى مروان، وعن ابن عتاب، وعن أبى بحر سفيان بن العاصى، والحافظ أبى بكر بن العربى، وأبى عبد الله جعفر بن محمد بن مكى بن أبى طالب وأخذ عنه أهل مالقة كثيرا. حدث عنه شيخانا أبو محمد بن عبد العظيم، وأبو عمرو بن سالم، وجماعة. نقلت من خط أبى عمرو قال: أنشدنى الفقيه القاضى أبو الحسين بن قزمان، وحدثنى، قال: أتى الأمير الأعدل أبو محمد عبد المؤمن بأسد وزرزور يتكلم، فأحضرا بين يديه. فلما بصر به الأسد، أقبل حتى ربض بين يديه، وجعل يبصبص كما يفعل الكلب، وتكلم الزرزور بكلام حسن، ودعا للأمير. فقال أبو على ابن الأشيرى، وكان حاضرا بالمجلس: [الرمل]

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد ورأى شبه أبيه فقصد

ودعا الطائر بالنصر لكم قاضيا حقكم لما وفد

أنطق الخالق مخلوقاته بالشهادات فكل قد شهد

أنك القائم بالأمر له بعد ما طال على الناس الأمد

فأمر له الأمير بأربعمائة دينار.

ومنهم:

٨٩ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان

يكنى أبا مروان. هو الفقيه الإمام الراوية المحدث العدل الثقة الجليل المقدار. كان مولده بمالقة - حرسها الله -. روى عن جلة الأعلام كأبى على الغسانى، وأبى على الصدفى، وعن أبى عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، وغيرهم. وكان - رحمه الله - من الفضلاء الزهاد - رحمه الله ونفعنا به -.

ومنهم:

٩٠ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش

كان - رحمه الله - عارفا بصناعة الحديث، عالما بطريق الرواية، مقيدا ضابطا حافظا لأسماء الرجال، حدث عن ابن العربى، وابن ورد، وابن موهب، وغيرهم - نفعه الله -.

ومنهم:

٩١ - عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن أبى الحسن الخثعمى ثم السهيلى

هو الإمام العالم. كان - رحمه الله - من جلة العلماء وعليتهم عارفا متفننا ضابطا حافظا للغات والآداب. وله تواليف ككتاب الأعلام بما وقع فى القرآن من الأسماء الأعلام، وكتاب الروض الأنف، وكتاب نتائج الفكر، وغير ذلك. وصفه الفقيه أبو العباس أصبغ فى كتابه. فقال فيه: هضبة علوم سنية، وكان فى الشعر واضحة جلية، من رجل تلقت القريش يمينه، وانتظم له من جوهره ثمينه. عفا على ابن الدمينة فى التشبيب، واستوفى فى أغراض مدحه جميع ما ابتدع فيه حبيب. إن مد فيه الرشا، فما شئت من إبداع وإنشا، وإن قصد أو عجز، بذ من سبق قبله وأعجز. لا تبارى فى ميدانه خيله، ولا يساجل وشله ولا سيله. قلد أجياد الدولة المهدية والخلافة القيسية منه قلائد، فضحت الحلى عن أتراب الخرائد، ونمنم فوشى برودها، وروض منها تهائمها ونجودها. وكان فى شعرائها من سوابق ميدانها. وممن أحرز قصب رهانها، حسن توليد واختراع، وتنكيت وتجويد وإبداع. ثم امتد به أجله، وأنساه فى شأو الحياة مهله، حتى تطلع فى سماء مجلس أمير المؤمنين بدرا، وتبوأ منه بعلمه البارع محلة ووكرا، فخلع على أهله من منمنم أمداحه خلعا، وابتدع من مليح قريضه بدعا، أصارت إليهم منهم قلوبا، وأنالت من أكفهم مأمولا ومطلوبا. فمن قوله الذى لا حسن إلا وهو مخلوع عليه، ولا عنان يريع إلا وملاكه بين يديه، قوله فى السيد الأعلى أبى سعيد ابن أمير المؤمنين: [البسيط]

الدين يشرق والأيام تبتسم والدهر معتذر والخطب محتشم
ودولة الحق والتوحيد قد وضحت لها بشائر زاحت عندها الغمم

ومنها فى المدح:

السعد يقدمها والنصر يخدمها ما حاز مقدمه إلا همت نعم

ومنها:

ولا تيمم أرضا حشمت وغرت إلا همى فوقها من سيفه نقم
سيف نضاه أمير المؤمنين متى يرم العدى بحسام مثله هضموا
وكوكب فى سماء المجد أطلعه تنجاب عن أفقها من نوره الظلم
وهو الغمام الذى يغشى البلاد ولم ترحل إليه فتهمى نزلها الديم

ومنها:

يدنيه من كل ذى أرض تواضعه وفوق هامة كيوان له قدم
لو كان منقسما من رأفة ملك بين الرعية أضحى وهو منقسم

ومنها:

هذا ابنه وهو بعض منه خص به هذى الجزيرة كى تحمى به الحرم
ما إن رأوا قبله من كعبة قصدت حجاجها ولهم من ظلها حرم
كأن سيب نداه ماء زمزمها وكفه الركن إذ يغشى ويستلم
لو كان ينفع ذا ود مساهمه ظلت عليه بقاع الأرض تستهم

وهى طويلة. ومن شعره فى المدح: [البسيط]

العـود أحـمد مـن بدء حلا فـعـد إلى المدائـح فى قـرب وفى بعـد
عـد لامـتـداح أمـيـر مـا يكافـئـه فى الفضل بعـد أبيه الخيـر من أحد
أبى سـعيـد حليف السـعـد لم تره إلا رأيت لديه السـعـد فى صـعـد
والدهر حـين رأى أنوار دولـتـه أغـضى وأدبر يشكو عـامـد الرمـد
سـيف نضـتـه يـد الميـمـون طائره سـهامـه الشوك زجـر الليث للنفـد
تضعـضعت عصب الإشـراك نافرة ولا قـرار على زأر من الأسـد

وهى طويلة. وله - رحمه الله - وقد قال لـشخص فى الصباح، كيف أمسيت: [الطويل]

لئن قلت صبحا كيـف أمسيت مخطئا فـمـا أنـا فى ذاك الخطا بمـلوم
طلعـت وأفـقى مظلم لـفـراقكم فـخلتك بدرا والمسـاء همـومى

ومن شعره: [الكامل]

خلف السـلام على الذين أحـبـهم وسـقى مـنازلهـم بكل سكوب
أبت الـفـراق قـلوبنـا وقلوبـهم يا لـيت أبـدانا لـنا كـقـلوب

ومن شعره: [الطويل]

أسـائل عن جـيـرانـه من لقـيـتـه وأعـرض عن ذكـراه والحـال تنطق
ومـا بى إلى جـيـرانه من صـبـابة ولكن قلـبى عن صـبـوح يرقـرق

ومن شعره: [الوافر]

وذى نـفس أنم مـن الخـزامـى وثغـر مـثل مـا عـبـقـت مـدام

شكوت له الهوى وبكيت شوقا فأعقب عبْرتى منه ابتسام
فقلت أضاحك منى وهذى دموعى عن لظى كبدى سجام
فقال: الروض تضحك كل حين أزاهره وإن دمع الغمام

وله وقد أهدى له مسك: [السريع]

أهدى له شبهها بأنفاسه من عذب القلب بوسواسه
يا مرسل المسك لنا نفحة وكل مسك دون أنفاسه
كل نعيم دون ذاك اللمى وكل بوس دون إيناسه

ومن شعره: [الكامل]

أشبههن من بقر الفلاة صوارا لحظى وحسن مقلد ونفارا
فلحقن بالعجماء حسن تشبه كيما تكون جراحهن جهارا

ومن شعره: [البسيط]

أبدى الهوى وتجافى عن زيارتنا وظل يكثر من عذر ومن علل
لا تدعى حب من أتلفت مهجته بالصد منك وبالإعراض والبخل
تقول لا حيلة فى الوصل أعرفها لو صح منك الهوى أرشدت للحيل

ومن شعره:

أرى البر لا ينفك برا بأهله
وما ذاك إلا أن هذا مناقض وهذا يراعى وصله فى المناسب

ومن شعره:

إذا قلت يوما سلام عليك ... ففيها شفاء وفيها سقام

حياة إذا قلتها مقبلا ... وإن قلتها معرضا فالحمام

فأعجب من ضد حاليهما ... وهذا سلام وهذا سلام

وله فى مجبنة: [الكامل]

شغف الفؤاد تواعم أبكار ... بردت فؤاد الصب وهى حرار

وله فى مخمل كتب: [الخفيف]

حامل للعلوم غير فقيه ... ليس يرجو ضرا ولا يتقيه

يحمل العلم فاتحا قدميه ... فإذا انضمتا فلا علم فيه

وله فى قول " لا ": [السريع]

قد أجمع الناس على بغض لا ... ولست أنسى أبدا حب لا

لأننى قلت له: سيدى ... تحب غيرى أبدا قال: لا

ومن شعره: [الكامل]

لما أجاب بلا طمعت فى وصله ... إذ حرف لا حرفان معتنقان

وكذا نعم بنعيم وصل آذنت ... فنعم ولا فى الحب متفقان

ومن شعره: [الكامل]

قاسوا الحبيب إلى الحبيب الأول ... بحنين مغترب لأول منزل

هيهات ما حب التليد كطارف ... أين القديم من الجديد المقبل

نور الأقاح الغض أحسن منظرا وأرق عرفا من أقاح ذبل

وليانع الثمرات حظ فى المنى ليست ليابسهن عند المأكل

فدع القياس على مثال فى الهوى وانظر إلى عطف الرءوم المطفل

إن قلت يعدل عندها حب الطلا حب المربب قبله لم تعدل

ولعلمهم أن الجديد محبب قالوا اغترب كيما تجد أو ارحل

ومن شعره فيمن ركب البحر: [الكامل]

ركبوا السفين فقلت بعدهم والعين تذرف دمعها سكبا

لو أننى كنت امرءا ملكا لأخذت كل سفينة غصبا

وشعره - رحمه الله - كثير، وأدبه وعلمه مشهور. وكان عالى الرواية. روى عن أبى بكر بن العربى، وابن بونة، وحفيد مكى، وشريح، وغيرهم. وكان حافظا لأنساب العرب، وسير النبى - ﷺ -. وكان مولده عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة. وكف بصره وهو من نحو سبعة عشر عاما. وتوفى بمراكش فى ليلة الخميس الخامس والعشرين من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة.

ومنهم:

٩٢ - عبد الرحمن بن موسى التقديسى

يكنى أبا زيد. من أهل الحسب والجلالة. وكان فقيها قاضيا. ورد علينا مالقة فى عام سبعة وتسعين وخمسمائة. وأظنه من أهل غرناطة. وجدت بخط الفقيه الأجل أبى الطاهر السبتى: أنشدنى الشيخ الفقيه القاضى الحسيب

أبو زيد عبد الرحمن ابن التقديسى بوادى مالقة فى الثالث عشر من ذى قعدة من العالم المذكور، للقاضى أبى محمد عبد الوهاب:

يا صاحبى بمهجتى خمصانة ... مالت فمال الحسن فى أعطافها

فى الصدر منها للطعان أسنة ... ما أشرعت إلا لجنى قطافها

إن تنكرا قتلى بها فتأملا ... تجدا دمى قد جف فى أطرافها

قال: وأنشدنى أيضا لنفسه: [السريع]

ووردة أنبتها ناظرى ... فى وجنة كالقمر الطالع

فلم منعتم شفتى قطفها ... والحكم أن الزرع للزارع

ومنهم:

٩٣ - عبد الرحمن بن دحمان بن عبد الرحمن الأنصارى

يكنى أبا بكر. كان - رحمه الله - أستاذا بمالقة، مقرئا للقرآن والنحو، عارفا لهما، حسن الإيراد، من جلة العلماء وعليتهم، فاضلا ورعا منبسط النفس، كثير الدعابة. كان يحضر مجاس السادات فيستظرفون أخباره ونوادره. وكان للوذعيته محببا عندهم، مكرما لديهم. وكان مع ذلك أديبا شاعرا فيما ذكر لى، ولم أقف له على شعر. وتوفى - رحمه الله - فى شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة.

ومنهم:

٩٤ - عبد الرحمن بن محمد بن على بن جميل المعافرى

يكنى أبا زيد. كان - رحمه الله - حاجا فاضلا من أهل العلم. أخذ عن شيوخ جلة بمالقة، وقرأ على أخيه الحاج أبى الحسن المالقى بالمسجد الأقصى، ويحمل عن أبى الفرج الأصبهانى بالإجازة، وعن غيره من الشيوخ. قرأ عليه بشيوخنا وأخذوا عنه، وكان ثقة عدلا فى الرواية.

ومنهم:

٩٥ - عبد الرحمن بن قاسم الشعبى المالقى

يكنى أبا المطرف، هو الفقيه المشهور الجليل القدر. كان فقيه مالقة فى عصره، عليه كانت الفتيا تدور. وكان حافظا، من الحفاظ المشاهير، يحفظ المدونة وغيرها. أخذ عن شيوخ جلة، كأبى أيوب الإلبيرى، وعن أبى محمد قاسم بن المأمونى السبتى، وعن حسين ابن موسى الفقيه المشاور، وأبى الطاهر بن حمزة.

وصفه الفقيه أبو العباس أصبغ بن أبى العباس فقال فيه: عصرة أهل العلم الرفيعة، وهضبته العبقة البديعة، بذ فيه جموع الأفذاذ، وأربى نظره على النقاد فى النفاذ، وبورك له فيما منح من الاستيفاء والاستحواذ. امتد فى العلوم شأوه، وامتلأت إلى عقد الكرب دلوه. وكان أمير الحشْم قد فاء عليه ظله، واشتمل عليه فضله، ويرى أن ذلك عليه فرض يقضيه، وواجب يبلغ الجهد فيه.

وللفقيه أبى الحسن بن هارون يمدحه بقصيدة، أولها: [الكامل]

وقع سرى وهنا كوقع مهند والليل مكحول الجفون بإثمد

وإذا الصبا هبت على عرصاتها أرجت بطيب ثنائه المتجدد

فكأنما تثنى على الخلق الذى يبدى سناء بالتقى والسؤدد

ذاك الفقيه أبو المطرف إنه جار على سنن النبى محمد

طود من العلم الرضى ليرتقى لذراه من لمس الكواكب باليد

جلى دياجى الجهل نير علمه فأضاءها بشهاب نور موقد

وتلطفت أذهاننا وتسربلت برد النهى من طبعه المتعهد

ومنها:

يا قاصدا بغداد راجى علمها رد فاقتبس من ذهنه المتوقد

يا طالبا درر المعالى بالنهى جئ فاغترف من دره المتسدد

هذا سراج النور يسطع نوره فى رية فاعمد إليه واقصد

تلق الفضائل والمكارم والندى وسنا المعالى جمعت فى أوحد

وقدره - رحمه الله - عظيم، وعلمه مشهور - نفعه الله بمنه -. وتوفى فى رجب لعشر خلون منه سنة سبع وتسعين وأربعمائة. ومولده سنة اثنتين وأربعمائة.

ومنهم:

٩٦ - عبد الرحمن بن مسلمة بن عبد الملك بن الوليد القرشى

سكن إشبيلية، وأصله من مالقة، يكنى أبا المطرف. كان مقدما فى الفهم، بصيرا بعلوم كثيرة من علوم القرآن والأصول والحديث والفقه وفنون العربية والحساب والطب والعبارة، قد أخذ من كل علم بحظ وافر، مع حفظه للأخبار والأشعار، روضة لجليسه. وكان قديم الطلب لذلك كله ببلده، وبغرناطة وبغيرها. فمن شيوخه بقرطبة: الأصيلى، وأبو عمرو الإشبيلى، وابن الهندى، وعباس بن أصبغ، وأبو نصر، وخلف بن قاسم، وغيرهم. وتوفى فى شوال سنة ست وأربعين وأربعمائة. ومولده سنة تسع وستين وثلاثمائة. ذكره ابن بشكوال.

ومنهم:

٩٧ - عبد الرحمن بن صالح بن سالم الهمدانى

يكنى أبا القاسم. هو أخو شيخنا الفقيه الراوية المحدث أبى عمرو بن سالم. وكان أبو القاسم هذا من أهل الطلب والنباهة. وله سماعات كثيرة مع أخيه أبى عمرو المذكور. وصفه الفقيه أبو الطاهر فقال: أما أبو القاسم فآية العلم غير منسوخة، ونهاية قد عرفنا ثبوته ورسوخه، أعطى قدرة فى التوليد أسفر صبحه إسفارا، وصيرت غيره ببيانه كالحمار يحمل أسفارا. وتوفى - رحمه الله - فى سن الفتوة.

ومنهم:

٩٨ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن التجيبى

يكنى أبا القاسم. هو القاضى أبو القاسم ابن عياش، ولد الكاتب المشهور. كان - رحمه الله - من أهل الطلب خطيبا فصيحا تستعمله الملوك وتعظمه. وكان يزين المجالس بفصاحة لسانه، وحسن خدمته. ولى القضاء بكور كثيرة نبيهة. ولى غرناطة، وولى مرسية، وولى مالقة، وأقام بها مدة. وكان - رحمه الله - مهابا جزلا فى أحكامه. وكان مولده عام أحد وثمانين وخمسمائة. وتوفى - رحمه الله - فى يوم السبت التاسع لجمادى الأولى عام ستة وثلاثين وستمائة.

ومنهم:

٩٩ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الخزرجى

يكنى أبا زيد، ويعرف بالقمارشى. كان - رحمه الله - من جلة الطلبة وعليتهم ونبهائهم. روى عن الفقيه الفاضل المحدث أبى جعفر أحمد بن على بن حكم الحصار، وعن غيره. وكان - رحمه الله - من أهل الفضل والدين والورع والانقباض والعفاف عن الناس. قرأت عليه وأخذت عنه وأجازنى إجازة عامة. وكان أولا يعقد الوثائق. ثم فى آخر عمره صار مكتبا للصبيان بداخل مالقة، فكانت عنده - رحمه الله - أحاديث غريبة، وغيرها من الأدب نبيلة.

ومنهم:

١٠٠ - عبد الرحمن بن محمد بن يخلفتن بن أحمد الفزازى

ورد علينا - رحمه الله - مالقة، وكان بها كاتبا لأمير المؤمنين أبى العلاء أيام ولايته، وكان من الكتاب البلغاء والشعراء والأدباء، كتب عن سادات حياته. وكان بارع الخط، من جلة الطلبة النبهاء، مشهور المكانة، مصمما فى دينه ويبغض أهل العلوم القديمة.

حدثنى عنه الأستاذ الجليل العارف المحقق النحوى أبو الحسن ابن عصفور أنه كان لا يصاحب أحدا ولا يؤاخيه إلا بعد البحث، هل نظر فى العلوم القديمة أم لا؟ فإن كان قد نظر فيها، لم يصاحبه، وكان ممقوتا عنده. وحدثنى أنه قال له ذلك مشافهة.

ومنهم:

١٠١ - عبد العزيز بن أمير المؤمنين أبى يعقوب ابن أمير المؤمنين أبى محمد

عبد المؤمن. يكنى أبا محمد. ولى مالقة فى أيام أبيه، وكان - رحمه الله - من جلة السادات، معلوم المكانة، فاضلا جليل المقدار حسن السيرة مقربا للطلبة، محبا فيهم، معظما للعلم وأهله. وكانت له معرفة وتصرف فى الطلب. وكان يميل إلى طريق الإرادة. وكان ينظم الشعر ويجيده. نقلت من خط شيخنا الأديب أبى عمرو بن سالم من شعره: [البسيط]

وقفت فكرى على نظم لو انصرفت عنه عوائقه ما كان ناظمه

للشعر تيه ضللنا فى مجاهله لو لم يكن ناصبا فيه معالمه

يا أوحد العصر هبنى قلت ما سمحت به القريحة فاجعل لى تمائمه

سلم عنادك تسلم من توابعه فليس يسلم إلا أن تسالمه

قال الأديب أبو عمرو: ونقلتها من خط سيدنا أبى محمد عبد العزيز، وكتب بها السيد إلى شيخنا أبى عمرو بن عبد ربه.

ومنهم:

١٠٢ - عبد الأعلى بن موسى بن نصير

توجه بجيش من قبل أبيه فافتتح تدمير، ومضى إلى إلبيرة، وغرناطة، ثم إلى مالقة فحاصرها. وكان بها ملك قليل التحفظ، كان يخرج إلى جنة له بجانب المدينة طلبا للزاحة من غمة الحصار من غير أن يقيم عينا أو طليعة. فعرف بذلك عبد الأعلى، فكمن له فى جنب جنته، فخرج ليلا، فظفروا به، فأمسكوه. فأخذ المسلمون المدينة عنوة، وملأوا أيديهم منها غنيمة. وقد قيل: إن طارقا هو الذى وجه الجيش فافتتح مالقة، والله أعلم. ذكر ذلك ابن حيان.

ومنهم:

١٠٣: عبد الجبار بن المعتمد بن عباد

هو الذى قام بحصن منت ميور. وسبب ذلك أنه أخذ بمالقة حارس يعرف بمحمد بن خلف، سجن هو وأصحاب له، فتألفوا فى السجن مع آخرين، فنقبوه وطرقوه إلى حصن منت ميور، من حصون مالقة، فدخلوه، وأتوا إلى دار قائده. فنودوا: من أنتم؟ فقال ابن خلف: من لا ينام الليل.

فأخرجوا قائده، ولم يضروه، وحصلوا فيه. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رجل، فسألوه، فإذا هو عبد الجبار بن المعتمد، فولوه على أنفسهم، وظن الناس أنه الراضى بن عباد، لأنه كان يملك تلك الجهات. وعندما حصل عبد الجبار فى الحصن أقبل مركب كبير من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقا، فانكسر على مرسى الشجرة على مقربة من الحصن. فخرجوا إليه وأخذوا طبوله وبنوده وعدته ووسقه، فاتسعت أيديهم واستجابت لهم الحصون المجاورة لهم، مثل عرجان، وقلعة خولان. ووصلت إلى عبد الجبار أمه، وكانت عند ابن خلف رمكة، كان أخذها لبعض الملثمين، فطلبها منه ابن المعتمد، فأبى عليه. فأدخل بينهما فى ذلك حتى قتله. ولما قتل ابن خلف، خطب بعض أهل الجزيرة لعبد الجبار، وخاطبه أهل أركش، فدخلها عام ثمانية وثمانين. وبقى عبد الجبار بأركش إلى أن نزلت عليه عساكر سير بن أبى بكر، وضرب بسهم فمات. وأخذ الزوائد أمه وخرجوا بها ليلا إلى طليطلة. ذكر قصته ابن حمادة فى تاريخه.

ومنهم:

١٠٤ - عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد القرشى العبدرى

كان - رحمه الله - من جلة الشيوخ المحدثين العارفين بطرق الرواية، عارفا حافظا محققا عالى الرواية. أخذ عن أبيه عبد الملك بن بونه، وشاركه فى كثير من أشياخه، وعن الحافظ أبى بكر بن غالب، وعن الشيخ الحافظ أبى بحر سفيان بن العاص، وعن يونس بن مغيث، وعن أبى الوليد بن طريف، وعن أبى عبد الله بن سليمان النفزى، وعن أبى عبد الله بن معمر،

وعن أبى الوليد بن رشد، وعن ابن عتاب، وغيرهم. وكان - رحمه الله - جليل المقدار ذا ضبط وتثبت وصحة نقل. نقلت من خط الأستاذ أبى على الرندى، قال: حدثنا الشيخ أبو محمد عبد الحق، يعنى المتقدم الذكر بسند، اختصرته أنا، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لأجلدن فى الشراب.

ومنهم:

١٠٥ - عبد الوهاب بن على

يكنى أبا محمد. وهو الفقيه الخطيب الفاضل الزاهد الورع. كان - رحمه الله - من أهل العلم والأدب البارع حافظا للغات والنحو والأدب، منبسط النفس كثير الدعابة، قريبا من الناس، على ما كان عليه من الزهد والورع والفضيلة. كان خطيبا بجامع مالقة إلى أن توفى - رحمه الله -. ذكره أصبغ بن أبى العباس فى كتابه، فقال فيه: ركن عظيم من أركان الديانة، وإنسان فى حدق عين الصيانة، وفؤاد بصدر النزاهة والنباهة. حمل من علوم الحديث والآداب ضروبا وفنونا، واهتصر منها أماليد وغصونا، ورفض هذه الفانية فاتبعته، وقلاها فما ودعته. وله منظوم ومنثور هما حلية السامع، ومتعة الراوى والسامع، إن جد فكلحمة نصل، أو هزل فكعطفة وصل. لكنه أساء لنفسه الاختيار، بسكنى البوادى وتفضيلها على الأمصار... ثم قال بعد كلام: لكن بيده لواء التقديم، وهو المفضل على الحديث من أهل بلده والقديم.

قلت: وللفقيه أبى محمد المذكور أشعار رائقة، وكتب فى غاية البراعة. وبينه وبين الفقيه الزاهد أبى الحجاج ابن الشيخ - رحمه الله - مكاتبات

وشعره، تنبئ عن بلاغته ومعرفته وجودة طبعه، أذكر منها الآن طرفا، وسأذكر طرفا منها فى ترجمة يوسف، إن شاء الله تعالى.

كتب له الفقيه الحاج الزاهد أبو الحجاج ابن الشيخ - رضى الله عنه - شعرا، وسأله الجواب، فكتب له أبو محمد - رحمه الله -: أدام الله عز الفقيه الأجل، الولى فى الله - عز وجل -، أبى الحجاج، معدودا فيمن قيل من الحجاج، آمين، بمن الله رب العالمين. بهرتنى أيها الإنسان، أبياتك الحسان، المفيدة إن زففتها، الغريبة إن نفضتها، ورأيت مرادك أن آخذ فى صنعة شىء من الشعر، وإن حكى فى تأليفه سقوط البعر. فلك الفضل يا ولىى فى بسط المعذرة، والمعاملة فيه بالنظرة. أما شعرت بامتناع الشعر، عند ارتفاع السعر، وأن لا أمل فى هزج منه ولا رمل، ما دام زحل، فى برج الحمل. ولا شك أنك رخى البال، لا يروعك دوى الغربال. أما خبزك ففى الخمير، وأما عزك فطوقوه للأمير. ألا من يسر فى بيت شعر. وسيدى قصده يزوره فى اليوم، ألف مرة تعم. وفى عزمته مزحه، يزجها ثم ينام لمحة لآخر يتلفف فى عباءة، ويتعفف عن الباءة. فقد نبذت جلته الصهباء، وأودت به السنة الشهباء، فأصبح لا يعلو نواره مغرسا، ولا يأتى بمن يهواه معرسا. إليك عنى، فما أنا من الشعر ولا هو منى، اللهم إلا أن يرخص القمح والشعير، فدونك منه حمل بعير، والسلام.

وكان بينهما من المداعبات أكثر من هذا، وقد جمعها الفقيه أبو الحجاج فى سفره، وهو موجود بأيدى الناس.

ومن شعر أبى محمد عبد الوهاب: [السريع]

قد أكثر العاذل لا أم له ... لا لا أراه الله ما أمله

لست بسال فليلم لومه ... لا لا وحق الكتب المنزله

كيف بسلوانى عن غادة ... كالشمس والسطح لها منزله

يا عاذلى سوف ترى عاذرى ... يركب من بحر الهوى أهوله

إن هم أن يبصر من فى الحمى ... يوما قد استحكم فيه الوله

وقال يعنى مذنفا عانيا ... كان لى الله مجيرا وله

مرت بنا فى خرد نهد ... راعت لأسد بالحمى مهمله

ولم ير الصب سوى مقلة ... وربما تستره أنمله

من دون جلبابك يا هذه ... إن قص أو زاد الفتى أنمله

فنون حسن وجمال بما ... جمعن فى محسنة محمله

فى الدعص والغصن وبدر الدجا ... تفصيلها حين غدت مجمله

مما شجانى خيفتى دونها ... من السنا والقلب من جندله

يا ويح هذا المستهام الذى ... لم يعد سيف اللحظ أن جد له

يقتل ذا الذنب ومن لم يكن ... منه ولا هم بأن يعمله

كأنه فيما جنى هاشم ... وقد حمى والده حرمله

وهى طويلة. واختصرت مخافة التطويل.

ومن شعره: [الخفيف]

قصرى اللوم بعدهم أو أطيلى ... ما إلى الصبر بعدهم من سبيل

أتلومين فى الهوى أم تحشين ... عليه لله درك قولى

زاد تعنيفها غراما ووجدا ... قلب هذا المتيم المتبول

راعنى بالنوى وبان بروعى ... رشأ خاتل ضراغم غيل

سله إذ هب للصبابة عزا ... وامض فالله للغريب الذليل

والأمير الأجل شمس المعالى ... شيم الجود معدن التفضيل

وكتب إلى الأستاذ أبى زيد السهيلى: الأديب الفقيه اللبيب، الأستاذ الحبيب، أبو زيد، زاده الله كرما ومجدا، وكلفا بالمكارم ووجدا. معظم قدركم العلى، عبد الوهاب بن على: [الخفيف]

ما السها إن لمحتم كسهيل ... لا ولا من مدحتم كالسهيلى

يا أبا زيد إنما أنت بدر ... وأساتيذنا كواكب ليل

سالنى عنه حاسد ورآه ... سار نحو العلى كأسرع نبل

قال من ذا وقد تميز غيظا ... ويله كم يقول فى النفس ويلى

قل له قد علمت منه كعلمى ... فقل الحق أو فمل كل ميل

هو فى النحو سيبويه وفى الشعر ... مجيد كعامر بن الطفيل

كارع بين صاب ورد كراع ... جامع شمل ما حوى ابن شميل

ما لدرسه مالك حين يقرى ... لا ويقريك فاضل كالفضيل

وإذا أردت علم أصول ... فرد النيل منه بصدق نيل

واقترب منه تشهد ابن قريب ... بأفانين أو بذات الأثيل

محكم لفظه صحيح فصيح زانه الوزن لم يشنه بهيل

إن من مارس العلوم بإقراء لمجر جحاشه مع خيل

زد أبا زيد في علاء وفخر واصحب الفرقدين ساحب ذيل

وكتب معها: أكرمكم الله بتقواه، جددت بأحرفي هذه العهد بكم، وجردت أكثرها من ثمرات أدبكم. ومن حرم نفس عصام، فلا جرم أن يكون بنفسه ذا اعتصام. وإنما جردت بين يديكم غصبا، لأنني وردت فيما لديكم عذبا، وكما اعترفت بذنوبي، فقد اعترفت بذنوبي. وإلى هذا فقد جعلتك لي ملاذا، فصد عن زلل، وسد من خلل. فتلك - وما يحن واخد إلا لمنى - هي غاية الأمل والمنى. وكنت - أعزكم الله - سمعت من كلامكم منذ سنة، نبذا من معاني القرآن مستحسنة. وقد بسطت اليد إلى شيء منها، إن كان تقييدا، فاغتنم، رحمك الله، بإرسال ما أمكن من ذلك لتعظم الحسنة. بقيت مذكورا في أهل البيان، مشكورا مع أهل الإحسان، ما تحلت بمدحك الألسنة، واكتحلت عين بسنة، والسلام.

ومن شعره: [الخفيف]

صدني البين عن لقائك غيره أن يرى آنسا بقربك غيره

صد عن شخصك الكريم محبا وأراه غرابه ونغيره

قلت يا سائلي ليعلم وجدي بك يا من به تفاخر وبره

أسفي يابن يوسف لم يجده بأخيه متمم بن نويره

وشعره - رحمه الله - كثير، وأدبه شهير. وتوفي - رحمه الله - في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

ومنهم:

١٠٦ - عبد السلام بن ثعلبة

كان والى رية عند وصول المجوس إلى ساحلها سنة سبع وأربعين ومائتين، فى أيام الأمير محمد، فاجتهد فى دفعه، وسد مراسى رية، فلم يجدوا فيها مدخلا.

وجرت بينه وبينهم حروب ظهر فيها عليهم، وقتل فيهم قتلا ذريعا حتى ولوا على الساحل المذكور، وفروا إلى ساحل تذمير. وتوفى سنة خمس وسبعين ومائتين. ذكره ابن حيان فى تاريخه.

ومنهم:

١٠٧ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الكاتب. وهو والد الكاتب أبى محمد ابن الكاتب المتقدم الذكر. أصله من وادى آش من بيت حسب وجلالة. انتقلوا إلى مالقة فى بعض الفتن، وهى كانت دار سكناهم، وبها كان مقامهم. وأبو القاسم هذا هو من جلة طلبة مالقة ونبهائهم، ومعدود فى حلبة نبهائها وعلية شعرائها. شعره رائق، وكتبه بارع. ذكره الفقيه أبو العباس أصبغ فى كتابه فقال: شاعر، مطنبا كان أو مقصرا، مجيد محسن، لا يعارض ارتجاله، ولا يتعاطى سجاله. وأنشد له قطعة فقال: وهى مما حاز بقولها السباق، وفات أولئك الطباق، وهى هذه: [الكامل]

يا من إليه فى المهم المفزع ... تفديكم بين البرية أربع

بحر العلوم وكل راقى منبر ... وغمامة تهمى وبدر يطلع

قد مر شهر ما لدى راجيكم ... شيء يعود ولا صديق ينفع
وإليكم عند الضرائر مرجعى ... والنصل قدما للشدائد يرفع
عودتنى عونا وغيرك فى الورى ... من يبتدى ذكر الجميل فيقطع
والله لولا صرف دهر جائر ... ما كنت فى زمنى لخلق أضرع
لكن حوادثه نقضن عزائمى ... ومن الأمور مقدر لا يدفع
يقتادنى أملى ويثنينى الحيا ... هذا يثبطنى وذاك يشجع
فامنن فمثلك من يرجى نفعه ... بشفاعة إن العظيم يشفع
والله ما أدرى إذا لم يأتنى ... منه الذى أرجو إلى من أرجع

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو القاسم يوما ارتجالا: [المتقارب]

إليكم تناهى العلى والكلام ... ومنكم يكسب حسن النظام
وما زال مجدكم باهرا ... يقر بذاك جميع الأنام
فإن قمتم أنتم أنتم ... وإن لم تقوموا فأنتم كرام
وشكرى على ذا وذا دائم ... ونفسى تحبكم والسلام

ومن شعره يرثى أبا محمد بن أبى العباس: [الكامل]

يا باكيا لفقيده يتوجع ... نهنه دموعا قد تشكى المدمع
رفقا فليس الحزن يرجع فائتا ... هذا محال فائت لا يرجع
هذا الزمان كما عهدت فعاله ... طورا يفرقنا وطورا يجمع
إن سر يوما ساء حولا كاملا ... وإذا يجود فما به مستمتع

للمـــوت يخلـق كل حى نـاطق فـعـــلام يرهب أو لماذا يـجـزع
والموت يفـتـرس الشـجـاع وضـده والموت يصـرعنا فـبـئس المصرع
والموت يفـتـرس الـفـتـاة بخـدرها لا مـهـــرب منه ولا مـتـــمنع
يا مـوت كم فرقت من جـمع وكم صـيـرت من عـين لفـعلك تهـمع
فـرقت شـمل المجـد بعـد انتظامـه فـــالمجـــد باك نائـح يتـــوجع
مـــات الذى ذهب الـعلى بذهـابه مـــات التـــقى اللـوذعى الأورع
من للمـعـــارف والعـوارف والندى من ذا إلى طرق الـسيـادة يـسـرع
من ذا ينـيـــر لنا إذا خـطب دجـا من ذا يـدافع والحـــوادث وقـع
من للعـلوم يقـــودها بزمـــامـهـا وزمـــان ربع الود قـــفـــر بلـقع
كـان الذخـيـرة للعلى فـسلبـتـهـا يا مـــوت إنك بـالذخـائر مـولع
كم عـــوذوه بـالتـــمـائـم والرقى طمع الحـيـــاة وأين من لا يـطمع
وإذا المنيـــة أنشـــبت أظفـــارها ألفـــيت كـل تميـمـــة لا تنـفع

وهى أكثر من هذا. وأدبه - رحمه الله - مشهور. وفيما ذكرته كفاية.

ومنهم:

١٠٨ - عبد السلام بن سليمان بن عمثيل العاملى

يكنى أبا محمد. من أهل مالقة وذوى بيـوتها الشريفة، قديم الحسب، شريف الأصالة. وسأذكر عند ذكر والده من سلفه ما يدل على جلالته. وكان الفقيه أبو محمد - رحـمه الله - جاريا على سنن سلفه من الطلب والنباهة. ولى القضاء بمنتماس شرقى مالقة. وكان موصوفا بعقل ونزاهة نفس. وكان -

رحمه الله - أديبا يقول الشعر ويرفعه للملوك. فمن شعره، ونقلت من خطه، هذه الأبيات: [الوافر]

ألا جلد وقد زف الرحيل ... وودع قلبه الجسم النحيل

نأى نجل الخلافة أى قلب ... يقيم وما له عنهم عدول

أبو موسى الرضى مولى البرايا ... ومن نعماه فينا لا تحول

فطار القلب إثرهم وأعيت ... على الحال فيه لما تئول

أفاد بقاؤهم جاها ومالا ... فمذ بانوا تشوقنى الخمول

وما أخشى وقد رحلوا خمولا ... أبعد القتل هل يخشى القتيل

فأقسم لا يطيب العيش حتى ... يعود كما مضى العيش الجميل

توفى - رحمه الله - فى صفر عام ثلاثين وستمائة.

ومنهم:

١٠٩ - العباس بن العباس بن غالب الهمدانى

يكنى أبا الفضل. كان - رحمه الله - من جلة الطلبة ونبهائهم، أديبا حسيبا كاتبا شاعرا مطبوعا. كان من أصحاب أبى عمرو بن سالم. وبينه وبينه مكاتبات ومحاضرات. قال فيه أبو عمرو: هو الكاتب الأديب الحسيب. من شعره - رحمهُ الله - يخاطب أهل سبتة - حرسهم الله - فى شأن القصة التى كتب فيها أبو عبد الله بن نجيب المتقدم الذكر فى باب محمد، فقال أبو الفضل فى ذلك: [الكامل]

حى الكرام بنى الكرام بسبتة ... واستقصر التسليم وهو عميم

أولئك القوم الذين أحبهم ... باح القريض بما الفؤاد كتوم

قوم يبرون القصى على النوى ... فإذا دنا فأخ لهم وحميم

لهم المآثر ليس يحصى عدها ... عاد وقد كثرت فقيل نجوم

سلكوا سبيل المجد واضحة كما ... وضح النهار فمجدهم معلوم

طابت فروعهم بطيب محاتد ... ولد كوالده أعز كريم

قد هذبوا أخلاقهم فى مهدهم ... ثم استراحوا والحلوم حلوم

يكفيك معرفة لهم سيماهم ... والفضل فى سيماهم مرسوم

بأبى رجال تحتويهم سبتة ... كرموا فما فيهم بعيد لئيم

أثنى على القوم اللسان فإن أمت ... تثنى العظام وإنها لرميم

إن الغريب إذا أقام بأرضهم ... فكأنه فى الأقربين مقيم

حفظوا وصية ربهم فى جارهم ... فمحله التبجيل والتعظيم

يقضون حق الجار وهو يغيظهم ... جهلا فكيف بمن لديه علوم

حملوا أبا حسن على أقرابهم ... لعلومه ورعى الكريم كريم

واستنقذوه من نوائب دهره ... فيما نما وعزا إليه نميم

تالله ما جهلوا أمانته ولا ... خذل الإله العلم وهو عليم

يا أهل سبتة أنتم أهل العلى ... سدتم وسادكم هناك زعيم

وإذا عياض كان رأس جماعة ... فالمجد عام والثناء صميم

من ذا يشق غباره فى سؤدد ... إن الذى يسعى له محروم

ورث المعالى عن أبيه وابتنى ... ومن المعالى حادث وقديم

حاشا لمجد قدمته جدوده ... إلا البقاء وغيره مهدوم

إيه عياض عن العلاء فإنما ... شرح العلاء حديثك المنظوم

ما كان يعرف سؤدد لولاكم ... فلتسألن به فأنت عليم

أحيى عياضا فى ثراه أبوكم ... فمضى فأحيى الكل منك عظيم

أشبهت جدك فى اسمه وجلاله ... فافخر فغيرك بالفخار مليم

ما ضر مدحكم بما قد قاله ... فى مدح غيرك شاعر وحكيم

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم ... والظلم بين العالمين قديم

جعلوا مكان الراء عينا فى اسمه ... كى يكتموه وإنه معلوم

لولاه ما فاحت أباطح سبتة ... والروض حول فنائها معدوم

يا أيها الرجل الحسيب نداء من ... يهوى لقاءك والزمان ظلوم

لولا عوائق والقضاء لزرتكم ... وقضيت حقكم وذاك أروم

أنت المجلى سبقا لقضا العلى ... وأنا المصلى سر ذا مفهوم

إن لم يكن نسب القرابة بيننا ... نسب المعالى بيننا محتوم

فأتم رعيا للعلى بلقاكم ... كيف اللقاء وحبله مصروم

خذها إليك غريبة وافتكم ... شوقا ومثلك بالغريب فهيم

وليبق مجدك فى الزمان مخلدا ... يحميه سعد دائم ونعيم

ثم السلام عليكم ما غردت ... ورقاء فى فنن وهب نسيم

وله يمدح السيد أبا إسحاق ابن أمير المؤمنين، ويذكر خصومة كانت بينه وبين الوزير أبى الحكم بن جزى، قريبه، أيام مقامه بغرناطة: [البسيط]

لكل هم على رغم العدا فرج ... طوبى لمن لم يكن فى صدره حرج

قد فرج الله همى وانقضى أربى ... فكل وجه من الآمال مبتهج

بالسيد الماجد الأعلى بلغت منى ... كم صافحت مهجتى مما بها مهج

يممته فى خصام عز مطلبه ... لما تحكم فيه المطل واللجج

حصلته عند ترحيبى على أملى ... وقارع بابه يوما كمن يلج

فكنت أفصح من قس بن ساعدة ... فى مقطع الحق وانقادت لى الحجج

لولاه لم يلتفتنى من أخاصمه ... ولم تلن شدة خضخاضها لجج

بالأمس أخبط بالعشواء فى ظلم ... وللمظالم وجه كله سمج

فاليوم لى بصر تسعى به قدمى ... حتى يراه الهدى والحق منبلج

سار المليك الرضى من عدله سيرا ... هى الصواب فلا أمت ولا عوج

أثواب سيرته مهدية وكفى ... أن الهداة على منواله نسج

يا أهل غرناطة فى أرضكم جسد ... مركب فيه روح القدس ممتزج

ملك تقل له الدنيا فيغرقكم ... بزينة لم تكن فى السر تختلج

ركائب الملك فى المقدار تحظى له ... ولم يصبهن تأويب ولا دلج

هذى المعالى أنوف حفها شمم ... لكنها عرفها المستنشق الأرج

هذى المكارم أعمار يعاش بها ... فى كل آونة والناس قد درجوا

ملآن من كل فضل قد أحاط به ... كما أحاط بلحظ فاتر غنج

أيامه سرر أكنافه وزر ... أفعاله غرر آثارها سرج

رحابه فى الندى تمتد أرحبها ... وفى الحروب له الحرمات تنفرج

يغشى الحروب ولا يخشى منيته ... كأنه بالمنايا فارح بهج

حسامه وشل من لمح رونقه ... تجرى الدماء به كأنها خلج

فهل سمعتم بسيف قبل منصله ... فى خلس لحظته يفرى به الودج

ثبت الحجى لفظه فى كل مشكلة ... فكل أمر بهيم عنده بلج

إذا تفرقت الآراء فى سبب ... بالعقل يجمعها طرا فتزدوج

له عزائم لو مرت على سبج ... لابيض حتى تساوى العاج والسبج

كاد الحمام بأن يلقى مساله ... خوفا كما تفعل الأرواح والمهج

يا سائلى عن أبى إسحاق من ملك ... ذكرى محاسنه ساعاتها حجج

فى مثل سيدنا الأعلى جرى مثل ... حدث عن البحر واستغرق ولا حرج

نجل الخلائف من قيس الذين رقوا ... مراتبا منتهى العليا لها درج

من معشر نهجوا من هديهم سننا ... أبقت لهم مفخرا يا نعم ما نهجوا

بعد النبى وأصحاب النبى هم ... خير الورى وسواهم زائد همج

مولاى عبدكم القن الذى سكنت ... أرجاؤه بعدما قد عمها الهزج

إن الخصام حروب ضرمت شعلا ... وما استثار به نقع ولا هرج

ما زلت مستطلعا حكما أسر به ... عند الخصام وما يزال يبتهج

أطلعتم من سمائنا أهلتها ... فإن أقمارها تبدو وتنبلج
بدأتم بدءة أرجو خواتمها ... سيفتح الباب وهو اليوم مرتتج
ومهجتى منكم صك مواقعه ... كالماء بين ضلوع كلها وهج
صك إذا لحظته المقلة انقشعت ... عنى سحاب العدى واستدرك الفرج
به سأملك أملاكى على ثقة ... ويرجع الحق ضخما وهو مندمج
وصار من ينكر الأملاك يثبتها ... بحجة دخلوا فيها وكم خرجوا
أمضوا شهادتهم من أجل صحتها ... وطالما ضربوا فيها وقد مرجوا
صك كريم به الدنيا قد ابتهجت ... فى مقلتى وأحبائى قد ابتهجوا
ذكر الشهود وقاضيهم وطالبهم ... فى نظم تلك السطور الغر مندمج
قد ضمنت بى إيصاء وتكرمة ... فما لهم عن طريق الحق منعرج
أمنية إن حبا نفسى القضاء بها ... قضى السقام وجاء البر والفرج

قال الفقيه أبو عمرو بن سالم: وجلسنا يوما مع أبى الفضل فى موضع مع جملة أصحاب، وشرطنا عليه أن لا ينشد من شعره شيئا، وكان ذلك على وجه المداعبة. قال أبو عمرو: فأنشد من شعره. فما زلنا نعرض له ونقول له: قد سبقت إلى هذا حتى اغتاظ من ذلك وقال: [البسيط]

جفوتنى يا أبا عمرو برأيك فى ... شعرى ومنه جميع الدر ينتظم
تعمدا كان هذا القول منك فتب ... وارجع إلى الحق أين الفضل والكرم
من قال شبه مقال غبت أنت به ... قد استوت عنده الأنوار والظلم

قال: فلما رأيته أظهر تبرمه وشكايته، قلت ولم أقصد إلا نكايته:

[البسيط]

عباس شعرك يا هذا قد اتفقت ... على ركاكته مذ كانت الأمم

ما زلت تنشدنيه كل آونة ... حتى حسدت لعمرى من به صمم

هلا نخلت فلا تجعله مبتذلا ... أين المروءة والآداب والهمم

قال: فضحك - رحمه الله -، وذهب ما كان به من غيظ يجده.

قال أبو عمرو - رحمه الله -: ودخل يوما أبو الفضل فى مجلس ابن خروف، فوجد فيه ظبيا وسيما، قرطبى الدار، فقال فيه مرتجلا: [الطويل]

أبا حسن صبرا على ما أصابك ... فإنا بما جئنا جنينا مصابك

وجدنا غزالا فى المجالس قاعدا ... فلما رآنا قام يبغى عذابك

وما كان إلا البدر زرناك فاختفى ... فقلنا متى يا بدر كنا سحابك

فقال ابن خروف: [المتقارب]

أيا من ألم على غرة ... نفيت الغرير فنومى غرار

وفيك خلال خدا شية ... رآها الغزال فولى فرار

قال أبو عمرو: وحضر أبو الفضل معنا فى مجلس تذاكرنا فيه حديث أبى بن حريق، وأنه يملى فى حين واحد شعرا وموشحا ورسالة، فقال أبو الفضل: أنا أفعل ذلك. فطالبته فى الوقت، ففعل، وأنجز ما قال. ومما حفظته من ذلك قوله: [الكامل]

يا من به يعنى الكئيب المولع ... قلبى عليك مفطر ومصدع
لو كنت ترحمنى وتشفق عاطفا ... ما سال من عينى تلك الأدمع
لو ذقت ما ألقاه من ألم الهوى ... أوسعتنى وصلا ومثلك يوسع
ولو أننى ألقى إليك مشفعا ... لبعثته يلقاكم يتشفع
فلئن حكمت عليك لى فلربما ... أجد السبيل على وصال يمنع
إيه محمد إننى لك حامد ... وشهيد نفسى أننى لك أخشع
فاعص الوشاة مع العواذل إنها ... جاءت بقول كاذب لا يسمع

وكتب إليه الأستاذ أبو محمد القرطبى وكان قد باع بعض كتبه: [الكامل]

نبئت عباسا توزع كتبه ... نهبا وأصبح عن سواها معزلا
فعجبت من بطل يبيع سلاحه ... عمدا ويصبح فى الكتيبة أعزلا

فكتب أبو الفضل إليه: [الكامل]

يا موئلى ولقد تخذتك موئلا ... أقصر فإنك غير متهم القلى
بعت الدواوين الأصول لكى أرى ... بأصول أشجار شريت ممولا

وله يصف فتى أزرق العينين، ولبس ثوبا أخضر: [الوافر]

له مقل كصافى الماء زرق ... وخضرة برده وجمال غره
صفات جمعت للأنس فيه ... فحسن ثم ماء ثم خضره

وله فى فتى أحول: [الطويل]

يقولون فى نجل المظفر عيبه به حول باد فجاوبت فحما
رأى من رمى سهما يكسر طرفه فأصبح يحكيه ليرسل أسهما .

وله فى صبى محا أبيات شعره بريقه، فقال ارتجالا: [البسيط]

قالوا محا شعرك المحبوب بالشنب فكان منى جواب بارع الأدب
لم يقصد المحو للأبيات عن أدب وإنما كان ذاك المحو عن سبب
رأى المداد شبيه المسك دون شذى فرده عاطرا واحتال بالشنب

ونقلت من خط شيخنا الأديب أبى عمرو بن سالم، قال: أنشدنا العباس فى شطرنج: [الطويل]

أيا صاحبى والشكل يألف شكله وكل لما يهواه غاد ورائح
هلم نجيل الفكر فيما يزيده توقد ذهن والذكاء يسامح
بجيشين من حام وسام وههنا رخاخ وفرزان وجرد سوابح
تكبرن عن حمل السلاح إلى الوغى . فأرماحها ألبابنا والقرائح

ومنهم:

١١٠ - عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم

ابن عمرو بن عطاف بن نعيم. هو الأمير المعتضد بالله ابن القاضى أبى القاسم بن عباد. أقام بمالقة مدة فى أيام يحيى بن حمود أمير المؤمنين، وذلك أن القاسم بن حمود لما خرج إلى قرطبة بلغه أن أهل إشبيلية قد خاطبوا يحيى بن حمود، فعزم القاسم على الخروج إليهم، وأن يعطى دورهم للجند ويأخذ

أموالهم. وكان بعض إخـوان القاضى حاضرا، فأعلمه بذلك. فـقرأ القاضى الكتاب على أهل إشبيلية، فقال: مـا ترون؟ فذهب أحد أعيانهم وأتى بتخت عظيم فيه ثياب، وبمال كثير، وقـال: عندى كذا وكذا من قمح وشعير وزيت أذب به عن مالى ونفـسى. فأجمع أهل البلد مـعه على ذلك، واجتـمع مال كثير، فـثقف عند أمنـاء، ثم أمر بالمنادى: من أراد العطاء والراتب فليأت. فاجتـمع الجند، وغلق العبيد أبواب القـصر، فخرق الباب الكـبير منه ودخل عليهم، فأمنوا، وأخرج العامل، ووجه عـيال القاسم له إلى قرطبة. فنظر فى الخروج إليهم. وخـاطب أهل إشبيلية يحيى إلى مالقـة، ووصل إليهم، وقال لهم: تعطونـى البلد، فـقـالوا له: نعم، لكن علـى أن لا تدخل إلينا. خـذ الجباية والسكة والخطبـة. فقطع ثمارهم واغتاظ عليهم. فلمـا لم يقدر معهم على أمـر، صالحـهم على ذلك، وطلب منهم رهانـا. فأعطاه القـاضى ولده عبادا. فـكان عنده بمالقة، فلعب فى بعض الأيام مع يحيى على الصـهريج، فدفع ابن يحيى، فمات فى الصهريج. فأرادت أمه قتله، فأبى يحيى، وصرفه لأبيه، بعد أن كان يحيى قد قدم القاضى على عـمل إشبيلية. فهذا كان سبب دخول عباد المتقدم الذكر إلى مالقة.

وفى خلال ذلك ظهر هشام الدعى على ما يأتى ذكـره فى بابه، فحجبه إسماعيل أخو عباد، إلى أن قتل إسماعـيل. فانتقلت الحجابة لعباد أخيه. ثم مات أبوه القاضى سنة ست وثلاثين وأربعمـائة. وولى عباد المذكور، وتسمى بالمعتضـد بالله المنصور بفضل الله. ودبر المملكة، ونظر فى قـتل البرابر وأخذ الثأر منهم. فلـما كان فى سنة ثمـان وأربعين خرج يتـصيد، وقـيل: كان به سكر حتى وصل رندة، وفيها أبو نور النفزى، ومـعاذ بن أبى قرة، فأكرماه،

وقالا له: ما جاء بك؟ فقال: أريد تطهير أولادى، وأن ترسلوا عن الحجاب يشرفون بالحضور بأنفسهم ونسائهم فى أحسن زى ليكون لى بذلك شرف فى الأندلس. فاجتمع الحجاب وأعلموا بذلك، وأخذوا فى الشرب، فأظهر المعتضد السكر. فقال الحجاب: جاء الكبش للجزار. فقال معاذ وأبو نور: والله لا كان هذا أبدا. ففهم المعتضد كلامهم، فأمر بصلات، فدفعها إليهم، ثم انصرف عنهم. فمضوا إليه فى أحسن زى مع نسائهم، فلما دخلوا عليه، أنزل أبو نور ومعاذا أحسن نزل، وسائر الحجاب أخذ سلاحهم. واختلف الناس فى موتهم. فأصح ذلك أنه أدخلهم الحمام على معنى الإكرام، وأمر ببنائه عليهم، فبقوا فيه حتى ماتوا، وقيل: سجنهم فيه ليلا، والله أعلم أى ذلك كان. وكان المعتضد شديد البأس كثير الحزم صاحب رأى وتدبير. وكان إذا أشكل عليه أمر دخل حنيته، ورد وجهه ورأسه إلى الحائط فيدبر ما يراه. سدادا، فيكون من أبدع ما يختار وأصوب ما يدبر. فكان لذلك يسمى: أسد الحنية. وكان يقول الشعر.

فمن شعره يخاطب صهره بدانية: [البسيط]

صهرى أبا الجيش هل يقضى اللقاء لنا ... فيشتفى منك طرف أنت ناظره

شط المزار بنا والدار دانيـــة ... فيا حبذا اللفظ لو صحت زواجره

ومن مستحسن شعره قصيدته المشهورة التى أولها: [الطويل]

أنام ومـا قلبى عن الجد نائم ... وإن فؤادى بالمعالى لهائم

وتوفى - رحمه الله - من ذباح. وقيل: إن الحكيم ابن النقاش أعان فى أمره مع القدر، وسبق الأجل. وذلك سنة إحدى وستين وأربعمائة. ذكره ابن حمادة فى تاريخه.

ومنهم:

١١١ - عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء

ابن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن عبادة الأنصارى الخزرجى - كذا ذكر اتصال نسبه ابن بشكوال قال: كذا نسبه ابن الفرضى فى كتاب طبقات الشعراء له - المالقى، يكنى أبا بكر. هو الأديب الشاعر المشهور، فحل من فحول الشعراء، وعلم من أعلام الأدباء. آدابه مشهورة، ومحاسنه مذكورة. وله موشحات رائقة تضرب بها الأمثال. ذكره أصبغ فى كتابه، وبه بدأه فقال فيه: شهاب معارف، وظل أدب وارف، وقدره إجماع، ونزهة قلوب وأسماع. إن جد لم تفاتحه وقارا، وإن هزل خلته يعاطيك عقارا. سحب أذيال مجونه، وانتسك بين صفا اللهو وحجونه. واخترع التوشيح فى بث برحائه وشجونه، فإن طريقة التوشيح فى الأندلس كانت غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود. فأقام منآدها، وقوم مائلها وميادها، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته. بيد أنه ما خلع برد الشباب القشيب / ولا وضح بليل لمته صبح المشيب، حتى أقصر باطله، وأسمعته عذاله وعواذله، وعريت منه أفراس الصبا ورواحله.

ومن شعره، وذكر ابن أبى العباس أنه أول شعر قاله فى صبيان يرمون على الشارة: [الطويل]

وما راعنى إلا سهام رواشق ... إلى هدف ينحوه كل يدى ظبى

أقاموه كى يرموا إليه فلم يكن ... لهم غرض حاشا فؤادى فى الرمى

ذكر أصبغ فى كتابه أن أبا بكر عبادة كان يمدح القائد أبا موسى والد

ابن بقية، فسافر أبو موسى، وشاع أنه قد مات. ثم إنه قدم مالقة، فأنشده قائما بين يديه: [الوافر]

نعى زاد فيه الدهر صبحا فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما شككت فى هذا لأنى رايت الشمس تغرب والنجوما

قال: فوهبه عليها مائة مثقال حكمية.

واجتاز عبادة على حصن قرطبة فنزل بها عند الفقيه أبى سفيان بن حجر، فأخرج له أقداحا بزبد وعسل، فأكلته بالليل الكلاب، فقال فى ذلك: [المنسرح]

ما من سبيل الوفاء والعهد أن تطلقوا كلبكم على زبدى
لو شبع الكلب فى كفالتكم لم يتتبع مخالى الرفد
عليكم أرش ما جنى ولكم نسخ ملام القبيح بالحمد

وله من قصيدة غير منقوطة يمدح بها أبا عمرو بن سعيد بن حزم: [الطويل]

عطاؤك سمح ما لإدراكه مدى ولو عدد الرمل المركم عددا
وصارمك المسلول سلم مسلما ودمر أعداء وألحد ملحدا

ومن شعره فى محبرة آبنوس: [المنسرح]

مطوية فى الخطوب كالحنش كأنما أطرقت على نهش
تمزج أريا بسمها فمتى تحط أسير الردى بها يعش
ترضع أبناءها مجاجتها فى ريها لا تدر فى العطش

مكرمة لم تهن على أحد ... تنزل عند الملوك فى الفرش
زنجية فضضت كواكبها ... فهى تباهى كواكب الغبش

وله فى جارية نأت عنه: [المنسرح]

ما مر يوم على لم أرك ... إلا وجدت الضمير صورك
وما مبيتى وأنت لست معى ... إلا مبيت القطاة فى الشرك
يا لعبة أولعت بسفك دمى ... غضى بفضل النقاب محجرك
أما أنا فالبعاد غيرنى ... وأنت خوف الرقيب غيرك

وله يصف راقصة: [المنسرح]

يعجبنى أن تقوم قداما ... تفتل قبل الجفون أكماما
كأنها فى أعتدالها ألف ... ترجع عند انعطافها لاما

وله فيها: [المنسرح]

تتابع الدست لا تخالفه ... فى رفعها تارة وفى الخفض
وتلتوى ثم تستوى فترى ... غصنا مروعا منها على الأرض
لو وطئت مقلة برقصتها ... لم تمنع خفة من الغمض

وله فيها أيضا: [المنسرح]

راقصة لا تحس وطأتها ... كأنها فى الخفوف كالطيف
تنقل أقدامها على عجل ... كأنما رقصها على سيف

وله وقد وجه الأمراء بنو حمود وراءه فى يوم أنس، وأحد فتيانهم يرقص، فطلبوا منه وصفه، فقال ارتجالا: [الكامل].

ومنوع الحركات يلعب بالنهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأود كالغصن عند كثيبه ... متلاعب كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه ... كالسيف ضم ذبابه لرياسه

ثم قال فيه للحين: [الطويل]

ألا رب ظبى قد تثنى قوامه ... فأخجل فى حالاته الغصن الرطبا
إذا يستوى أو ينثنى وهو لاعب ... فطورا ترى سيفا وطورا ترى قلبا

وله فى الياسمين: [مخلع البسيط]

انظر إلى عرش ياسمين ... لم يرد الورد وهو وارد
كأنه عدة ولونا ... أكف صب بلا سواعد

وله من قصيدة يمدح بها على بن حمود: [الطويل]

يؤرقنى الليل الذى أنت نائمه ... فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
أفى الهودج المرقوم وجه طوى الحشا ... على الحزن واشى الحسن فيه وراقمه
أظلما رأوا تقليده الدر أم نووا ... بتلك اللئالى أنهن تمائمه

وله فى أترجة أهداها له محبوبه: [مخلع البسيط]

أترجة إن أتتك برا ... لا تقبلنها وإن بررتا

لا تهـــد أترجـــة فـــإنى رأيت مـــقلوبـهـــا هجـــرتا

وزاد فى المهدى له أترجة: [الكامل]

أهدى لـه أحـــبـــابه أتـرجـــة فـبكى وأشـفق من عـيـافـة زاجـر

خـــاف التلون إذ أتـتـــه لأنهـــا صنفـــان باطنهـــا خـــلاف الظاهر

وله يصف نارا تبدو فى الظلام، ثم يخمدها الريح: [الطويل]

وقـفـت على عليـا الجـــذوع ذؤابة لأنظر فى نـار على البـعـــد توقـد

تقـــوم بطول الريح ثـم يخـونهـــا هبوب الـصبا عند الصـباح فـتفـقد

فـشبـهـتهـا فى الحـالتـين كقـارئ إذا اعـترضـته سـجـدة ظل يسجـد

وشعره - رحمه الله كثير، وأدبه شهير.

توفى - رحمـه الله - فى جمادى الأولى سنـة تسع عشرة وأربعـمائة، ودفن بربض الندامى بمالقة.

ومنهم:

١١٢ - عتيق بن على بن خلف الأموى المربيطيرى

يكنى أبا بكر، ويعـرف بالحـاج عتـيق. كـان - رحمـه الله - من جلة العلماء وعليـتهم، فاضـلا ورعا، زاهدا مقـرئل للقرآن عارفـا بإقرائه، كثـير العبرة، منقبضا عن الناس مشتغلا بما يعنيه، وكان حاجا - نفعه الله -. وأخذ - رحـمه الله - عن شـيوخ جلة كـأبى الحسن المـكناسى، لقيـه بمكة، وأبى الطاهر السـلفى، وابن عوف، وأبى بكر يحيى بن مـفرج المالقى، وأبى الحسن ابن هذيل، وابن سـعادة، وأبى زيد السـهـيلى، وابن الفخـار، وأبى بكر بن

الجد، وأبى عبد الله بن زرقون وغيرهم. ونسبه - رحمه الله - على ما ذكره بعض الشيوخ: عتيق بن على بن خلف بن أحمد بن عمر بن سعيد بن الأيمن بن عمر بن يحيى بن سعيد بن الأيمن بن عمرو بن يحيى بن وليد بن محمد بن عبيد بن عمر المروانى. وعمر هذا من ولد عبد الرحمن بن معاوية. قال الفقيه الأجل المحدث أبو عبد الله بن سعيد: قيد لى هذا النسب ابنه، ووقفت الشيخ عليه. وذكره صاحب الخبر المتقدم، فقال فيه: حج ورحل، وكان فاضلا. وربما كان يقرئ القرآن ولا يأخذ عليه أجرة. وتوفى - رحمه الله - فى الحادى والعشرين من رجب الفرد سنة ثنتى عشر وستمائة.

ومنهم:

١١٣ - عبد المحسن بن على بن عبد الله الأنصارى

يعرف بابن أبى خرص. كان - رحمه الله - من طلبة مالقة ونبهائها، ذكيا فطنا لوذعيا. وكان جميل الصورة. ولأدباء مالقة فيه أشعار. وللفقيه أبى عبد الله الجونى مقامات سماها بالمقامات المحسنية، وجمع فيها ما للشعراء فيه من الأبيات، وتضمين اسمه فى آخر كل بيت منها. ووصفه فيها فقال: فتى يحسد البدر سناه، وتستظرفه القلوب وتتمناه. سهام جفونه أنفد من السهام، وأمضى من الحسام، تدع الصحيح يكابد الحمام، وتترك الفصيح يكنى عن الخمصة بالأوهام. قد جمع إلى بهاء المنظر الرائق، وانتهاء الحسن الفائق، أدبا بارعا، وظرفا بالثناء فارعا. يجامل من لاقاه برورا وإكراما، ويظهر سرورا وابتساما.

أنشد لأبى عمرو بن سالم، وذكر أنه كتب بها إلى أبى الحسين بن زعرور فى عبد المحسن: [الكامل]

قسما بمجد أبى الحسين وحسنه ... ما فى الملاح شبيه عبد المحسن
هو ملك حسن قد رضينا حكمه ... دون البرية فليسئ أو يحسن
قد صير الإحسان فينا سيرة ... لولاه ما حسنت محاسن محسن

فأجابه أبو الحسين بن زعرور: [الكامل] .

يا مادحى بكلامه المستحسن ... هلا اجتزيت بمدح عبد المحسن
ذاك الذى مهما أشار مسلما ... أزرت أنامله بنور السوسن
وإذا تكلم أو تبسم ضاحكا ... خرست محاسنه جميع الألسن
يا ليته والله يكلأ حسنه ... لو ذا دعنى بعض ضر مسنى
فكفى به أن قلت فى أوصافه ... لولاه ما حسنت محاسن محسن

وللفقيه أبى محمد البرجى فيه: [الكامل]

من أين يطمع عاذلى فى سلوتى ... وأليم حب معذبى قد مسنى
وبمهجتى وسنان رونق خده ... ورد يفتح فوق غصن سالسوسن
إن قلت بدر فوق غصن لم تصب ... فالبدر مثل كماله لم يحسن
لما تشابه وصفه وصفاته ... هتفت بنظم حلاه عرب الألسن
حاز الصيانة والبراعة والعلى ... والحسن والإحسان عبد المحسن

ولأبى العباس المورى فيه: [الكامل]

بأبى غزال أهيف فى خده ... ورد جنى فى غلالة سوسن
قد حل فى رتب المعالى منزلا ... ما ليس يبلغه مديح الألسن

فتكت لواحظه بقلب متيم ... ما باله لتيم لم يحسن
خط الجمال على جميل صفاته ... كل المحاسن حاز عبد المحسن
أشكو إليه لعله يرثى لما ... قد نالنى منه وما قد مسنى

ولأبى عبد الله الشلبى فيه: [الكامل]

أحسن فدتك النفس عبد المحسن ... فالضر من وجدى بكم قد مسنى
وامنن على بلثم صفحتك التى ... رقمت أسرة حسنها بالسوسن
وأجب نداء متيم صب بكم ... دنف شج يدعوك عبد المحسن
قسما بحسن صفاتك الغر التى ... حارت لها فى الوصف كل الألسن
لا زلت منقادا بحبل هواكم ... ما دمت حيا فلتسئ أو تحسن

وللفقيه أبى جعفر النيار فيه:

بأبى غزال جل عن غزلانكم ... فى وصفه قصرت جميع الألسن
حكمته فى مهجتى فله بها ... ما شاء منى فليسئ أو يحسن
فرمت سهام جفونه قلب امرئ ... قد رام يقطف وردة من سوسن
كم شف جسمى حبه وتعففى ... يأبى شكاية كل ضر مسنى
وبهت حتى أنطقتنى حكمة ... ما فى الملاح شبيه عبد المحسن
ظبى يريك الحسن فى روض الهوى ... وردا تفتح فى أزاهر سوسن
ما زال يرشف لحظه من مهجتى ... ما ضمنت صفحاته قد مسنى
ويريك سمطى لؤلؤ فى خاتم ... من فيه يقسم أنه لم يحسن

دعت النجوم صفاته لمديحها فغدت تمر على جميع الألسن

وللفقيه أبى بكر مجير فيه:

أشكو لذى الإحسان عبد المحسن فلعله يرثى لما قد مسنى
إنى شغفت بدله ودلاله وبحسن منظره وإن لم يحسن
ظبى غرير الحسن طرز خده بالجلنار وغض نور السوسن
ريم حوى ظرفا وحسنا جامعا نطقت بما يجزى جميع الألسن
فعساه يرحم لوعتى وصبابتى ويسير بالإحسان عبد المحسن

وللفقيه أبى عبد الله بن راشد فيه: [الكامل]

وبديع حسن راق حتى قصرت عن وصف بعض منه كل الألسن
غصن زهاه لسوالف سوسن وكذبت جل سوالفا عن سوسن
يهوى نكالى فهو طوع زمانه إن لم يسئ فى فعله لم يحسن
من لى بمن قد مسنى مس الجوى فى حبه فيزيل ما قد مسنى
لو قيل من ملك القلوب بحسنه هتف الجميع بذكر عبد المحسن

وللفقية أبى التقى صالح فيه: [الكامل]

نفسى الفداء لكل نفس شفها ما شفنى من حب عبد لمحسن
جبلت على استحسان ما يلقاه من نصب ورب معذب مستحسن
ما إن يسئ لها بأمر موجع إلا وقالت زد وأوف وأحسن
فأنا الذى أرضى به حكما وقد أحكمت قول محسن بل محسن

لا يدعى فى حيه من لم يقل فى فعله حسنا وإن لم يحسن

ولشيخنا الفقيه العالم أبى محمد الباهلى فيه: [الكامل]

البدر يقسم بالطلاق ثلاثة أن لا يضاهى حسن عبد المحسن
واستوثقت شمس النهار بضوئها سنة متى عرضت لمنظره السنى
وتشوفت أزهار سوسن خده فتمزقت أجزاء رطب السوسن
واستعجمت آياته وصفاته كيما يترجمها فصاح الألسن
ورأيت إحسانا وحسن شيبة فرايت من حسن الشيبة محسن

وللفقيه أبى جعفر بن موسى فيه كامل

بأبى بديع الحسن طرز خده برقوم ورد فى غلائل سوسن
حازت محاسنه الجمال فقصرت عن وصف أيسرها طوال الألسن
يا باكيا حال المتيم إذ رأى ضررا من أجل صدوده قد مسنى
هل فى البرية خلق إلا عبده فهو المخير فليسئ أو يحسن
حيث انتهى فى الحالتين شدوته ما فى الملاح شبيه عبد المحسن

وللفقيه أبى الحسن الحضرمى فيه: [الكامل]

من لى بمن سحر الأنام بحسنه فى وصفه قصرت جميع الألسن
ظبى غرير أهيف فى خده ورد جنى فى أزاهر سوسن
قد عاد كل الحسن عند كماله فغدا بديع الحسن عبد المحسن
فالبدر يحسده بحسن كماله والشمس مثل جماله لم تحسن

أشكو إليه صبابتى وأبثها فلعله يرثى لما قد مستنى

وللفقيه عبد الله الجونى فيه: [الكامل]

يا قرة العين مهلا إننى قد جاز حبى فيك وصف الألسن
جرعتنى غصص الصبابة والهوى فأزل بفضلك ضر ما قد مسنى
بدر يلوح على قضيب ناعم وكأن سالفتيه غصن السوسن
كملت محاسنه وتم جماله فلأجل ذا سموه عبد المحسن
قسما بحسن صفاته وبمجده لا زال فى قلبى وإن لم يحسن

ولما كملت أشعار الطلبة فيه، قال فيهم أبو عمرو بن سالم - رحمه الله -: [الكامل]

أحسنتم فى مدح عبد المحسن وأجدتم فيه وإن لم يحسن
هل أنتم إلا عبيد جماله فلتخضعوا لبهاء منظره السنى
يكفيه أن بهرت محاسنه الورى وزرت بأقوال الفصيح المحسن

وكان عبد المحسن هذا كريم النفس عالى الهمة جميل العشرة. ومات حديث السن. ورجع فى آخر عمره إلى الزهد، فكان يحسن إلى الفقراء ويتفقد المساكين وأهل البيتات، ويحسن إليهم، ويعطيهم العطاء الكثير. ومات على خير عمله، نفعه الله.

ومنهم:

١١٤ - عبد الجليل بن محمد بن سليمان الأنصارى

من أهل رية. كان من جلة بيوتها. كان جده صاحب لواء الإمام عبد الرحمن بن معاوية أول دخوله الأندلس. وولى عبد الجليل الأمانة برية. ذكره الرازى فى كتاب الاستيعاب.

ومنهم:

١١٥ - عبيد الله بن عيسى بن حسون المالقى

يكنى أبا مروان. كان قاضى مالقة. قال أبو العباس أصبغ: كان عبيد الله قبلة للأيتام، وغماما للإنعام، ومفخرا يتباهى به النثر والنظام، وتتبارى فى طلبه السيوف والأقلام:

أبدا يطوف الشاكرون ببابه ... طوف الحجيج بمشعر ومقام

قال: وكان يحب الجلة والأدباء، ويصطفى العلية والصلحاء، فلا يعنى إلا بابتناء مجد، ولا يرتاح إلا لاقتناء حمد. ما أوقد قط بالحضيض ناره، ولا غلق فى وجه القاصدين داره. بل كان على من قصد المنن الغر، والأيادى التى ينقشع بها عنهم الضر، وينتعش بها العبد القن والحر. فإليه كان الأجلة يزورون، وبجانبه الأمنع الأحمى يمنعون ويحتمون. ومدحه بمالقة جلة من الشعراء لإحسانه إليهم، وإظهاره أثر العناية عليهم. وللفقيه أبى الحسن بن هارون يمدحه: [الطويل]

أشاقك بالبين الخيال المودع ... فدمعك فياض وقلبك يضرع

وهاجك مغنى أخلقت ربعه الصبا ... فربع الصبا من حسنه يتقطع

وعهدى به والدهر يسمح بالرضى ... وطير التصابى فى مراعيه وقع
وسرب الظباء العفر غازلها الهوى ... وما صدها عنا حجاب وبرقع
يمتن ويحيين الرضى فزماننا ... وإن جل ما يأتين ياس ومطمع
وفيهن حوراء اللواحظ طفلة ... صيود لألباب المحبين تصرع
وقائلة كم ذا التمادى لدى الصبا ... فقلت فؤادى بالصبابة مولع
بليت بربات الحجال وقلما ... دعون امرءا إلا يخب ويسرع
حدانى الهوى للبيض والدعج والدمى ... وإن كان لى نحو المكارم منزع
وما العز إلا فى نفوس أبية ... وإن كان أحيانا علاها يضيع
وإن غير البدر المنير كسوفه ... فإن سناه بعد ذلك يرجع

ومنها فى المدح:

لقد كان هذا الدهر أعمى أصم من ... قديم فأضحى من يدين ويسمع
وعاد مضيئا بابن حسون إذ رأى ... له غرة زهراء بالنور تسطع
بدا فرأيت الشمس عالية السنا ... كما غيبت شهب الدجا حين تطلع
جميل المحيا رائع متوقد ... ذكاء ونبلا كامل الرأى أروع
له عزة الأملاك مع لين جانب ... وشدة بأس فهو يردى وينفع
حلاوة طبع ترشف النفس ريقها ... ولكنها عند العزائم تقطع
يسل سيوف العزم بالرأى إن دجت ... خطوب ووجه الحق بالشك أدرع
إذا فخر الأقوام يوما فإنه ... ذرى الراسيات الشم منه تخشع

جـــواد بما يحـوى فـلو أن كـفـــه سحائب لاستصـحى الأنام وأجمعوا
إذا غاض حوض الجود يوما فحوضه من النيـل مـلآن الجـوانب مـتـرع
وإن جـــهلت طرق المكارم والـعلى فـواضح عليـــاه إلى المجـد مـهـيع
وإن عـــدمت غـر المعـــالى فـــإنه لدى كـفـه الإحســان والبـر أجـمع
أبى يرى الدنيـا كـمـا شـاء لم تزل لهـا فـوق أفـلاك الدرارى مـوضع
وليـس يراهـا من أجـل مـــــراده إذا كـــانت الـدنيـــا تغـــر وتـطمع
ومـــا الـدر إلا من قـــلائد لـفظه ومـا السـحـر إلا مـا يشى ويرصع
هنيـــئـــا بمـا أعطاك ربـك إنه رآك لعـليـــــاء المراتـب تسـ ــــرع
سناؤك مـصبـاح ووجـهك مشـرق وغـــيـــثك هـطال وربعـك ممرع
وعـــزك فـــوق الـنجم حل مـناطه وأنت مـن الأفـــــلاك أسنـى وأرفع
إذا رحل العـــافـون عنك رأيتـــهم وجـــودك فى ابشـــارهم يتـــمـــيع
وبى ظمـأ والفـضل منك سـجـيـة لعلـى فى حـوض المـسـرة أكـــرع
بقـيت على الـعـهـد القـديم وإنما وفـــاء ودادى منـك حـــصن وأدرع
ودم فوق هضب العز ما لاح شارق وفـيض الندى من بحر جـودك ينبع

قال أصبغ - رحـمه الله -: فاهتز ابن حسون لهـذا المديح هز الحسام، وأفاض عليه مياه النعام الجسام، والآلاء الوسام، رحم الله جميعهم بمنه.

وتوفى - رحـمه الله - فى يوم الاثنيـن لأربع خلون لربيع الآخر عـام خمسة وخمسمائة. ذكر ذلك ابن الصيرفى فى تاريخه.

ومنهم:

١١٦ - عزيز بن محمد بن عبد الرحمن

يكنى أبا هريرة. فقيه بمالقة وما والاها منذ خمسين عاما، معروف الخير، مشهور الفضل، لا متراء فضله وتقدمه. وله روايات عن بكر بن حماد من حديث وغيره، وعن علاء بن عيسى وأخطل بن رفدة، وعبد الملك بن حبيب وابن محمد العاملى، وعن ابن بدرون الجزيرى. وله أوضاع معروفة، منها كتاب كنه كيفية الإيمان، والرد على أهل الكتاب من الكتاب. وكان بيده كتاب كريم من أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد، أطال الله بقاءه، توسل إليه بطاعته، وتضرع إليه بخالص بصيرته. ونسخة الكتاب:

من عبد الرحمن أمير المؤمنين إلى محمد بن قاسم، سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو. أما بعد: فإن عزيز بن محمد من ساكنى مالقة رفع إلى أمير المؤمنين يمن بطاعته وما كان أيام الميل عليه من خالص البصيرة، والحض على جهاد الكفرة المتصدين إلى حصن مبشتر وغيره، وذكر كبر سنه وضعف بدنه وسأل الكتب إليك فى حسن الوصاية والحيطة له، وحمله له على ضيعة بقرية شارس، وقرية بلجيلش على ما لم يزل عليه فيها من الجزية. فأجابه أمير المؤمنين فيما سأل، وأسعفه فيما رغب، إذ تحقق عنده ما وصف به نفسه، واستبان لديه جميل مذهبه وحسن طريقته. فأحسن الوصاة به فى جميع أسبابه ونفذ له ما عهد إليك به فى أمره، واصرف كتاب أمير المؤمنين إليه ليكون ظهيرا بيده، وشرفا لعقبه، إن شاء الله، والله المستعان، والسلام عليك ورحمة الله.

وكتب مغيرة يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة. ذكر قصته صاحب التاريخ.

ومنهم:

١١٧ - عروة بن محمد بن عبادة بن ماء السماء

كان فقيها خطيبا فاضلا بمالقة. كتب إليه عبادة يوصيه بالتحفظ من الناس: [الكامل]

لا تطمئن إلى أحد ... وإذا فعلت فلا تعد

واحبس متاعك ما استطعت ... فإن ذاك من الرشد

الأرض نار تتقد ... واقلل من الإخوان إن

لا تلق إلا حاسدا ... أو شامتا أو منتقد

فارفع أمورك كلها ... للواحد الفرد الصمد

فالناس قد فسدوا فما ... فيهم على من تعتمد

قلت: وجدت هذا الاسم فى مدرجة فى كتاب ابن أبى العباس بخط الفقيه أبى الطاهر السبتى، ونص كلامه فيه: وكتب عبادة إلى ابن أخيه عروة الخطيب بجامع مالقة. فقلت: لا أدرى، أعروة بدل من أخيه، فيكون عروة اسم أخى عبادة، أو يكون الكلام قد تم فى قوله: ابن أخيه، وكأنه يقول: واسم ولد أخيه عروة. وأغلب ظنى أن عروة هو الخطيب، وهو أخو عبادة. والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومنهم:

١١٨ - عطاء ابن أخت غالب الهمدانى

يكنى أبا الحسن. كان فصيحا وجيها حسيبا من علية الطلبة مشهورا نبيها أديبا شاعرا، ينشد بين يدى الملوك السادة. دخل يوما عبد الوهاب بن على على أحد السادات، فقال السيد: فمن يعرف الفقيه؟ فقال عطاء: يا مولاى هو رجل من أهل البادية. فقال عبد الوهاب: نعم، البادية على وجهى بادية، لا أنكر حالى، ولا أعرف بخالى. فأسكت عطاء مفحما. واستقبل السيد أبا محمد عبد الوهاب وقربه.

وتوفى - رحمه الله - فى حدود الثمانية وستمائة.

ومنهم:

١١٩ - على بن حمود بن ميمون بن حمود

ابن على بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن حسن بن حسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب. وهنا يلتقى بالنبى - ﷺ -. وهو أمير المؤمنين أبو الحسن بن حمود الناصر لدين الله. بويع سحرة لسبع بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة. وكان على بن حمود بسبتة، وكان خيران يرغب فى المؤيد بالله هشام، فجعل خيران يخاطب الثوار فيه. وكتب فيه إلى مالقة، إلى عامر بن فتوح، وواضح العامرى. فخاطبه إلى سبتة ليخرج إليهم ويقدم عليهم ليعرفوا به. فجاز ابن حمود وأتى مالقة، فخرج إليه الوزير ابن عامر ونزل له عن قصبتها، ودعا له بمالقة، فولى العهد. وعقد خيران العامرى الولاية باسمه، واجتمعت العساكر عند خيران بألمرية. ثم خرج خيران منها،

وخرج على بن حمود من مالقة، وسارا إلى قرطبة وتقاتلا مع سليمان بن الحكم، فتغلب على عليه وأخذه أسيرا. وأخرج على المؤيد من القصر، إذ كان قد أشيع موته وأن سليمان قتله، فشهد الفتيان أنه هو. فقدم على سليمان، فضرب عنقه بيده. وسنذكر ذلك مستوفى عند ذكر هشام الدعى. وقتل على بن حمود فى حمام بقصر قرطبة يوم الأحد لليلتين خلتا لذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة. ذكره ابن الفرضى وغيره.

قلت: وعنده صارت العنبرة التى وجدت في بعض السواحل، فسويت على شكل موسدة. بل كانت عند الحسن بن قنون العلوى، كان يتوسدها، فبلغ الحكم أمرها، فسألها منه، فكانت بينهما على ذلك حروب. ثم ظهر الحكم عليه وأخذ العنبرة. ثم صرف الدهر تصاريفه وظهر بنو حمود، وهم بنو عم الحسن، ودخلوا قرطبة فوجدوا العنبرة. وأظن أن أول من وجدها هو على المذكور. ومنه بقيت عند بنى حمود بمالقة. والله أعلم.

ومنهم:

١٢٠ - على بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن القاسم بن حمود العلوى

يكنى أبا الحسن ويعرف بالشريف. كان - رحمه الله - من الطلبة النبهاء والأدباء، من أهل الحسب والمعرفة. نقلت من خط خالى - رحمة الله عليه - قال: نقلت من خط أبى عمرو بن سالم: أنشدنا صاحبنا الشريف الحسيب الأديب أبو الحسن على بن حمود العلوى هذه الأبيات لنفسه، وأمر أن تكتب على قبره، وهى هذه: [البسيط]

لهفى أرى الحال منى غير صالحة وقد مضى وتولى صالح العمر

هبنى عصيتك يا مولاى فى صغرى جهلا فما العذر فى العصيان فى الكبر

لئن عفوت فأفضال ومكرمة وإن تعاقب فإنى بالعقاب حر

قال أبو عمرو: وأنشدنا الشريف لنفسه أيضا: [المجتث]

لا تأسفن لأمر قد غاب عنك وفاتا

فجائز أن تراه ما لم يقل عنك ماتا

قال أبو عمرو: ووقفت معه - يعنى الشريف - ومعنا صاحبنا أبو الحسن بن حكيم على قبر الفقيه أبى عبد الله الرصافى، فترحمنا عليه وذكرنا أخباره، فارتجل أبو الحسن الشريف هذه الأبيات، وذلك يوم الجمعة الخامس من رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بجبانة مالقة حرسها الله تعالى: [الطويل]

سقى قبر من أضحى لدينا به الفخر وكان لنا منه النباهة والقدر

صوائب مزن يثنى النبت حوله فيبصر فيه النور قد زف والزهر

ففيك أيا قبر الرصافة والحجا وشتى المعالى الغر والنظم والنثر

نبكى الرصافى الذى كان ذكره يطيب به فى كل آونة نشر

عيون لأحباب أقاموا بقبره وما لهم إلا التأسف والذكر

وقد غشيتهم للتذكر روعة فألوانهم صفر وأدمعهم حمر

عليك أبا عبد الإله تحية مروحة حتى يجمعنا الحشر

وقال أبو الحسن الشريف فى ذلك اليوم ارتجالا: [الطويل]

إلى كم أثنى الله و عنى جانبى وأخدع نفسى بالأمانى الكواذب

فقلت:

وأترك ما قد أوجب الله حقه وأعنى بحق لله وى غير واجب

فقال الشريف:

وإنى عن الدنيا وإن شئت ذاهب أأبصرت فيها عائشا غير ذاهب

قال أبو عمرو: فقلت أنا:

فهب لى بحق المصطفى منك توبة نصوحا ووفقنى لأسنى المذاهب

ومنهم:

١٢١ - على بن عيسى المرى

أصله من ألمرية، واجتاز على مالقة، وأقام بها مدة. وكان من أهل العلم والمعرفة. أخذ عنه الأستاذ أبو زيد السهيلى وهو معدود فى شيوخه. هكذا وجدت بخط شيخ شيوخنا الفقيه العالم المرحوم أبى محمد القرطبى. ولا أعرفه بغير ذلك.

ومنهم:

١٢٢ - على بن محمد بن على بن عسكر الأنصارى

يكنى أبا الحسن، هو خال خالى - رحمة الله عليهما -. كان - رحمه الله - من الطلبة النبهاء. ذكيا فطنا عارفا محققا. كان عارفا بصنعة النحو محققا فيها، ذاكرا للغات حافظا للآداب عارفا بطريق الرواية على حداثة سنه.

وكان قد قعد للإقراء بمالقة، أخذ عن الحافظ أبى عبد الله بن الفخار وعن الإمام أبى عبد الله بن زرقون، وعن جماعة. وكان - رحمه الله - كاتبا أديبا بليغا. وفيما بلغنى من شعره: [الطويل]

خليلى إن القلب فى أبحر الهوى ... يراغى بها طول المدى ونراغ

فهل ساحل للوصل يلجأ عنده ... غريق له الماء الأجاج مساغ

يبرح بى أن الفؤاد موكل ... بذى غنج منه الجمال يصاغ

أهيم وأهمى دمع عينى صبابة ... وهيهات ما لى للوصال بلاغ

أمرغ وجهى فى التراب لعله ... يرق وما يغنى لديه مراغ

يصرف قلبى فى يديه فما يرى ... لقلبى وإن طال الزمان فراغ

ومن شعره: [الكامل]

شمس الضحى طلعت أم الصبح انبرى ... أم شمال داءت تتساقط عنبرا

هذا نسيم الريح أقبل جاثيا ... يستاق طيبا من حدائق عبقرا

ومنهم:

١٢٣ - على بن عبد الغنى الكفيف ويعرف بالحصرى

يكنى أبا الحسن، من أهل سبتة. ورد علينا مالقة وأقام بها. وكان من جلة الأدباء وفحول الشعراء. كانت مجالس الملوك تبتهج بأشعاره. وكان مقربا لديهم، معظما عندهم. نقلت من خط الفقيه الأديب أبى عمرو بن سالم ما نصه: لما أتى الحصرى - رحمه الله - من عند بنى هود، تقدم فى البحر إلى طنجة، وكان قد ترك امرأته بمالقة، فهال عليهم البحر، فقال: [المتقارب]

إمـــاء شـــقين وعـــبـــد شـــقى وكـل إليـك شكـى مـــــا لقـى
شكـونا إلـيك ريـاحـــنـــا تهـب وبحـــرا يـعب عـــسى أن تـقى
فكنـت المسلم فـيـمـا مـضى فـجـد بالسـلامـة فـيـمـا بقى

قال: فكأنما كان ثوب كشط عنه. فلما نزل فى البر، قال: [الخفيف]

رب سـهل عـلى فـتـاتى فـتـاتى لتـرى هل سـلا فـتـاها فـتـاها
علمـتـه جـفـونهـا أى سـحـر مـا تلاها عن حـبـهـا قـد تلاهى

وله أيضا: [المتقارب]

دخلـت الجـزيرة يـا سـيـدى كـــأنى أدخـلت بـردانيـــه
فـإن شـئت عـيـشـا بلا ذلة فـــحق المـودة ســـردانيـــه

وله أيضا: [السريع]

لا تخف الشـيـخ كـخـوف الفـتى فـذو الصـبـا أفظع من ذى الشـيب
مـا أصـعب الحـصـرم إن رمـتـه أكـــلا ومـــا أهون أكل الـرطب

ومن شعره يمدح المقتدر بن هود: [الوافر]

كـــذا تفـــنض أبـكار البـــلاذ ولا نقـــد سـوى البـيـض الحـداد
ولا أقـبـلـت إلا بعـنـد مـا قـد شـفـيت الثغـر من بعـد الأعـادى
وكـــان مـــرام دانيـــة عـــزيزا فـهـان على المسـومـة الجـيـاد
أطلتـهم سـمـاء عـلاك أرضـا وكـانـوا خـيـرة السـبع الشـداد

وهى طويلة. ومن شعره: [البسيط]

هى الظبا وهى عند الناس أحداق كما يقال لقتلاهن عشاق

والسر فيهن أن يسكبن كل دم ولا تبين عن الأجساد أعناق

يا راكبا طبقا فى الحب عن طبق أقصر عتابك إن الحب أطباق

ومما كتب به إلى يوسف بن نغرالة: [البسيط]

بئس الحديث حديثا جاءنى بيسا إنى ذكرت بسوء حزب باديسا

وافى ومنكره حس بلا حسن إذا عققت أبى فى يد إبليسا

وجئت قبل ارتداد الطرف يحملنى منى إليه كأنى عرش بلقيسا

وله أيضا:

انظر إلى كتب واقرأ عجبا خط ابن مقلة فى ترسيل...

وشعره - رحمه الله - كثير متداول بيد الناس. وفيما ذكرته كفاية.

وللأديب الحصرى وقد دخل عليه ابنه عبد العزيز، فاعتنقه وضمه وهو ابن تسع سنين أو دونها، وقال يسمعه:

عبد العزيز بنى كلاه بالحفظ ربه

فقال الفتى: .

تقبل لى النفس كله واشربه مما تحبه

ومات هذا الفتى مبزوفا، سال دمه حتى مات.

ولأبيه فيه من كلامه فى قطعة:

مات من لو عاش عشرا لروى العشرين وورى

ومنهم:

١٢٤ - على بن الحسين بن عبد الله الكلبى

يكنى أبا الحسن، وهو أخو الأمير الأجل أبى الحكم بن حسون. وقد ذكر خالى - رحمه الله - وصوله إلى مالقة من المنكب عند قصة أخيه أبى الحكم. وقتل أبو الحسن المذكور بجوفى الجامع بمالقة، وأخذ رأسه وحمل، وذلك فى عام ثمانية وأربعين وخمسمائة.

قال ابن أبى العباس: كان الأمير أبو الحسن ربد اليدين فى الخيرات، سباقا فى المكرمات إلى أبعد الغايات، يجمع الفضائل ولا يفرق، ويهب الصنائع العظام ولا يضيق، وتتولى أياديه الحسان على الخاص والعام وتسترفق. وهو - رحمه الله - مشهور الجلالة والحسب، معلوم المكانة فى الفضل والنسب. وللشعراء فيه أمداح رائقة.

وللفقيه أبى جعفر أحمد بن سيد المالقى يمدحه، وأنشدها إياه فى يوم عيد، وهى: [الطويل]

ألا أيها الملك العزيز لتهنأن ... بعيد ويهنا العيد أنك عيده

ويهنيك أن النصر حلفك لم تزل ... عليك ترى آياته وبنوده

وأبشر بسعد دائم البشر منغص ... لكل حسود كالجحيم حقوده

ودم سالما للجود تنشر فيئه ... وتبديه أطوارا لنا وتعيده

وله فيه: [الوافر]

أيا بشراى بالأوب السعيد ... ويا فرحى بعيد قبل عيد

ويا طرفى تمتع من جمال ... عليه ملاءة السرو التليد
ويا ربى وكنت ظمئت حينا ... لنهلة ذلك البشر البرود
أبا حسن متى تحلل بأرض ... فتحسن للقريب وللبعيد
فلا غيضت مياهك يا معينا ... ولا عيبت خلالك من حسود

وله يمدحه: [الكامل]

يا سائلى أين العلاء الأرفع ... ومن ذا الذى أنباؤه تتضوع
ومن ذا الذى يختار كل علية ... وله يشار الفخر باع أوسع
يمم أبا عمر وبحضرته التى ... هى هالة وهو الهلال الأبرع
قوساه أخلاق وأعراق وإن ... تستقها فهى الزلال الأنجع
يا صاحبى تطارحا عن مجده ... فالدر ينظم عنكما من يسمع
لولا مآثره لأصبح عاطلا ... جيد الزمان وكان أنفا يقرع
قسما أبا حسن لقد أسديتها ... والود فى قسماتها يتسرصع
فإليكها حسنا بحسن كلما ... مر النسيم بها وفيك نرجع
واسلم سلمت إلى الإمارة والعلى ... فى نعمة أرجاؤها تتوسع

وله يمدحه أيضا: [الكامل]

يا أيها الملك الأعز الأمنع ... والسيد الأسنى العلى الأرفع
ومن الذى يمنى يديه غمامة ... تهمى على ما فى جداه وتهمع
حياك عنى كل روض عاطر ... وسقاك عنى سلسبيل يمرع

كم مشهد لك فى الملم إذا دجا ورأى الخلائق أنه لا ينفع
جليت حالكه بأمر مبرم وعزيمة كالسيف لا تتضعضع
كن كيف شئت فإنك الملك الذى عنه القضاء غدا يدب ويدفع
وكريم سعد فى سعود ترتقى كالكوكب المشبوب لا يتقنع
أفمما رأى المرتاب آية ربه بعذاب بحر فوق بر يضرع
فأقم بظل من إلاهك سانح واهنأ بصنع حسن صنع يتبع
إن العدو غدا وضيق أمره والدهر ذو دول وصدرك أوسع
كيف القيام بشكر ما أوليتنى من بر إذن للزيارة يشفع
عظمت بها همممى فصرت منادما للفرقدين بحيث لا أتوقع
للبؤس والنعمى خلقت معظما كالدهر أحيانا يضر وينفع
فاسلم على مر الليالي فإنما أنت المنى والفضل فيك مجمع
واعلم بأنى شاكر مستعبد بعميم ما تسدى إلى وتصنع

فقد رأيت أن أقتصر على أمداحه بما ذكرت. فقدره مشهور معلوم - رحمه الله -.

ومنهم:

١٢٥ - على بن فرحون القيسى

يكنى أبا الحسن، ويعرف باسم والده. وكان - رحمه الله - زاهدا فاضلا ورعا، مع ما كان عليه من الأدب البارع والكتب الحسن. قال الفقيه أبو عمرو بن سالم - رحمه الله -: قدم الفقيه أبو الحسن علينا

مالقـــة - أعـادها الله -، فى سنة خمس وثمـانين وخمـسمائـة. وأنشدنى لنفسه:

أرى الناس لن يغنوا عن الله ذى العلى فـعـــول عليـه فى الأمـــور وسلم
وعـدهم مـــوتى ولا تعـبـــأن بهم وكـــبـر عـليـهـم أربعـا ثـم سلم

قال أبو عمرو: وأنشدنى أبو الحسن من شعره: [البسيط]

العـيس تكحل كـى يحـتـد ناظرها وعـــين قلـبك بالأنوار تـكتـــحل
النفـس ناظرها والـقلب إثمـــدها والعـين مـيل فنعم العـين والكحل
فـــغـــذها بحـــلال واحم نـاظرها من الحـرام فـمنه يـحـدث السـبل

قال أبو عمرو: وحدثنى أبو الحسن المذكـور أنه كان حضر يوما بمالقة، سنة إحـدى وستين وخـمـسـمائة، مع الأديب الكـاتب أبى بكر الكتندى عند بعض الأكـابر، وبين أيدينا لوح ومحـبرة. قـال أبو الحسن: فأخـذت اللوح والقلم، وكتبت فيه: [الكامل]

يا ذا الذى جمع المحاسن كلها

فجاوبه أبو بكر الكتندى، وزاد عليه:

وحوى جميع العالمين أقلها

فقلت أنا:

الدهر إن قابلته متبسما

فزاد أبو بكر:

أبكيت كثر الحادثات وقلها

فقلت أنا:

والسيف يفخر أن تمس رياسه

فقال أبو بكر:

وترد شفرته الصقيلة سلها

فقال أبو الحسن: ثم جاء الإذن من الطالب الذى كان يستكتبه، ونهض - رحمه الله -. قال أبو الحسن: فبقيت الأبيات فى حفظى إلى أن دخلت مدينة توزر، فلقيت فيها فتى من أهل بلنسية اسمه محمد الجمحى، ويعرف بابن الشواش، وكان عاقلا أديبا ظريفا، فوقع ذكر الشعراء وأهل البلاغة، فذكرت لك الكتندى وما جرى بينى وبينه، فعرفه وأثنى عليه واستحسن الأبيات. فلما كان بالغد أخرج إلى الأبيات الثلاثة، وقد ذيل عليها أربعة أبيات، وهى هذه: [الكامل]

والبحر إن يذكر نوالك غائض ... والأسد تشكو عند سطوك ذلها

والشهب ترجو أن تكون لديكم ... خولا تصرف بعضها أو كلها

والشمس تقتبس السنا من نوركم ... فانظر إليها مفضلا وائذن لها

جلت علاكم أن يحاط بوصفها ... فالذهن يقصر أن ينال محلها

وهو مشهور الأدب، رحمه الله وغفر له بمنه وكرمه.

ومنهم:

١٢٦ - علي بن يحيى الحشمي

يكنى أبا الحسن. ولي مالقة. قال ابن أبي العباس: كان أبو الحسن صاحب شجاعة وإقدام، وفضل على من انقطع إليه وإنعام. اصطفى الأستاذ لنفسه. فقرأ عليه من أشعار العرب ما فيها من الشجاعة، ومن أشعار النسيب ما فيه من الغرابة والبراعة.

وللشعراء فيه أمداح كثيرة. من ذلك قول الأستاذ أبي جعفر ابن سيد فيه: [الوافر]

قدمت بطائر اليمن السعيد ... وأوفدت المسرة بالوفود

ثنيت الدهر بسامًا غلاها ... بعزة مبدئ حمدا معيد

ترقبها طلوعك كل حين ... ترقب صائمين هلال عيد

فدية بالمسرة منك ريا ... تجر ذيول إقبال جديد

تفاخر منك بالندب المفدى ... وتأوى منك للركن الشديد

وكم ثغر مخوف أمنته ... سيوفك والرماح من النهود

وكم وقت قرنت به المنايا ... بطعنة ذابل لدن سديد

وهي أكثر من هذا. وتوفي - رحمه الله -....

ومنهم:

١٢٧ - على بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصارى

يكنى أبا الحسن، ويعرف بالوراق. أظنه ليس من مالقة، وإنما قدم عليها. قال الأديب أبو عمرو بن سالم: أنشدنا صاحبنا الفقيه الحاج أبو الحسن الوراق، قال: أنشدنى أبو الحسن السيورى، قال: دخلت على أبى الفتوح نصر بن عبد الله الأزهرى، عرف بابن قلاقس، وهو محموم، فقال: اسمع ما قلت فى الحمى، وأنشدنى:

وبغيضة تدنو وما دعيت ... فتبيت بين القلب والكبد

يصبو الفؤاد لبينها فإذا ... ولت بكاها سائر الجسد

ومنهم:

١٢٨ - على بن محمد بن على بن جميل المعافرى

يكنى أبا الحسن، ويعرف بالحاج المالقى، من العلماء الجلة الفضلاء. أخذ ببلده مالقة عن شيوخ جلة، وانتقل فى سن الفتوة إلى بلاد المشرق فقرأ بها، وأخذ عن شيوخها، كأبى الفرج الأصبهانى وابن عساكر وغيرهم. فساد تلك البلاد ورأس. فلما افتتح صلاح الدين بيت المقدس احتاج إلى إمام هنالك وخطيب. فاجتمع رأى من كان بها من العلماء المشار إليهم على تقديم أبى الحسن المذكور، فكان إماما بالمسجد الأقصى من حينئذ إلى أن مات، فكانت جنازته هنالك جنازة لم يشهد مثلها. ولقد أخبرت أن النصارى الذين كانوا بالكنيسة هنالك كانوا يتبعونه ويرمون بعض ثيابهم على نعشه، ويناول بعضهم بعضا ويمسحون بها وجوههم تبركا به - رحمه الله -.

ومنهم:

١٢٩ - على بن عبد الله بن هرون

يكنى أبا الحسن. كان - رحمه الله - من جلة الطلبة بمالقة ونبهائها والمعدود فى حلبة أدبائها وشعرائها. وصفه الفقيه أصبغ فى كتابه، فقال فيه: سبق العلية الجلة من العلماء، ومشى على ديدن الفضلاء، لأنه كان فى عصره أحد الأطواد، وعلم الأمجاد، رسا بما عنده من علم فما تقلقل، وسما بذروته بما توقل. مكنه ابن حسون من نفسه لصفاء وده، وإبراز نده، فآخاه واصطفاه، واقتصر فى نوازل أحكامه على هداه، وجعله الفاصل فى قضائه.

وكان الفقيه أبو الحسن هذا من الفقهاء المشاهير المبرزين، مع ما كان له من الأدب البارع. ومن شعره، وكتب به إلى ابن عامل بلده: [الخفيف]

يا صديقا صفا ضميرا وظنا ... وحكى المكرمات فينا فعنى

مجد كل امرئ لدى النقد لفظ ... وسنا مجدك المجد معنى

صدئت نفسى الشريفة لما ... غيب الله و من غنائك عنا

علمت نفسى العزيزة أنى ... كل يوم سماعه أتمنى

لذة النفس فى السماع فإن شئت ... تفضل على الصديق بغنا

ومن شعره، يمدح القاضى أبا الحسن عياض بن عياض اليحصبى السبتى: [الكامل]

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم ... والظلم بين العالمين قديم

جعلوا مكان الراء عينا فى اسمه ... كى يكتموه وإنه معلوم

لولاه ما فاحت أباطح سبتة والروض حول فنائها معدوم

ومن شعره فى الخرشف: [الطويل]

وأهديت عشرا من بنات قنافذ مكللة هاماتها بمباضع

بدا حالك الإعراء مثل جفونهم نهارا وليلا تحتهم فى المضاجع

فإن مد مولانا بها كف قابض فإنى منها باسط خد خاضع

وله فى الموز: [الطويل]

ثلاثة أغلاف على جسد رطب مخالفة الألوان من صنعة الرب

تقيه الردى فى ليله ونهاره وإن كان كالمسجون فيها بلا ذنب

ومن شعره وقد وقف بالكونكة على وادى مالقة فى أثر غمام: [الطويل]

ويوم كصحن الخد حسنا قطعته برشف رضاب الكأس من كف أغيد

نزلنا به فوق العقيق ودوننا جداول ماء سلسبيل مبرد

وقد فوقت برد الرياض يد الحيا كجسناء فى ثوب جديد مورد

وقد نسمت ريح الصبا فتعانقت غصون الربى واستضحكت عن زبرجد

وقد هتفت ورقاء فى غصن ايكة كما نطقت بالعود ألحان معبد

تبكى على إلف لها بعد فرقة وتندب أيام الوصال المجدد

وأعجب منها كيف تبكى وغصنها نضير وفرخاها بوكر ممهد

وأترك أن أبكى معاهد وصلهم فلا رفعت كأسى لفى إذن يدى

هم أورثوا عينى البكاء وخاطرى ... لهيبا كحر النار لم يتبرد

وعهدى بهم والدار تجمع شملها ... وخمرى من راح الرضاب المبرد

وكاس مزجناها بدمع عيوننا ... فلاح عليها كالجمال المبدد

شربنا على حسن التذكر والمنى ... لدى الروضة الغناء والمربع الندى

مداما كخد الحب أوكر ضبابه ... يلوح بها در على ذوب عسجد

وغيداء غنتنا بلابل حليها ... فجاوبها ورق الحمام المغرد

لها أرج كالعنبر الورد لو بدت ... لأصبت فؤاد العابد المتزهد

تجمعت الأضداد فى حسن خلقها ... فجسم رطيب قد حوى قلب جلمد

ولم أنس إذ مرت بنا مثل ظبية ... تهادى على رمل الكثيب بفرند

وألقت قناع الليل فوق سنا الضحى ... كما قد حوت درا حقاق الزبرجد

مرخمة الألفاظ معسولة اللمى ... مفعمة الخلخال فضية اليد

شربت لماها والتثمت لثائها ... وقبلت جيدا كالحسام المهند

وقالت أراك البدر قلت أو التى ... إذا طلعت لم يبد نجم لمهتد

فتلك التى أودى فؤادى بحبها ... وخالفت فيها قول كل مفند

وشعره كثير، وأدبه مشهور.

ومنهم:

١٣٠ - على بن معمر

يكنى أبا الحسن. كان - رحمه الله - من جلة العلماء المبرزين، فاضلا ورعا زاهدا جليل المقدار، مع ما كان له من الأدب البارع والشعر الرائق. وصفه الفقيه أبو أصبغ فى كتابه فقال: تبوأ للعبادة شعبا، وملئ من خوف الله العظيم رعبا، فانفرد ليستعد لسفره، وفقد حتى لم يعد من نفره، فلزم داره، واتخذ التبتل شعاره ودثاره، واعتزل جميع الناس، ولبس بملابس التقوى أصفى لباس.

كتب إليه يوما الفقيه أبو الحسن بن هرون بشعر أوله:

لا ورمان نهده ... وبيبستان خده

وعقارب صدغه ... قد حمت روض ورده

وضمور بخصره ... واعتدال بقده

ولمى لؤلؤ جرى ... فيه درياق شهده

وامتلاء بردفه ... منحل جسم عبده

وبياض البهار فوق ... احمرار بورده

لا سرى خاطرى لشىء ... سوى ذكر عهده

لو أذاب الفؤاد من ... حر نيران صده

بدل الله بالتواصل ... من طول بعده

فراجعه أبو الحسن بن معمر: وردتنى رقعتك فكلمتنى بلسانك، وشافهتنى بإحسانك، والله يحرس فيك الفضل، ويشكر ذلك الخلق السهل. وكتب معها بهذا الشعر:

أوه من نقض عهده ... إذ ذوى روض ورده
جل ما قد لقيته ... من هواه وصده
كيف أسلو وأدمعى ... إثره لون خده
أرق العين إذ بدا ... خلبا برق وعده
كنت صبا بقربه ... فرمانى ببعده
يا غزالا لحاظه ... والهوى بعض جنده
زد فؤادى صبابة ... قد رضينا بفقده
أين ربع ألفته ... والهوى بعض جنده
انثنى بظبله ... بين أحداق زنده
قطع العهد أحور ... ثغره مثل عقده
فاتن كلما بدا ... نفحت روض ورده
ولقد قلت بانة ... إذ تثنى بقده
خلط الهزل فى الهوى ... والتصابى بجده

ومن شعره: [الوافر]

محادثة وألحاظ تشير ... وقلب فى جوانحه يطير
وربتما أسلنا الدمع سرا ... فباح لنا بما يخفى الضمير

فيا أملى ويا معنى حياتى صغير هواك فى قلبى كبير
فيوم لا تلاقينى طويل وعام نلتقى فيه قصير

وله يصف سانية: [السريع]

سانية مبدعة كلها وشكلها كالفلك الدائر
أكواسها شهب بدت للورى من طالع للأفق أو غابر

وله فى الخرشف: [الكامل]

حسن الربيع الطلق حسن قلانس بالخرشف المكسو خش فلانس
يحكى النهود البيض حف جميعها حدق الرماة مخافة من لامس

وله فى الخوخ: [السريع]

يا حبذا الخوخ إذا ما بدا فى الأغصن المخضرة الملد
من ذاقه ذاق لمى شادن مبسمه أحلى من الشهد
صوره الله لنا فضة بيضاء تحكى خلقة النهد

ومن شعره - رحمه الله -: [الطويل]

شربنا بذات الطل والروض يبسم وقد سجعت ورق الحمام ترنم
وقد زان جيد النور لؤلؤ طله كما لاح فوق النجم در منظم
ومن فوقنا خضر القباب كأنها أكاليل من فوق المفارق تنظم
وقد قهقهت تلك المياه على الصفا كما قهقه الإبريق حين يزمزم
وتنساب فوق الماء ذات تسارع كما انساب من بين الأباطح أرقم

أظن الذى بالقلب منى بقلبها ... فمن أجل ذا العينان بالدمع تسجم
وما ضرها إلا بكاء وزفرة ... لنار لدى أحشائها تتضرم
كلانا مشوق ذارف دمع عبرة ... ودونك قلبى بالقطيعة يكلم

ومنها:

وقد نسمت ريح الصبا فتمايلت ... غصون الربى نحو الأباطح تلثم
وكف الحيا قد فوفت برد روضها ... كما زين الحسناء وشىء منمنم
كأن أكاليل الرياض بأفقها ... لدى الروضة الغناء تاج منظم
وقد فغرت أفواه ورد كأنها ... شفاه العذارى نم منها تبسم
وكف على كاس المدامة هودج ... كطائر جو فوق ماء يحوم
إذا راضها ماء السحاب بدا بها ... دبول صفت أو رقش الجلد أدهم
له وجه روض وابتسام مفلج ... ولكن كمى فى الحروب مصمم
إذا قبل الإبريق راحة كفها ... ترى خفرا منها لدى الخد عندم
ولا أنس أيام العقيق وربعه ... لدى الدوحة الغناء والريح تنسم
فخلت نسيم الريح إذ فاح طيبه ... سرى من سليمى فهو نحوى يؤمم
وإنى لمغر بالرياح لأنها ... تجىء بعطر والرياح تنعم
ألا يا نسيم الريح ردى تحيتى ... فإنى بتذكار المليحة مغرم
فهل لك تبليغ السلام لغادة ... جنانى بها مضنى وقلبى متيم
وكم قد سرى منها خيال مسلم ... فيا حبذا ذاك الخيال المسلم

وأدبه - رحمة الله عليه - كثير. وتوفى بمالقة عام تسعة وثلاثين وخمسمائة.

ومنهم:

١٣١ - على بن عمثيل المالقى

كان - رحمه الله - من أشياخ مالقة.

ومنهم:

١٣٢ - على بن محمد عرف بابن خروف

يكنى أبا الحسن. هو الأديب أبو الحسن بن خروف، أصله من قرطبة. ورد علينا مالقة واقام بها مدة. وكان - رحمه الله - عارفا بصناعة الأدب محققا فيها حافظا للغات والآداب، يتصرف فى فنون شتى من العلوم مع الشعر الرائق والأدب الفائق. نقلت من خط الأديب أبى عمرو بن سالم، قال: أنشدنى أبو الحسن بن خروف لنفسه فى صفة سندى هذه الأبيات: [الكامل]

ومنوع الحركات يلعب بالنهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأود كالغصن فوق كثيبه ... متلاعب كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه ... كالسيف ضم ذبابه لرياسه

قلت: وهذه الأبيات نسبها ابن أبى العباس فى كتابه لعبادة. والصحيح أنها لابن خروف، لأنه لم يكن ممن ينتحل شعر غيره وينسبه لنفسه، والله أعلم.

قال الأديب أبو عمرو بن سالم: أنشدنا الأستاذ أبو الحسن بن خروف، قال: كتبت إلى القاضى ابن الصفار فى ليلة عيد: [المجتث]

يا من حوى كل مجد ... بجده وبجده
أتاك نجل خروف ... فامنن عليه بجده
أقاضى المسلمين حكمت حكما ... غدا وجه الزمان به عبوسا
سجنت على دراهم ذا جمال ... ولم تسجنه إذ قتل النفوسا

وله فى مدينة باغة: [الطويل]

ولله باغوا الهيثمية إنها ... عرينة ضرغام ومكنس شادن
مدينة ينساب بين مياهها ... أريقم نهر ماؤه غير آسن
ربى من كروم والبطاح حدائق ... غما شئت من حسن بها ومحاسن

قال الأستاذ أبو عمرو بن سالم: أنشدنى أبو الحسن لنفسه يصف جيش شطرنج وأحسن فيه: [الخفيف]

ومديرين بين جيشين حربا ... بصلاح العقول لا بسلاح
جيش هذا كالهجر أو كالدياجى ... جيش هذا كالوقل أو كالصباح

قال: وأنشدنا لنفسه فى آنية خمر: [مجزوء الكامل]

أنا جسم للحميا ... والحميا لى روح
بين أهل الظرف أغدو ... كل يوم وأروح

وله يستهدى خمرا: [المنسرح]

يا من يهز الراح عطفا حكى لما بين الراح روحا
خذ جسدى ليس فيه روح وانفخ من الراح فيه روحا

وله فى متكأ: مجزوء الرمل

أنا للسجدة زين أنا للخد وساده

وله فى غرفة ضيقة: [السريع]

كأنها فى الضيق خروبة معوجة والبق فيها ثوى

وشعره وأدبه مشهور.

ومنهم:

١٣٣ - على بن يوسف الأنصارى

يكنى أبا الحسن. أصله من بلنسية. ورد علينا مالقة، أعادها الله. وكان فقيها مقرئا. قال شيخنا أبو جعفر بن عبد المجيد: سمعت عليه بمالقة فى الثانى من شوال سنة خمس وستمائة. أخذ عن مشايخ علماء، كابن النعمة، وابن هذيل والخطيب بن سعادة، رحم الله جميعهم. قلت: ووجدت هذا الاسم بخط شيخنا أبى جعفر الجيار. فمرة سماه بعلى، ومرة بأبى على الحسين. والله أعلم.

ومنهم:

١٣٤ - على بن أحمد بن الفضل

يكنى أبا الحسن. أصله من أريولة، لكنه نشأ بمالقة، وسكن بها وطالت إقامته فيها. كان - رحمه الله - معدودا فى جلة الأدباء ومحسوبا فى علية

الشعراء. قال فيه أبو البحر صفوان: من آيات الدهر وعجائبه، وشاهد ما أثبت له يدل على غائبه.

وأنشد له: [الكامل]

لولا مهابتكم وإجلالى لكم ... وإذاعتى عنكم عظيم مواهب

لم يدر خلق سيدا من خادم ... قربا ولا ذا مطلب من واهب

ومن شعره:

سئمت المقام بغرناطة ... والسن جالى بذا تنطق

وما أنكرت مقلتى حسنها ... ولكنها غيرها تعشق

ومن شعره:

فوا أسفا أتدركنى المنايا ... ولم أبلغ من الدنيا مرادى

وما هو غير أن أدعى وحسبى ... حبا الإخوان أو حرب الأعادى

وأدبه - رحمه الله - مشهور. وفيما ذكرته له كفاية.

ومنهم:

١٣٥ - على بن حزمون

يكنى أبا الحسن. أصله من مرسية. ورد علينا مالقة فى عام... وأقام بها وأخذ عنه أهلها جملة من شعره وأجازه لهم. ومكانه فى الأدب وشهرته تغنى عن الإطالة فى ذكره.

وأنشد له أبو البجر صفوان فى كتابه: [السريع]

أعيت على الأوهام تلك العلى ... واستعجمت من وصفهن الفصاح

لا تدرك الغايات بالأمانى لا يجتلى البارق لا يجتلى البارق إلا التماح

وله فى النحول: [مخلع البسيط]

لو زارنى منكم خيال أبصر منى الخيال الأصغر

غالطت نفسى على وجودى شخص أنا أم أنا مصور

وله من قصيدة يخاطب أبا البحر: [مخلع البسيط]

ما شئتما الآن للزمان قد جاد لى بالمنى زمانى

أى يد للزمان عندى أدنى بنان لها بنانى

وخير شىء أسداه دهرى إلى مما به حبانى

لقا ابن إدريس بعد بين غادرنى فى يديه عان

وشعره - رحمه الله - كثير، وأدبه شهير.

ومنهم:

١٣٦ - على بن جامع الأوسى

يكنى أبا البحر. كان - رحمه الله - أستاذا جليلا عارفا عالما محققا عالى الرواية.

أخذ عنه الحاج أبو بكر عتيق وغيره وكان مع ذلك أديبا بليغا وشاعرا مطبوعا. وكان كفيف البصر، أقرأ بمالقة مدة ثم انتقل عنها لباغة، وذلك لسبب أن مقامة صنعت فى ذم أعيان مالقة ونسبت له. فخاف من ذلك وتحاشى شر ما نسب إليه. فانتقل لباغة، فتلقاه أهلها جميعهم بما يتلقى مثله من العلماء. قال أصبغ ابن أبى العباس: استوطن باغة مدة من ثلاثين سنة

يقرئ العلوم أعيانهم، حتى ألحق بالشيوخ الجهابذة شبانهم. ثم إنه أراد الرجوع إلي مالقة، فكتب إلى الفقيه أبى محمد ابن أبى العباس بذلك، فتوسط له، وكتب له بالوصول وأولاه من المبرة والإكرام ما يجب لمثله.

ومن شعره - رحمه الله - وقد سئل إجازة بيتى الشريف الرضى، فقال الفقيه أبو البحر ارتجالا: [الوافر]

إذا ما قلت إنى عنك سال ... فذاك اليوم أعشق ما أكون

فلا تخشى القطيعة إن قلبى ... عليك اليوم مؤتمن أمين

ولا تخشى مع الأيام خونا ... فقلبى بعضه بعضا يخون

وأين من السلو فؤاد صب ... له فى كل جارحة حنين

يعلل بادكارك كل حين ... ويخضع فى رضاك ويستكين

فيبلى كل حب غير حبى ... وتفنينى ولا تفنى الشجون

وله يمدح أبا بكر بن عيسى: [الكامل]

بالأروع الثبت الجنان الأوحد ... أسطو على صرف الزمان الأنكد

ومنها:

بالمنتقى والمرتجى والمحتذى ... ومطارد الأعدام كل مطرد

أحلى من الأمن المتاح لخائف ... وألذ من نوم لجفن مسهد

وأسن من كعب بن مامة للندى ... وأحن لاسترفاد من مسترفد

من أين للأنداد بيض بنانه ... أم أين من علياه عليا الفرقد

يممته فرأيت منه مسددا ... جمعت ضرائبه ضروب السؤدد

تلقىْ بـه قـمـر النـدى فلتـقـتـد بضـيـاء غـرته إذا لم تهـتـد

وترى مـواهبـه ثـناء مـوحـد وتظن مـوعـده كـأخـذ باليـد

مـا إن يبـالى حـين يستـمع النداء بذهاب وفـر فى الـسـمـاح مـبـدد

وهى أكثر من هذا. وكتب. . . يوما: من كنت يا مـوئلى حاضر غيبه، لم يبال بالزمن العبوس وريبـه، فقد تعالم اقتصارى على عـلائك، واعتمارى أبدا بود مـائك، والله يبقـيك كوكب سـمائك، وعـدة لأعدائك وأوليـائك، بكرمه ومنه.

وما مـننت من الجواب المنتظر، فـفضل منك مـحمـود الأثر، مـوموق الخبر، مـرقوم فى صحف الشكر مـشتهر. أبقـاككم الله على علق غرس فى سرارة الكرم، وسحابا تنجلى عنه غياهب الظلم، بفضله وطوله، والسلام.

وله فى مغنية: مجزوء الوافر

غـناؤك يـجـلـب الأنـسـا ويحـيـى حـسـنـه النفـسـا

ولو أسـمـعـتـه مـيـتـا لعـاش وفـارق الـرمـسـا

وله فى مغن بيده عود: [الكامل]

غنْى لـنا حـسـن فـكدنا ننـتـشى من قـهوة الـطرب التى تستعـذب

لعـبت بـأوتار المثـالث كـفـه فـإذا الـقلوب بكـفـه تتـقلب

وله فى تحريم الخمر: [الطويل]

يظنون أن الراح فـيـهـا سرورهم وقـد غلطوا إن الـسرور اجـتنابهـا

سرت بعقول القوم فاستحسنوا الخنا وغطت عليـه حـين ساغ شـرابهـا

وله فى غناء حمامة: [الكامل]

تزرى بألحان الحمام حمامة ... ورقاء تشدو فى الغصون وتنطق

غنت غناء العاشقين ولم أخل ... من قبلها أن الحمام تعشق

وله يتشوق إلى وطنه: [الطويل]

سقى الله أرضا قد عهدت عراصها ... مآلف آرام ولكنها غيد

يسقيننا راح الهوى بلواحظ ... بواتر منها فى القلوب أحاديد

يدعن حليم القوم يطلف بالظبا ... يقول ألا للحلم عندى تفنيد

وشعره كثير، وأدبه شهير.

ومنهم:

١٣٧ - على بن عبد الرحمن السهيلى

يكنى أبا الحسن. هو ولد الفقيه أبى زيد السهيلى. وكان - رحمه الله - من أهل الطلب والنباهة عفيفا فاضلا دينا ورعا. وكان مشتغلا بصنعة التوثيق مشهور الفضل والديانة.

وصفه الفقيه أبو الطاهر، فقال فيه: ممن ينطبق اسم الفضل حقيقة عليه، ويخترق المجد غياهب صنعته إليه. نشأ بمالقة سالكا من الصلاح سبله، راميا شرك الخداع وأحبله. يفر من الدنيا وخنا غفلاتها، واستقر بفنائها القفر وفلاتها، حتى اشتغل بصنعة التوثيق فبحث عن أصولها، وتلذذ بمعانيها السنية وفصولها. وهو الآن قد ملك قيادها، وحلى بجواهر اللفظ أجيادها، وأجرى فى ميدان ذهنه جيادها. رحمه الله، ونفعه بمنه وفضله.

ومنهم:

١٣٨ - على بن أحمد الأنصارى ويعرف بابن قرشية

كان - رحمه الله - من موثقى مالقة ونبهائهم، عارفا بالصنعة، متقنا لها، ضابطا لأصولها، مختصر الوثيقة، سهل الألفاظ. وصفه الفقيه أبو الطاهر فى كتابه فقال فيه: دمث المأخذ والمسلك، يلزم أن تقتفى طريقته الصالحة وتسلك. اشتغل بالدين، وصحب من يكلف به ويدين. وعد الله فما تنكر، فكانت معرفته لا تنكر. رمى فأصمى وأصاب، فتدفق علمه وصاب. لازم الجلوس بدكانه فلم يعرج على الخطة، واعتقد منها بمخالطة الناس محطة، وقنع بدرهمه، ورمى بقوس أسهمه. قلت: وقد قرأ أبو الحسن هذا على أبى زيد السهيلى. وكان يذكر النحو جيدا.

ومنهم:

١٣٩ - أبو على النشار

من أهل بلنسية لم أقف له على اسم. وكان - رحمه الله - من الأدباء النبهاء رائق الشعر سها الألفاظ بديع المعانى. ورد علينا مالقة، وأقام بها كثيرا، وقرأ فيها على الأستاذ العالم أبى محمد بن حوط الله - رحمه الله -، فكان بذلك محسوبا فى طلبة مالقة، معدودا منهم. ومن شعره - رحمه الله تعالى -: [البسيط]

والشهب جانحة للغرب مائلة ... كالطير فتح عنه بابه القفص

فطارد اللهو فى بيد المنى قنصا ... وسقنى الكأس إن الله و يقتنص

وله أيضا: [مخلع البسيط]

قـــالوا علـى خـــده عـــذار فـــبكره فى الـهـــوى عـــوان
لا تـنـــكـروه فـلـيـس نـكـرا أن طاف بـالروض أفـــعـــوان
إن دخنـت نار وجـنتـــيـــه فـالنـار من شـأنهـا الدخـان

ومن شعره وكتب به إلى صفوان: [السريع]

جـــزى إله العـــرش يوم النوى بشـر مـا يجـزيه يوم الحـساب
كم وقـفـة قلبى أضـحى بهـا يخـفق فى الصدر خـفوق السراب
والعـيس قـد ولت بأحـبابـهـا تمر بالبـيـداء مـر السـحـاب
أدعـو أبا البـحـر وكم دعـوة لم ألق فى الركب لهـا من جـواب
هل رقـعـة تجرى بأغـراضـهـا فى وجنة الأشيب مـاء الشـبـاب
ولـو أتـيـت الـود مـن بـابـه ثقلت بـالعـتـب ظهـور الركـاب
ولست بالـذاكـر مـا قـد مـضى من غـفـلة توجب حلو العـتـاب

وله أيضا: [الكامل]

مـا الملك إلا مـهـرة عـربيـة إلجـامـهـا بيـديك أو إسـراجـهـا
هل قـر إلا مـذ حـواك سـريرها أوراق إلا فـوق رأسك تاجـهـا

وله أيضا: [السريع]

قـلـبـى تـرى أى طـريـق سـلـك فـالحكـم يا جـسـمـى أن أسـألك
أنـينـه دل علـيـــه فـــهـل أنحـله الـشـــوق الـذى أنحـلك
ويا رشـا خـول أسـد الشـرى هناك رب الـعـرش مـا خـولك

ارفق بعبد الحب ما هكذا ... يملك مأسور الهوى من ملك

قتلت يا بدر جميع الورى ... فمن إلى قتل الهوى أنزلك

لو لم يكن سحرك من بابل ... لقلت هاروت به أرسلك

ما ملك الموت كما حدثوا ... بل لحظك الموت وأنت الملك

يا يوسفا يزرى بحسن الذى ... أمن فى الحب وقوع الهلك

أقسمت لو أنك فى عصره ... بآية الحب الذى ذل لك

ما خلت الحسناء فى خدرها ... به ولا قالت له هيت لك

ولم تعظم نسوة حسنه ... إذ قلن ماذا بشرا بل ملك

إن قطعت أيدى نساء له ... فكم فؤاد قطع الناس لك

طوبى لصب فى خيال الكرى ... هم بتقبيلك أو قبلك

وشعره - رحمه الله - كثير. وفيما ذكرته كفاية.

ومنهم:

١٤٠ - عمر بن حسن بن على بن محمد بن دحية الكلبى

يكنى أبا الخطاب، ويشهر بابن الجميل من أهل مالقة. قرأ بها، وأخذ عن أشياخها، ثم انتقل إلى المشرق. وأخذ عن من هناك من الأشياخ. فعظم قدره، واتسعت روايته، وبعد صيته. وسكن القاهرة، واستوطنها فى أيام الملك الكامل. وكان له عنده من الجاه والمحل ما لم يصل إليه غيره. وكان استيطانه من القاهرة بحارة ابن خزان من القاهرة المصرية. وكان يخطط نفسه بذى الحسبين والنسبين، ما بين دحية والحسين. وكان ينسب إلى دحية

صاحب النبى - ﷺ -. ونازعه فى نسبه التأج الكندى أمير النحاة هناك، وزعم أن دحية لم يعقب. ورد عليه أبو الخطاب فى جزء سماه: المرهف الهندى فى الرد على التاج الكندى، وأثبت فيه أن دحية قد عقب وأنه من ذريته. وكان - رحمه الله - أديبا بارعا وشاعرا مطبوعا، إلا أنه كان يتهم فى الرواية، لأنه كان مكثارا، وكان قليلا ما يروى. وتوفى بالقاهرة -رحمه الله-.

ومنهم:

١٤١ - الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى

يكنى أبا حفص، ويعرف بعمر ينات. كان - رحمه الله - من جلة الموحدين وأكابرهم. وجهه أمير المؤمنين أبو يعقوب إلى مالقة حين كان ابن حسون بها، فوصل إليها وأقام عليها أياما، ثم أقلع عنها بخطاب ابن حسون ملك طليطلة. فلما تم أمر ابن حسون كتب أهل مالقة إلى أبى حفص، وكان بمحلته بفج قامرة، ليصل إليهم، فشكرهم على ذلك، وكتب إليهم كتابا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم.

صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

من عمر بن يحيى إلى الشيوخ الأعيان والكافة بمدينة مالقة أكرمهم الله وأعانهم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنا نحمد إليكم الله الذى لا غله إلا هو، ونشكره على

آلائه، ونصلى على محمد نبيه ورسوله، ونسترضيه للإمام المعصوم، المهدى المعلوم، ونستديمه عادة النصر المكين، لسيدنا أمير المؤمنين. كتابنا من مضرب المحلة المباركة بفج قامرة. وقد كان كتابكم الأثير وصل صحبة جماعتكم الكريمة، من أهل البلد والجند، حفظهم الله، فأدى الكتاب، والجماعة، ما سناه الله تعالى لكم، ويسره بفضله عليكم من القيام على النصارى وحزبهم، أخزاهم الله، وكيف أخذتهم صيحة واحدة قطعت دابرهم، وأعدمت صاغرهم وكابرهم، ولم ينج منهم إلا من يحدث عن المثلات، ويندب نجما تضلل بالأثلاث. بركة من بركات هذا الأمر، عمتكم وأنقذتكم من ظلمات وضلال، طالما عمتكم وصدقت موعدكم الحسنى ؛ ومحفلة منا قصدتكم بمنونها الجميلة وأمنتكم، فاشكروا الله كثيرا على ما هداكم إليه، وأعانكم بحسن معتقدكم لهذا الأمر العزيز عليه، فهذا هدى من الله تعالى، من استعصم به عصم، ومن ناوأه قصم، ومن آثره جل، ومن كاثره قل وذل. وكانت عاقبته فى الدنيا عاقبة الذين عذبهم الله بأيديكم، وشفى صدوركم منهم. وكيف لا يدرك الله من بنى حسون وأمثالهم ثأر إسلام البلاد لأعداء الإسلام، أو كيف تسوف العقوبة من رضى بالتثليث من التوحيد بدلا. لشد ما عميت أبصارهم، وصار إليه صائرهم. ورأينا فى كتابكم الأثير شدة الرغبة فى ألا نستنيب فى الوصول إليكم لتطهر قلوبكم وتستقر أنفسكم. فما تركنا لإسعافكم غير ما وجه من وجوه البر. والله ينفعكم بما نويناه لكم وأتيتموه من أبواب الخير، ويجعلنا وإياكم من الذين يتمسكون بالكتاب وعروة هذا الأمر، وأنتم كافة مؤمنون وجندكم وغيرهم بتأمين الله تعالى وبفعلكم المشكور المرضى. والله يعينكم على طاعته ويوفقكم لمرضاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب ظهر السابع عشر من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين

وخمسمائة. فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به، وبصفتكم الرابحة. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. وكتب فى التاريخ المذكور وبالله التوفيق.

ثم إنه وصل إثر كتابه إلى مالقة وأقام بها، ثم انتقل عنها، والحمد لله.

ومنهم:

١٤٢ - عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الفارسى الخراسانى

الساجورى المالينى، يكنى أبا بكر، ويلقب بطنه، وهو من الأغزاز. وكان شيخا فاضلا. ورد علينا مالقة فى ربيع الأول من عام ستمائة. وأخذ عنه جلة من شيوخنا. حدثهم بصحيفة الأشج، وصحيفة جعفر بن نسطور. وكان يحمل ذلك عن الإمام رضى الدين حجة الإسلام أبى الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقانى القزوينى. وكان يحمل أيضا عن شرف الدين أبى يعقوب يوسف بن أبى حفص الخطبى الخالدى الرنجانى -رحمهما الله-.

ومنهم:

١٤٣ - عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامى

كان أصله من رندة، ثم انتقل جده جعفر فى أيام الحكم بن هشام، فسكن بقرية طرجالة، المجاور حصن أوطة، كم كورة رية. استوطنها فأنسل فيها عمر، ثم أنسل عمر حفصا، ففخم فقيل حفصون. ثم أنسل حفصون عمر الثائر. وكان ابتداء أمره فى سنة خمس وستين ومائتين. واقتعد حصن ببشتر سنة اثنتين وسبعين. وكان ابن حفصون قد صالح الأمير عبد الله ورهنه ابنه رهينة، وتوثقا، من أن يخالف عليه، فاختبر الطفل فوجده غير ابنه. فأغزاه الأمير ابنه المطرف بحصن ببشتر، وخرب له منيته التى كانت

باللوقات. فخرج ابن حفصون يذب عن كنيسة كانت بقربها، فغلبه مطرف، وهدم الكنيسة والمنية. وانقطع أثره على يد عبد الرحمن الناصر فى سنة خمس وثلاثمائة. وكان عمر بن حفصون شديد الغيرة على الحريم، ولم يكن جزاء من مد يده من رجاله إلى امرأة إلا السيف، ولو أخبت من الحلى وغيره ما أرادت. قال ابن حيان: وكان ذلك كالقرحة فى مهجة مساويه. ونسبه على ما ذكره ابن حيان: عمر بن حفص المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شنتم بن دميان بن مرغلوش بن ادفنش بم مسالة. وكان جدهم مرغلوش قومسا برندة. ذكره ابن أبى الفياض. وذكر نسبه ابن حيان.

ومنهم:

١٤٤ - عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدى ثم الرندى

يكنى أبا على. هو الفقيه الأستاذ العالم أبو على الرندى، من أهل مالقة. تفنن - رحمه الله - فى علوم النحو والآداب، وشارك فى غيرها من العلوم. وكان - رحمه الله - موصوفا بذكاء وفطنة، معدودا فى الجلة من العلماء، عارفا برواية الحديث. قيد كثيرا، وأخذ عن شيوخ جلة كالأستاذ أبى زيد السهيلى، والحافظ أبى عبد الله بن الفخار، والأستاذ الكبير أبى محمد بن دحمان، وأبى بكر بن خير، وغيرهم. وله وضع على كتاب الجمل، ومسائل متفرقات فى معان شتى فى غاية من البراعة. وكان - رحمه الله - كاتبا وشاعرا. أنشدنى خالى - رحمة الله عليه -، قال: أنشدنى أبو عمرو بن سالم لشيخنا العالم أبى على الرندى - رضى الله عنه -: [البسيط]

علمى بقلبى ما لانت قساوته ... حتى تصدت له عيناك يا قاسى

بسحر عينكم لم أستطع جلدا ... فها أنا الآن من صبرى على ياس

دع التجنى إننى مغرم كلف رهين وجد وأشواق ووسواس

لقد تناهت بى الأشواق فاشتعلت نيران قلبى واذكت حر أنفاسى

لولاك لولاك لم أعرف هوى أبدا فحبكم فى فؤادى ثابت راس

هذى أوائل أبياتى مخبرة باسم الذى حبه روحى وإيناسى

ومنهم:

١٤٥ - عمر بن الشهيد

يكنى أبا حفص. كان - رحمه الله - جليل المقدار، فقيها أديبا، كاتبا، شاعرا مطبوعا. قال ابن أبى العباس فيه: كبير مالقة المعظم فى النفوس قدرا، واللائح فى سماء الأدباء بدرا، والمستوجب فى المحافل عند المذاكرة حمدا وشكرا.

ومن شعره فى محبرة آبنوس: [الكامل]

وكنانة من آبنوس نبلها فصب تراش بأنمل الكتاب

قد غشيت طوق اللجين كأنها ثلج سقيط فوق متن غراب

سبط أفاعيها تصيب بسهمها وتكون ترياقا من الأوصاب

ولم أقف له على شعر سوى هذا - رحمه الله -.

ومنهم:

١٤٦ - عمران الذجى

من أهل شريش. اجتاز على مالقة وأقام بها، ثم انصرف عنها. وكان - رحمه الله - من الأدباء النبهاء. وقرأ من علم أصول الدين وأصول الفقه. وكان شاعرا مطبوعا.

حدثنى خالى - رحمة الله عليه - قال: حدثنى أبو موسى الذجى قال: سمعت يوما شعر الخفاجى، فرأيت فيه بيتا فى صفة فرس، وهو:

سبكته يد الطبيعة نارا فأسالت لجينه ونضاره

قال الذجى: فاستحسنته، وكررته فى خاطرى، وكنت ذلك الوقت أنظر شيئا من علم أصول الدين. فنمت تلك الليلة، فرأيت رجلا كنت أعتقد أنه أحد الخلفاء الأربعة - رضى الله عنهم -. ثم كان يقوى وهمى على أنه على بن أبى طالب - رضى الله عنه -، فكنت أقصده، وأبادر للسلام عليه، فيعرض عنى، وكنت أخاف من ذلك، وأعرض له وألاطفه بالكلام، فيقول لى: كيف تنشد: " سبكته يد الطبيعة "، هذا، وأنت تقرأ علم الأصول. فكنت أقول: يا أمير المؤمنين، إنما حمل الشاعر على هذا، الوزن. فيقول لى: هذا وأنت شاعر، فهلا قال:

سبكته يد القدير اقتدارا

فكنت أقول له: هذا والله أحسن لما فيه من التجنيس، وهو من البديع. فكان يقول: أحسنت. لا تنشده إلا هكذا، واستيقظت.

وله من قصيدة فى وصف الخيل: [البسيط]

أعناقها قصب ماس النساط بها لهن من ورق الريحان آذان

وله فى صبى فى يده مطيب نرجس: [البسيط]

وشادن جاء وفى كفه مطيب من زهر النرجس

فقلت للشرب هلال جلا نور الثريا وسط المجلس

وله فى صبى فى كفه نارنجة: [السريع]

وشـــادن جـــاء وفى كـــفـــه نارنجـــة يـعـبث فى حـــسـنهـا

هز بهـــا راحـــتـــه لاعـــبـــا فـقلت قـد عـادت إلـى غـصنهـا

فـــإن تكـن أنمله قـــضـــبـــهـــا فـــأدمـــعى أغنتـــه عن مـــزنهـــا

ومنهم:

١٤٧ - عيسى بن عياش بن محمد القينى

يعرف باسم أبيـه، ويكنى أبا الأصبغ. كان - رحمـه الله - معدودا فى العلماء، ومحسوبا من الأدباء، من جلة فقهاء مالقة وأعلامها. كان مشارا إليه فيها، يتصرف فى فنون من المنقول والمـعقول. وكان له فى صنعة التوثيق قدم راسخ، وإحكام أمن من الناسـخ. قرأ علم الأصـول، وأقـرأه، واشتـغل به كثـيرا. وكانت له أشـعار وخطب. وله تقـييدات على مـسائل شتى كـالسر المكنون، فى ان الحركة سكون، وغير ذلك. وقد وصفه أبو الطاهر فقال فيه: صنوه مـعروف، وأمله إلى الآخـرة موصـوف. بحث عن العلم فنال، ونعم بذلك المنال. وله فى الطريقـة تصرف، يقضى لمنكـره له بالتعرف. وقـد كان تهمم بمعرفة المعـقول، وشغل باله بكلام أهل العقول. وأما النحو فـبضاعته، ومثل هذا لا يجب إهماله وإضاعته.

وكان أبو الأصبغ - رحمـه الله - من أهل الفضل والدين والورع. كان خطيبـا بجامع مالقة وإمـاما به. قدم للخطابة فى عام اثنين وعـشرين. وأول خطبة خطب فى العيد، خطبة عيـد الفطر من العام المذكور. وتوفى - رحمه الله - فى سـاعة الأذان من يوم الجـمعـة ثالث شعـبان المكرم، عـام ثمانيـة

وعشرين وستمائة. وصلى عليه بعد العصر من اليوم الثانى على شفير قبره - رحمه الله -.

ومنهم:

١٤٨ - عقيل بن عطية المالقى

يكنى أبا طالب. ليس من مالقة، لكنه أقام بها واستوطن. وكان بها يكتب المناكح على القاضى ابن يربوع. ثم إنه ولى قضاء غرناطة مدة، ثم انتقل عنها. وولى قضاء سجلماسة. وكان - رحمه الله -.من جلة العلماء، مشاركا فى كثير من العلوم، محققا فيها. وله كتاب سماه: تجريد المقال فى موازنة الأفعال، يرد فيه على الحميدى. وكان جليل المقدار - رحمه الله ونفعه -. وذكره صاحب الخبر وكناه بأبى المجد، وقال: روى عن ابن خير.

ومنهم:

١٤٩ - عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى الرندى

يكنى أبا محمد، ويعرف بالرندى. كان - رحمه الله - من جلة المحدثين والمسندين، عارفا بطرق الرواية، ضابطا متقنا متفننا. أخذ عن شيوخ جلة من أهل الأندلس كأبى الحجاج ابن الشيخ وغيره. وأكثر بالمشرق، فأخذ عن ابن قدامة المقدسى، وعن إسماعيل الشيبانى الحنفى، وغيرهما. قرأنا عليه بمالقة كثيرا. ووصل مالقة من ديار المشرق فى أوائل عام أحد وثلاثين وستمائة. وكان مغيبه عن مالقة نحوا من ستة عشر عاما، حج، واستوطن بدمشق. وقرأ وسمع كثيرا، وأتى بفوائد جمة. وأوصل إجازات كثيرة من

جلة من شيوخ البلاد العراقية والشامية نفعه الله بذلك. وكان فى نهاية من الضبط والثقة ومعرفة الرجال وصحة الرواية، نفعه الله به وبمنه. وكان - رحمه الله - قد قدم بواسطة خالى - رحمة الله عليهما - للإمامة بالمسجد الجامع بمالقة، فمرض - رحمه الله - قبل أن يصلى فيه بالناس، واستمر مرضه إلى أن توفى فى الثامن لربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

ومنهم:

١٥٠ - عيشون الملقب بالخير

كان قد ملك رية لابن حفصون. فنزل عليه الأمير المنذر، وقاتله حتى عجز أهل رية مما حل بهم، فنبذوا إليه عيشونا، فوجه به إلى قرطبة، وصلب، وعن يمينه خنزير وعن يساره كلب، لأنه كان يقول فى نفاقه: إذا المنذر ظفر بى فليصلبنى بين خنزير وكلب. فوفى له بما قال، والبلاء موكل بالمنطق. ونسأل الله السلامة. ذكره ابن حيان.

ومنهم:

١٥١ - عياض بن محمد بن عياض اليحصبى

يكنى أبا الفضل، وهو حفيد الفقيه العالم العلم الأوحد الإمام أبى الفضل عياض. وكان - رحمه الله - من جلة الطلبة، مشارا إليه، معظما عند الملوك، يفاخرون به فى مجالسهم لطلبه وحسبه. وكان - رحمه الله - مهابا مقداما فصيح اللسان، عارفا بمقاديرُ الناس، متواضعا فاضل الأخلاق، حسن المصاحبة، جميل العشرة، كثير الرجولية، متسرعا لقضاء الحوائج، فاضل الطبع، كثير الأدب. حدثنى خالى - رحمة الله عليه - قال: لما

تزوجت صنعت طعاما معدا للعرس على جرى العادة بين الناس. قال: فلما كان فى يوم الذبح أكبرت الفقيه أبا الفضل على أن أستدعيه لمثل ذلك اليوم. وكان فى نفسى أن لا استدعيه إلا فى يوم الإطعام لكون يوم الذبح إنما هو يوم مهنة وتعب. قال: فبينما أنا جالس، وإذا الضرب على الباب، ففتح، فإذا بالفقيه أبى الفضل، فدخل. قال: فعتب على، وقال لى: ما كنت أظن منك هذا. أفلا استدعيتنى حتى أكون أتصرف فى جملة من يتصرف. قال: فخجلت منه، واعتذرت له، وقلت له: يا سيدى، ما منعنى من هذا إلا كونى أجلك عن مثل هذا. قال: فقال لى: لا عليك، الموضع موضعى، سواء استدعيت أم لم تستدع. وهذا غاية فى التواضع والفضيلة وصفاء النفس.

نقلت من خط خالى - رحمة الله عليه - قال: حدثنى الشيخ الفقيه الأجل أبو الفضل عياض أعزه الله أن والده القاضى أبا عبد الله، كان مع أبى محمد التادلى، وكان قد أصابهما بعض اعتقال، فباتا ليلة معا، وصنع كل واحد منهما بيتين توافقا فى معناهما، فأنشد التادلى لنفسه:

اصبر إذا ما أردت أمرا ... فالصبر مفتاح كل نجح
والهم ليل وكل ليل ... لا بد أن ينجلى بصبح

وأنشد القاضى لنفسه:

من حيث يغلق باب أمر يفتح ... والله أعلم بالذى هو أنجح
لا تيأسن من الظلام لليلة ... طالت عليك فكل ليل يصبح

وحدث الفقيه أبو الفضل - رحمه الله - أن والده دخل على بعض الملوك، فأنشد الملك بيتين صنعا له فى همیان، وهما: [البسيط]

انظر إلى أبدع الألوان نظمها بنان بكر فصاغت منه هميانا

ثم التوته على خصر لها هضم فبات يحرس أردافا وأعكانا

فقال القاضى أبو عبد الله: البيت الأول لا يلتئم مع الثانى، فارتجل بيتا بينهما وهو:

بسحر ألفاظها رقته نافثة فى عقد أخياطها فعاد ثعبانا

فالتأم المعنى بذلك.

حرف الغين

ومنهم:

١٥٢ - غانم بن وليد بن عبد الرحمن المخزومى

يكنى أبا محمد. وكان - رحمه الله - من الحفاظ الجلة المبرزين، عالما بطرق الرواية، عارفا بها. روى عن جملة شيوخ. كان جليل المقدار مشهور المعرفة والمكان، مشارا إليه، معظما عند الملوك، مقربا لديهم، مع ما كان عليه - رحمه الله - من الحفظ للآداب واللغة. وغلب عليه الأدب، وبه اشتهر. ووصفه الفقيه أبو العباس أصبغ فى كتابه فقال فيه: حبر يعجز عن وصفه اللسان، وبحر يحدث عنه بلا حرج الإنسان، وبدر طلع بين ذوائب النوائب فى سماء الإحسان. إن نثر فأسبق فى البيان من سحبان، أو نظم فأثبت فى الإحسان من حسان، وأعرق فيه من آل جفنة فى غسان، وأخلاق أرق من حاشية النسيم، وشمائل أعطر من نفحات الروض الوسيم، ووقار بهزة السماح يسيم، على أنه ما ناط التمائم وخلعها، وأظهر المحاسن وأطلعها، واخترع البدائع ووضعها، إلا والفتنة قد سحبت ذيلها، وصدت على أنوار الهدنة ليلها. فلا فأل إلا غابر الكواكب، جهام المراكب، ولا علم إلا موطوء المناكب، مفلول المواكب. وقد أثبت من نظمه ونثره ما يستميل الأسماع، ويعمر الجوانح والأضلاع.

من شعره - رحمه الله - يصف روضة قد بلل الندى أغصانها، وتفتحت بالأنوار، فقال فى ذلك: [الكامل]

ضحك الزمان بحسنه وبهائه كالصب يضحك بعد طول بكائه

وكأن إقبال الربيع بفضله وصل الحبيب أتاك بعد جفائه

وكأنما وادى العقاب عشية مستمطر دمعى لجرية مائه

وكأن رشح الطل فى نور الربى رشح الخدود بدا بنار حيائه

وله فيه أيضا: [السريع]

ما أحسن الزهر إذا ما ابتسم عن لؤلؤ الروض إذا ما انتظم

نم بسر الروض نواره كعاشق باح بما قد كتم

لم يك عن قصد ولكنه أعوزه الصبر عليه فنم

ودخل على بعض السلاطين فقام له وقرب مجلسه منه، فقال: [البسيط]

صير فؤادك للمحبوب منزلة سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله يراجع الشاعر الحصرى: ما أفصح لسانك، وأفسح ميدانك، وأوضح بيانك، وأرجح ميزانك، وأنور صباحك، وأزهر مصباحك. أيها الفارط المتمهل فى ميدان النبل، والسابق المتطول بفضائل الذكاء والفضل. أرحتنى من صل الهم فازدهتنى أريحية، وأرحتنى من ظل الغم فلاحت لى شمس الأمنية، مما أطلعت على، وأهدته مكارمك إلى. فقلت: أعصر الشباب رجع، أم كوكب السعد طلع، أم بارق الإقبال لمع. كلا والله إنها لمكرمة مهدية، أهدتها نفس سنية، وهمة علية. إن قلت: الوشى الصنعانى قد

نقصتهـا، أو الديباج الخسروانى فقد بخسـتها. بل والله أرتنى زهر الربيع فى غير أوانه، وحسن الصنيع على عدمه فى أهل زمانه، ولمحت منه عقد لآلى، يبقى على آخـر الليالى، فقلدت ما قلد الأوحـد نظما ونثرا، والأمجـد علما وفخرا.

وفى فصل منها: وجوزيت أفضل ما جوزى حر شريف المحتد، صحيح المعتقد، كريم المصدر والمورد، عمن تكنفه بك شوائب النسب، ويجمع شمله معك شمائل العصب. وقد اعتقدت ما به أشرت، وإياه اعتمدت، إذ لاح لى فى أفق النقلة صبـاح، واستقل بى فى طرق الرحـلة جناح. وكم ولت سالمة النوائب بانقباضى، ومداراة الدنيا بتركى لأغـراضها وإعراضى، فإذا الانقباض حصلنى فى جـملة القبض، والترك للأغـراض قد جعلنى للنوب كـالغرض، ولا سلاح إلا الدعاء إلى الله تعالى فى الصلاح، ولا نجاح إلا التمنى لمن يقر ما عليك جناح.

وفى فصل مـنه: أستغـفر الله فـقد حمـى صدرى حتى غلى مـرجله، وضاق مـجال فكرى حـتى اتسع فى الشكوى مقـوله. ولو أنى سلمت لمواقع الأقـدار، وعلمت أنه ليس على القـدر اختيـار، ورضيـت بما يأتى به الليل والنهار، وتيقنت أن خلق الزمان عداوة الأحرار، لأرحت قلبا يتقلب فى جمر الأسى، وأذكرت لبا قد نسى الاقتداء بالأسى.

ومن شعره:

صـديقك من يرعاك فى كل حـالة وإن تدعـه للخيـر والشـر ساعـدك

ولـيس الـذى يولـيـك ظاهـر وده وإن تدعـه كيـمـا يسـاعد باعـدك

فـإن ظفـرت يمناك فى الدهر مـرة بعلق من الإخـوان فـاشـدد به يدك

وله فى النهد: [المتقارب]

حقاق من العاج قد ركبت ... على مثل صحن من المرمر

قلقن فأثبتن من فوقها ... بمثل مسامير من عنبر

وله أيضا: [المتقارب]

كئيب ببابك مسترحم ... ليشكو إليك جوى شجوه

يقر بذنب ولم يجنه ... ولكن لك الفضل فى محوه

وقد ذاق من حبكم مره ... فهل من سبيل إلى حلوه

ومن شعره يصف ليلة أنس قد ولت: [البسيط]

وليلة نسخت عندى محاسنها ... ذنوب دهر يشوب الصفو بالكدر

بتنا وباتت نجوم الليل طالعة ... فينا فلم تبق من هم ولم تذر

ونحن فى روضة للهو يانعة ... كئوسنا اللهو فيها موضع الزهر

حتى إذا ليلنا ولت كتائبه ... وأقبلت غره الإصباح فى الأثر

تشتت الشمل إلا أن يزورهم ... طيف فهل أحد يعلو على القدر

يا ليلة حسنت عندى مواقعها ... لا أكذب الله لولا آفة القصر

وددت لو زاد لى فى عمرها عمرى ... وزيد فيها سواد القلب والبصر

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... وأحسن الناس فى بدو وفى حضر

إن كان للنيرين المستضا بهما ... نسل فإنكه لا شك فافتخر

ومن شعره: [السريع]

ثلاثة يجهل مقدارها الأمن والصحة والقوت

فلا تثق بالمال من غيرها لو أنه در وياقوت

وأدبه مشهور. وقد ذكرت له قطعة فى باب على.

* * *

ومنهم:

١٥٣ - قاسم بن سعدان بن إبراهيم

أندى، من أهل رية، سكن قرطبة. يكنى أبا محمد. سمع من عبد الله بن يحيى، وطاهر بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وابن أبى تمام، وأحمد بن خالد، وابن أيمن، وعبد الله بن يونس، وعثمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن قاسم، وقاسم بن أصبغ، والحسين بن سعد، وأحمد بن زياد، وأحمد بن محمد الحسنى، وغيرهم. ورحل إلى محمد بن فطيس وسمع منه كثيرا. وكان - رحمه الله - ضابطا لكتبه متقنا لروايته، حسن الخط جيد الضبط، عالما بالحديث بصيرا بالنحو والغريب والشعر. ولا أعلم أحدا بالأندلس أعنى بالكتاب عنايته. ولم يزل فى نسخ ومقابلة إلى أن مات. ولم يحدث. وحبس كتبه، فكانت موقفة عند محمد ابن أبى دليم. وتوفى - رحمه الله - ليلة الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة. ذكره ابن الفرضى.

ومنهم:

١٥٤ - قاسم بن محمد بن قاسم الصدفى

رحمه الله. من أهل شذونة. وكان - رحمه الله - رجلا صالحا مقرئا ومعلما لكتاب الله تعالى، معنيا بالحديث. أخذ عن السهيلى وابن الفخار، وابن بونه، وابن حبيش، وابن حميد. اجتاز على مالقة فى سنة تسع وعشرين وستمائة. وتوفى بعد ذلك بيسير.

ومنهم:

١٥٥ - القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصارى

يكنى أبا محمد، وهو المدعو بالأستاذ الكبير. أصله من وادى الحجارة، ثم انتقل أبوه منه بسبب النصارى إلى مدينة بلنسية، وولد الفقيه أبو محمد بها سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ثم انتقل إلى مالقة إثر تغلب الروم على بلنسية. وكان الأستاذ أبو محمد هذا من جلة العلماء المقرئين حافظا ضابطا راوية ثقة من أهل الفضل والدين المتين. أخذ عن أبى على بن يملى. قال شيخنا الفقيه المحدث الراوية أبو عبد الله البلنسى: أخبرنى - يعنى الأستاذ أبا محمد - أنه تلا بالسبع مع خمسين رواية عن نافع، وأربعين ومائة عن ابن كثير، على المقرئ أبى على بن يملى. وأخذ أيضا عن أبى الحسين بن محمد بن الطراوة، وعن الأديب أبى عبد الله بن سليمان، وعن ابن الغماد. ومحله فى العلم وشهرته تغنى عن الإطالة فيه، والحمد لله. ذكره صاحب الخبر قال: هو من مالقة، أخذ عن ابن الوحيدى، وأبى بحر، وأبى عبد الله بن الحاج، وأبى القاسم بن ورد، وحفيد مكى، وغيرهم.

* * *

حرف السين

ومنهم:

١٥٦ - سالم بن صالح الهمدانى

يكنى أبا عمرو. وكان - رحمه الله - من جلة المحدثين والأدباء النبهاء حافظا للغات عالى الرواية كثير الضبط والإتقان. أخذ عن أبى عبد الله بن زرقون، وأبى بكر بن الجد، وأبى محمد بن عبيد الله وأبى زيد السهيلى وأبى عبد الله بن الفخار، وغيرهم. وكان - رحمه الله - أديبا شاعرا فاضلا لوذعيا متواضعا، حسن الصحبة، جميل العشرة، حسن العقيدة، كثير العبرة عند ذكر النبى - ﷺ -، كثير الخشوع عند سماع أخباره، نفعه الله بذلك بمنه.

ومن شعره يصف رمحا: [الوافر]

أنا الرمح المعد إلى النوائب ... فصاحبنى تجدنى خير صاحب

لئن فخر اليراع بكتب خط ... فللخطى فخر بالكتائب

وله فيه: [الرمل]

أنا فى الشيبة كالصل الذكر ... طلت حتى نبت عن ليل الذكر

ثم من أغرب شىء أننى ... لم أطل إلا لتقصير العمر

وله فيه: [مخلع البسيط]

آمن من سطوة النوائب ... من جعل الرمح خير صاحب

وبات فى صحة وأمن ... لذيل برد الفخار ساحب

وله وقد وصل أبو على بن أرقندال إلى منزله، ولم يكن حاضرا: [الكامل]

أصبحت عن خطب الزمان بمعزل ... مذ زار بيتى نجل أراقندل

وتشرفت تلك البقاع وأشرقت ... بضياء غرته وأخصب منزلى

وأعلى على أوج الزمان محلها ... بأبى على فهى تنظر من عل

والترب مذ وطئته أخمص نعله ... أزرى شذاه بطيب عرف المندل

قد كان حقى أن أزور محله ... فأحل بالخضراء أمنع معقل

حيث التقى ماء الفرات بجدول ... عذب ويا شوقى لذاك الجدول

ذاك المحل أقيم فيه صبابة ... من أجل هذا الأفضل بن الأفضل

زين الندى وقطب أرباب الندى ... عين الجزيرة والخطيب المقول

فالله يبقيه ويجمع شملنا ... معه فنظفر بالنعيم الأطول

ثم السلام عليه ما هطل الحيا ... وانهل صوب العارض المتهلل

وله، وقد سيق زهر لأبى على بن كسرى، فأعجبه، فقال أبو عمرو: [الكامل]

يا مغرما بالزهر زهر جلالكم ... أربى على زهر الرياض وزادا

لو أستطيع جعلت ربعك كعبتى ... وتخذت من تلك المكارم زادا

وله وكتب بها إلى خالى: [البسيط]

يا من غدا بين أهل العلم كالعلم ... أزلت بعض الذى اشكو من الألم

أعملت فكرى يا من لا مثال له ... فى العلم والحلم والأدب والحكم

فى قصة أنت تدرى سر ميسمها جلوتها كجلاء البدر فى الظلم
أثبت خيرا أبا عبد الإله على من بات يشكر ما أوليت من نعم
حتى ثنى جيده بالجيد ملتفتا إلى رب الجدا والجود والكرم
شخص السماح ومعنى كل معلوة من خص بالخلق المحمود والشيم
وأكتب الناس إن هزت يراعته فيخفق السيف إن الفضل للقلم
إذا وشى سطر خط فوق مهرقة فالدر ما بين منثور ومنتظم
أقسمت أن المعالى فى الورى قسم حاز ابن مقلة فيها أبخس القسم
سما إلى الأفق الأعلى فهمته ما همها غير أن تسمو على الهمم
موفر العرض لكن وفر نائله مقسم فى ذوى الإثراء والعدم
مرفع القدر مشهور تواضعه يسدى ويعطى ويرعى خالص الذمم
فلذ بحرمته إن كنت مهتضما تأمن كأنك قد أصبحت فى الحرم
إن جئته سائلا عن حاجة صعبت فى الحين تقضى ولم تبرح ولم ترم
وإن شكوت إليه جور مظلمة لم يرقد الليل إشفاقا ولم ينم
فاردد جوابى فقد أصبحت فى قلق محالف الوجد والأشجان والسقم

فأجابه خالى - رحمة الله عليهما - : [البسيط]

مالى يد بالذى أوليت من نعم ولا أطيق جياتى شكرها بفمى
ولست أسطيع وصف بعضها أبدا حتى أؤلف بين الماء والضرم
صحيفة قد أتتنى منك محكمة كأنها راحة تهدى إلى سقم

بدا بها عندما عاينت أحرفها ... لاحت كمسك على الكافور منتظم

شعر مصوغ من الشعرى ومرزمها ... ومن عقيق ومن در ومن حكم

شتى وألفها السحر الحلال به ... كأن هاروت بين الفكر والقلم

كأنما كوكب فى كل قافية ... ما أحسن الشهب فى الألفاظ والكلم

إن كان زهرا فمن يمناك منبته ... وإنما تنبت الأزهار بالديم

أو كان درا فأنت البحر فى أدب ... وعادة البحر قذف الدر للأمم

وافت بخط لوان الوشى أبصره ... أقر بالفضل للأقلام فى القدم

ومنها:

أكرم بمرسلها من ماجد ورع ... حلو الشمائل والأخلاق والشيم

قد رق طبعا وقد راقت شمائله ... فهو الوجود وكل الناس كالعدم

ومنها:

وصاغه الله من فضل ومن أدب ... حتى اغتدى فوق أنف المجد كالشمم

من آل سالم من قوم لهم حسب ... يضىء كالبدر جلى ليلة الظلم

الحاملون علوم الدين إن تركت ... والحاكمون صروف الدهر بالحكم

فلو رآهم زهير لانثنى لهم ... بمدحه وتعدى القول عن هرم

فيا أبا عمرو الأعلى نداء أخ ... لم يرم فى شكر ما أوليت بالسأم

نوهت باسمى فى شعر بعثت به ... حتى رأيت الثريا فوقها قدمى

ألزمتنى فيه حقا لا أفارقه ... عمرى كما ألزم التأكيد للقسم

لئن مدحت فلى قربى شرفت بها ما إن يفى خاطرى عن ذكرها بفمى

ومنها:

أرضعتنى بلبان العلم مغتديا به فحسبى من قربى ومن رحم

بعثت لى ببنات الفكر محكمة حرائرا فلذا وجهت بالخدم

وما قصدت وحاشا أن أماثلها ومن يماثل بين السيف والزلم

وإن تكن صفة للشعر تجمعها فليس حمرة خد كاحمرار دم

ومن شعره وكتب إلى الفقيه الأستاذ أبى عبد الله الاستجى: [الطويل]

عدمت لذيذ العيش بعدك والكرى وأشغلت قلبى لوعة وتذكرا

وكم ليلة قد بت فيها مولها مخافة نفس أن تذوب تحسرا

أقابل مسرى الريح من نحو أرضكم فيحرمنى برد النسيم إذا سرى

لقد خاب ما أملت مذ سرت عنكم ومن ركب الآمال لم يحمد السرى

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى عرفت جلى الأمر لما تنكرا

وأتحفنى فكرى فوائد جمة فما زدت إلا عبرة وتفكرا

يقولون لى صبرا على البعد والنوى ومذ بنت عنى ما رزقت تصبرا

ومما شجانى أننى بت مغرما بأزهر يحكى البدر حسنا ومنظرا

يؤرق جفنى منه غنج محاجر تعد منام الجفن حجرا محجرا

ولولا الذى أخشاه من جور حكمه لحدثتك الأمر الخفى كما جرى

وبحت بمكنون الضمير إليكم وأظهرت وجدا كان فى القلب مضمرا

ولا بد من شكوى فتعذر مذنفا حليف سقام أو يموت فيعذرا

ومنها:

ولكنه مذ لاح لام عذاره تجنى فلا يلوى على من تعذرا

ومنها:

شرانى ببخس وهو فى الحسن يوسف وما باعنى إلا بأرخص ما اشترى

فيمسى إذا ما أظلم الليل ظالمى ويهجر إن صام النهار وهجرا

ولا ذنب إلا أننى بحت باسمه ولا بد للمحزون من أن يتذكرا

فكن ناصرى إن شئت فى موقف الهوى فحق لمثلى أن يعان وينصرا

ألست التى تزهى به أرض ربة فريا رباها فاح مسكا وعنبرا

ومنها:

ونحن بنو همدان والأصل واحد نما فرعنا فى المكرمات وأثمرا

ومنها:

ولولا حلول الشيب كررت منشدا سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

فجاوبه الأستاذ أبو عبد الله بقصيدة منها:

بنفسى غزا لم يدع لى تصبرا وزدت خضوعا حين زاد تكبرا

وما صغر المحبوب لكن همومه على قلب من يهواه أعلى وأكبرا

ولو أن محبوبى تعذر لم أخف على الوصل يوما أن يرى قد تعذرا

فيا واحد الأزمان علما ومنصبا ويا شيخى الأعلى الأجل الموقرا

تعال لكى نحتال فى نيل مطلب فندرك وصلا أو نموت فنعذرا

وأنت حسام فيه للعلم جوهر فكن لى على الدهر الحسام المجوهرا

وهل حلية العشاق إلا رغيبة وقد بايعوا منك الأمير المؤمرا

فهز رماح الخط وانشر بنوده وقد من معانيك البديعة عسكرا

فإنك منصور لدى موقف الهوى فلم تعط جيش الشعر إلا لتنصرا

وقصر حياة العاذلين فكلهم وشى بجميع العاشيقين وقصرا

ومنها:

وجرد على من كان أبيض أبيضا وأشرع إلى من كان اسمر أسمرا

وقم بيننا فى منبر العز خاطبا فمثلك حقا من رقى اليوم منبرا

وعظ كل وسنان المدامع أزهر ليضحى زمان الصب وسنان أزهرا

فنقطف من تلك السوالف سوسنا ونرشف من تلك المراشف سكرا

ومنها:

أعالمنا المشهور فى كل بلدة ومن لم يزل من حاجب الشمس أشهرا

ومنها:

وليس مشتيبا ما علاك وإنما رياض المعالى فوق فوديك نورا

لك الله يا مولاى ذكرت خاطرى بأشياء تشجى الصب مهما تذكرا

وسميت لى دهرا تصرم وانقضى وعيشا لدى الخضراء فينان أخضرا

زمان التقى البحران علم ولجة فكنت به أصفى واندى وأطهرا

ومنها:

وحقك ما قصرت فى حق صاحب ولكننى لم ألق إلا منقبصرا
إذا ما دنا منى تصور ثعلبا ومهما نأى عنى تصور قسورا
وإن أنت عاينت التذلل من أخ فلا تعتقد من ذاك إلا تجبرا
فما من حياء تكتسى النار حمرة ولا من سقام معدن التبر أصفرا

ومنها:

وخبرنى عن شاذن الريم أنه غدا صفو مناء الوصل منه مكدرا
أمولاى أرسل سحر نظمك نحوه فلم أر منه للبرية أسحرا

ومنها:

لعل غزال الريف يكسب رأفة فيهجر ذا عدل اساء وأهجرا
وهى من التعنيس صنعة فاعل يريك له فى ساحة الصدر مصدرا

ومنها:

أمولاى قد قلدت جيدى قلادة يباع بها در المعالى ويشترى
وأسكرنى للحين فرط انطباعها ولم أدر أن الشعر يوجد مسكرا
وم لى بأن أحكى الحميا بحمأة وآتى بأمثال الثريا من الثرى
وأوجب شىء حين يظهر نظمكم لمثن بنظم الشعر أن يتسترا

وله أيضا:

إلاهى قد عصينا منك ربا تعالى أن يقابل بالمعاصى

فكيف خلاصنا من هول يوم تشيب لهوله سود النواصي

وتوفى الفقيه أبو عمرو - رحمه الله - يوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم عام عشرين وستمائة.

ومنهم:

١٥٧ - سليمان المعروف بابن الطراوة

يكنى أبا الحسن، وهو الفقيه المشهور بابن الطراوة. كان - رحمه الله - إماما فى صنعة العربية، عارفا بها محققا لها متصرفا فى غيرها من العلوم، جليل المقدار، معروف العلم. عنه أخذ الأستاذ أبو زيد السهيلى - رحمه الله -. وكان أبو الحسين هذا أديبا شاعرا. فمن شعره - رحمه الله -: [البسيط]

أعوذ بالله من حال يزين لى بغض اللسان وحب البغى والفندا
أيا فلان كفى والله لو ظهرت لك الحقائق ما نازعتها أبدا
ولو خلوت لحلواها ولذتها لما عدلت بها مالا ولا ولدا
الجد فى الدين نور يستضىء به من لا يصر على عمياته حسدا
لكن دنا بأناس رين أفئدة تحملوها فقد تاهت ذرى وندى
لا يستفيقون حوطا فى عواقبه من الجهالة حتى يوقدوا كمدا
فاربأ بنفسك لما كنت ناصحها عن أن تموت صدى أو أن تعيش سدى
واكسب بدنياك علما تطمئن له واذكر لأخراك خوفا أن تموت غدا
ولا تصخ لمقال السوء تسمعه وإن نطقت فحاول منطقا سددا
وللشباب إذا عاشرتهم كرب له هموم فكن عن جمعهم فردا

وله - رحمه الله - فى قوم خرجوا للاستسقاء، والنهار مغيم، والرذاذ ينزل. فلما برزوا للمصلى، رجع الصحو: [الكامل]

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت ... بحرية يبدو لها رشح
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم ... وبدا لأعينهم بها نضح
كشف الغطاء إجابة لهم ... فكأنما خرجوا ليستصحوا

ومنهم:

١٥٨ - سليمان بن أحمد يعرف بكثير

اجتاز على مالقة وأقام بها مدة. وكان حافظا للأدب واللغات والتواريخ. وكتب لبعض السادات. وكان شاعرا أديبا كاتبا لوذعيا، من أهل الذكاء والفطنة - رحمة الله عليه -. ومن شعره: [السريع]

يا قارئ الخط بلمس البنان ... ينبيهما اللفظ مناب العيان
أشك فى غيرك هذا ولكن ... بان فى فعلك كل البيان
ولو توارى شمته لاحظا ... ما عاق ذاك اللحظ عنه صوان
فكم تعرى جننا نافذا ... صدور ما بدا لكم من جنان
من لم يلاحظ بفهم يجز ... عليك ما لم يره فى الزمان
يا من أتى بوقنعة ضارعت ... من خارق العادة ما قبل كان
يا صورة بدعا أرتنا من الحسن ... فنونا لم تنلها الحسان
أرى لسانى إذ يطول وقد ... قصر عن وصفك ذاك اللسان
قابلنى من بعد يأس من الليل ... هوى بل ضمنى قرط بان
وقد قبلت اللوم من لائم ... فيك فهل لى من صدود أمان

ومنهم:

١٥٩ - سليمان بن داود بن عبد السلام بن عمثيل

يكنى أبا أيوب، من بيت حسب وجلالة وعلم وشرف الأصالة، معلوم المكان. وقد تقدم ذكر بعض أسلافه فيما مضى من الكتاب. وكان أبو أيوب من العلم والوجاهة، جليل المقدار، فقيها مشاورا. أخذ عن شيوخ جلة وقيد وروى. ومن أغرب ما نقلت من خط... قال: ألفيت بخط الفقيه الفاضل الأديب الكامل أبى محمد غانم بن وليد المخزومى، قال: وجدت بخط الفقيه الجليل أبى أيوب سليمان بن داود بن عمثيل - رضى الله عنه -، رواية له عن بعض شيوخه، أن رجلا من الصالحين رأى يحيى بن أكثم القاضى - رحمه الله - فى المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفنى ربى تبارك وتعالى بين يديه، وقال لى: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار. قال: فأخذنى ما يأخذ العبد بين يدى مولاه. فلما أفقت قلت: ما هكذا يا رب حدثت عنك. فقال تبارك وتعالى: ما حدثت عنى؟ وهو أعلم بذلك. فقلت: حدثنى عبد الرزاق بن همام الصنعانى، عن معمر بن راشد، عن محمد بن شهاب الزهرى، عن أنس بن مالك، عن نبيك محمد - ﷺ، عن جبريل، عنك يا عظيم، أنك قلت: ما شاب لى عبد فى الإسلام شيبة فأعذبه بالنار. قال: فقال الله تبارك وتعالى: صدق جبريل، وصدق نبيى محمد، وصدق أنس بن مالك، وصدق محمد بن شهاب الزهرى، وصدق معمر بن راشد، وصدق عبد الرزاق بن همام الصنعانى، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة. قال يحيى: يا لها من فرحة. جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه.

ومنهم:

١٦٠ - سليمان بن عمثيل بن يحيى بن أحمد بن داود العاملى

يكنى أبا أيوب، من وجوه مالقة وذوى الشرف والأصالة فيها، قديم الحسب معلوم التعين، يرجع بيته إلى عاملة النازلين برية. وهو على ما ألفيت فى بعض التعاليق: سليمان بن داود بن عبد السلام بن عمثيل بن عكار بن قيدون بن شرف بن خزيمة بن زياد بن شمر بن بشر بن حى بن عوف بن مالك بن قاسط بن الزاهر بن عاملة بن سبأ الأكبر بن يشجب بن عابر بن قحطان بن يعرب بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وهو آدم الصغير - ﷺ -. وشمر المذكور فى هذا النسب هو الداخل إلى الأندلس. وكان أبو أيوب سليمان المتقدم الذكر، معدودا فى طلبة مالقة ونبهائها. ولى القضاء بجهاتها مدة. وناب عن والده بمالقة أيام كونه قاضيا بها، فساد ورأس. وعقبه بمالقة إلى الآن. ومولده - رحمه الله - يوم الجمعة فى عام أربع وعشرين وخمسمائة.

ومنهم:

١٦١ - سليمان بن أحمد بن أبى غالب

يكنى أبا داود ويشهر بالدانى. قد تقدم ذكر والده. وكان أبو داود - رحمه الله - من نبهاء طلبة مالقة وأدبائها، كان كاتبا بليغا وشاعرا مطبوعا. وكان فى صغره من أجمل الناس. نقلت من خط شيخنا الأديب أبى عمرو بن سالم، أنشدنا صاحبنا الفقيه الأديب أبو جعفر أحمد بن محمد الأبدى مما قاله ارتجالا، وقد مر به الفقيه أبو داود سليمان ابن أبى غالب، وكان مشتهرا

بالجمال، صانه الله من العين، فمر به وقد لبس ثوبا أصفر وجعل عمامته بيضاء فقال: [مخلع البسيط]

قد قضيب من اللجين ... عليه ثوب من النضار
أضاء كالبدر جنح ليل ... وعمم الليل بالنهار

ومن شعر الفقيه أبى داود المذكور: [الكامل]

نكرت عطية وهى جد غريرة ... أغباب كتبى فى زمان بعادى
أحبب بها ولها الوقاية لم أكن ... لأصد عن مرضاتها بمرادى
ظلما تكلف أن يحن على النوى ... من لم يرح عن أرضها بفؤادى

وله أيضا: [الخفيف]

زرتها وهى كالغزالة حسنا ... وأنا النجم فى سنا وارتفاع
آمنا أن يرى الوشاة مكانى ... لاحقا بالنجوم تحت الشعاع

وله أيضا: [الطويل]

تلوح على بعد المزار أميمة ... لعين مشوق لم تذق لذة الغمض
كذا الشمس تبدو للعيون منيرة ... على بعد ما بين السماوات والأرض

وله أيضا: [الوافر]

ضننت فلو تزور رأت ... فمبتى أودى به المرض
فقد قامت بجوهره ... وقام بنفسه العرض

وله أيضا: [المتقارب]

مسحتْ على خدها مسحة ... فكادت تذوب لفرط الحياء
وقامت تلوذ بمرآتها ... فكانت شبيهة شمس السماء
كجؤذر قفر أصاب الصدى ... فأومأ ليشرب من فضل ماء

وله أيضا: [السريع]

تاقت إلى زورة أوطانها ... تشوق الظبى إلي المكيس
وأرسلت أجفانها عبرة ... تفنى بها وهى ندى الأنفس
فقمت لما أن بكت وحشة ... لها جس ربعت له مؤنس
ألتقط اللؤلؤ من حجرها ... ينهل فوق الوشى من نرجس
كأننى قمت إلى روضة ... مطورة من أفق مشمس

وله أيضا: [السريع]

تطلعت حوراء نورية ... باطنها يلحظ من ظاهر
وقد بدا خال على نحرها ... كأنه من خدع الساحر
كأنه إذ راقنى عنبر ... دك على مسرجة الزاهر
وإنما الأسود من قلبها ... بحيث لا يخفى على الناظر

وله أيضا: [الوافر]

وقالوا هذه الشيماء قامت ... تفت المسك عن يقق الجبين
وللألباب من خدى سليمى ... دواع للمجون وللفتون
وما الخيلان أبصر من رآها ... إذا رد الحديث إلى يقين

ولكن فوق صفحتها صقال تشكل فيه أحداق العيون

أيضا فى غذاة ذات ثلج ونار، ورقيق رمادها: [الطويل]

وغدوة ثلج كاللجين بياضها طردت الأذى منها بنار كعسجد

يريك رقيق فوقها من رمادها شفوف قناع فوق خد مورد

وله أيضا فى شمعة: [المتقارب]

وصفراء قائمة كالسنان لها لهب بالدجا عابث

متى تطفئ الريح روح السراج ففيها لرمته باعث

وله يرثى والده - رحمه الله -: [الوافر]

خليلى لو ترى فى حمص دفنى أبى لهجرت نومك والطعاما

أواريه بستر من ضريح كأنى مغمد منه حساما

كأن محاجرى ورثت يديه عشية قمت أدفنه غماما

وله أيضا فيه: [الكامل]

صلبوك لا كلفا بعيش فيهم يبكى لفقدهم ولا متأسفا

يا من رأى بدر الدجا لتمامه عبثت به أيدى الزمان تصرفا

والشر يظلم راحة لم تدر إلا لاثما أو مرهفا أو مصحفا

عجبا لجذع قام يحمل كوكبا وغمامتين وصدر علم نفنفا

ولقد نظرت إليه يوم تقله كالرمح عوض من سنان أرهفا

لم يصلبوه فليس يصلب مثله إن كنت تسمع ما أحدث منصفا

جهد التراب به ليستر شخصه فإذا به قد كان منه ألطفا
وكأنه رام اللحاق بعالم العلو الذى هو منهم فاستوقفا
وشجاه نوح الباكيات لفقده فشوى هنالك رقة وتعطفا

وهى أكثر من هذا.

ومنهم:

١٦٢ - سفر بن عبيد الكلاعى

. . . ويقال: هو من الأنصار، وهو من الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله - ﷺ -. وكانت قريته بقرب قرطبة على طريق قرطبة، وتعرف ببنيلة وكان من أهل رية، وإليه ينتسب الرمان السفرى. وسببه أن عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعث إلى أخته بالشام أن الأصبغ عند ما استقر له ملك الأندلس أن تأتيه، فأبت، ووجهت له بتحف، منها ذلك الرمان. فجمع عبد الرحمن أصحابه. فلما نظروا إليها حنوا إلى الشام وبكوا. فأخذ سفر من حب ذلك الرمان وجعله فى سبنية. فقال له عبد الرحمن: ما هذا؟ فقال له: يا مولاى أغترسها فى بلدى لعلها تعلق. فاغترسها فعلقت وكثرت فى الأندلس، فنسبت إليه. ذكره ابن أبى الفياض، وابن مزين فى تاريخهما. وقد وصف أحمد بن فرج الشاعر هذا الرمان فى أبيات فقال: [المتقارب]

ولابسة صدفا أحمرا أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح حق لطيف تضمن مرجانه الأحمرا
حبوبا كمثل لثاث الحبيب رضابا إذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وما سافرت فتشكو النوى أو تقاسى السرى

بلى فـــارقت أيكهـــا نـاعـمـــا لطيـفـــا وأغـــصـــانهـــا نضـــرا

وجـــاءتك مـعـــتـاضـــة إذ أتتك بأكـــرم من عـــودها عنصـــرا

بعـــود ترى فـــيـــه مـــاء الندى ويورق مـن قـبل أن يـثـمـــرا

هدية من لو غـــدت نفـــســـه هديـتـــــه ظنـه قـــصـــــرا

ومنهم:

١٦٣ - سهل بن عثمان ابن أبى حبيب

من أهل سهيل من غـرب مالقة. كان إمام المسـجد المنسوب لبنى زيد. وكان الحكم عـند وصوله إلى مالقـة قد وجـه أحمد بن فـارس من عنده إلى سهل ليـعرف مطلع الكوكب المسمى سهـيل، فوصل واستفـهم عند سهل بن عثمان المذكور، وحسن بن محمـد. فوصفا له وصفه، ووقت طلوعه. فرجع على أنه ليس ذلك الكوكب المعروف.

قلت: والمحققون لتلك الصنعة يزعمون أنه هو.

ومنهم:

١٦٤ - سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموى البلدى

من أهل بلدة، من عـمل رية يكنى أبا عثـمان. رحل إلى المشـرق سنة خمسين وثلاثمائة، وحج سنة إحـدى وخمسين. ولقى أبا بكر الآجرى وقرأ عليه جملة من تواليفه، وأبا الحسن محـمد بن نافع الخزاعى وقرأ عليه فضائل الكعبـة من تأليفـه. وأقام بمكة نحـو العام وسمع بمصـر من أبى بكر ابن أبى طيبة، والحـسن بن رشيق ومحـمد بن القاسم بن شعـبان وحمزة بن مـحمد

وغيرهم. وقال: سكنت مصر نحوا من سبعة أعوام. ولقى بالقيروان على بن مسرور، وأبا العباس بن تميم بن محمد وغيرهما. وكان رجلا صالحا متبتلا متقشفا يلبس الصوف. وكان كثير الرباط والجهاد فى الثغور. ومولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ذكره ابن بشكوال.

* * *

حرف الشين

ومنهم:

١٦٥ - شاكر بن محمد بن الحسن بن محمد بن كامل الحضرمى

يكنى أبا الحسين، ويعرف بابن الفخار، وهو خال الأستاذ أبى بكر بن دحمان. وكان أبو الحسين - رحمه الله - من جلة الطلبة ونبهائهم، كان ذكيا لوذعيا عالى الهمة شريف النفس كريما. وكان - رحمه الله - أديبا شاعرا. كان كثير الصحبة لأبى على بن كسرى. نقلت من خط الفقيه أبى عمرو بن سالم قال: حدثنا أبو الحسين، قال: حضرنا بقرية ذكوان، ومعنا الكاتب أبو على بن كسرى فى موضع على أحد الأنهار بها، وفيه حيتان تسبح فقطعنا مادة الماء عنه حتى نضب، وبقيت الحيتان دون ماء، ثم نزلنا فى وسط ذلك النهر نشرب فيه، فما رأيت منظرا أبدع منه وكان معنا فنى جميل. فقال أبو على بن كسرى:

شربنا مع الحيتان فى بيس النهر

فقال شاكر:

وما كان يرجى ذاك فى سالف الدهر

فقال أبو على بن كسرى:

وما نقلنا فيه سوى نبت شطه ... وما فرشنا فيه سوى الرمل والصخر

ولاحت به شمس الندامى بريهة ... فكان هو الثانى لمنفلق البحر

قال شاكر: فقلت:

فكيف ترى إقلاع صب متيم أتاه الهوى من حيث يدرى ولا يدرى

قال أبو عمرو: وسألت ابن كسرى عن قوله " فكان هو الثانى لمنفلق البحر "، فقال: الموضع الذى انفلق فيه البحر لموسى بن عمران - عليه السلام -، لم تطلع عليه الشمس أكثر من تلك الساعة. وهذا الموضع لم يظهر فيه ذلك الفتى أكثر من الساعة، وكأنه الشمس فى حسنه. قال أبو عمرو: ومررنا فى هذه السفرة مع أبى الحسين المذكور، ومعنا صاحبنا أبو شهاب المشعلانى، فأخذ فى يده نوارا كان معنا، وقال: ليقل كل واحد منكم فيه، فقال أبو شهاب:

لنورك يا خابور بوركت منة على الصحب لا تفنى على قدم الدهر

فقال أبو الحسين شاكر:

ظفرت بلثم من بنان معذبى فجئت ذكى النشر منتخب العطر

قال أبو عمرو: فقلت أنا:

سرت لك من أنفاسه طيب نكهة فجرر بها أذيال فخر على الزهر

ونقلت من خط خالى - رحمة الله عليه -، قال: أنشدنى الأستاذ أبو بكر بن دحمان لخاله الوزير أبى الحسين شاكر، يعنى المتقدم الذكر، فقال: [الطويل]

أبت همتى تعلو معالى آمالى فيسلو هواها القلب حالا على حال

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته بدا منه بغض فى صفات وأفعال

فـأبت لحـال أكـد النـفى نعـتـهـا وفى آل عـباس عطفت على الحـال

فـفيـهم فـتى أروى أوامى بعد مـا عـمـدت زمانا أمـتـرى وضح الآل

لقـــد آن أن يبكى علـى الحق أهله وأن تمتـرى أخـلاق حزن وأوجـال

وأنشدنى خالى - رحمه الله عليه -، قال: أنشدنى الأستاذ أبو بكر بن دحمان ليوسف بن حمدان اليهودى لعنه الله، وذكر أنه كتب بها إلى خاله أبى الحسين شاكر بن الفخار: [البسيط]

أبا الحـسـين أتاكم يـشـتكى ظمـأ ضيف عليل غـدت فى الراح راحته

فـابعث إليـه بـهـا صـهـبـاء نارية تلتف منهـا بنور الشـمس راحـتـه

فقال أبو الحسين أبياتا أولها:

أتاك نضـو طليح الجـسم مـهتـضم فـمـــا تماسك أن رثت مـلاحـتـه

شـهم أبر على الأقـران ملتـمـسـا قـرنا مـشـيحـا بما تفى إشـاحـتـه

قال الأستاذ أبو بكر بن دحـمان: وبعد هذين البيتين أبيات يدعـوه فيها إلى الإسلام، وأن يجيبه على هذه القافية، خرجت عنى. وآخرها:

وأى عـــذر لمن يـضـــيع فكـرته تلتف منهـا بنور الشـمس راحـتـه

وأدبه - رحمه الله - كـثير. قال أبو عـمرو: كان حسن العـشرة، ممتع الحديث، كـثيـر الكف عن إذاية الناس. وتوفى بإشـبيليـة. وكان قـد حمل مكبولا مع من حمـل من مالقة عند كائنة الجزيرى لعنـه الله. فمن الله عليهم وأبرأهم من تلك الكائنة. فأصابه لذلك وهم. وكان سبب موته فى سنة ست وثمانين وخمسمائة.

ومنهم:

١٦٦ - شهيد بن محمد بن شهيد المضرى

يكنى أبا الحسن، وهو من بيت حسب وعلم. وأصله من سرقسطة. وكان والده عالما من أعلام غرناطة، مشارا إليه فيها. وكان أبو الحسن هذا معتنيا بصنعة العمل. تولى خطة الإشراف غير مرة. وله تأليف سماه بالمرشد، جمع فيه فنونا من علم الحساب والفرائض وصنعة الزمام، ومساحة الأرض من علم الفلك. وهو كتاب لم يوضع فى فنه مثله فيما أعلم. وأبو الحسن هذا هو جد الحاج أبى بكر بن زنون وإخوته لأمهم. وكان موصوفا بدين وكرم. قال صاحبنا الفقيه الأجل أبو بكر ابن الفقيه الأستاذ أبى محمد القرطبى: حدثنى خالى أبو بكر بن زنون أن أبا الحسن كان يذكر خطته ويرى ما حرمه من مرتبة أسلافه، فيبكى ويقول: أراد بى أن أكون عالما، فكنت ظالما. ولم يكن - رحمه الله - موصوفا بظلم، وإنما كان يقول ذلك استصغارا لنفسه، وخوفا، رحمه الله. وتوفى فى حدود السبعين وخمسمائة.

* * *

حرف الهاء

ومنهم:

١٦٧ - هشام بن عبد الله بن أصبغ بن أحمد ابن أبى العباس

يكنى أبا الوليد، وهو جد الفقيه الأديب أبى العباس أصبغ. وكان - رحمه الله - جليل المقدار، فقيها نبيها حسيبا، كاتبا بليغا شاعرا مجيدا. وصفه حفيده فى كتابه فقال فيه: ناظم ناثر، وحامل علوم ومآثر، وخطيب محافل ومنابر. فرعت رواسى البدائع قدمه، وأزرى بآيات الشمس فهمه، وقصر بوشيج السمر قلمه. كتب يوما إلى القاضى ابن أدهم يشفع فى شخص أن يجعله إمام البادية: يا سيدى الأعلى وعلقى الأغلى ومعضدى الأوفى، لا زال جانبك يحاط ويعفى، ويكلأ ويكفى، الفقيه أبو محمد الذكوانى، دعاه إليكم من وطنه قدر يستفز ويستخف، وأمل يند ويرف، وأيكة لعل غضارتها لا تجف. وهذا أمر لله مقدوره، واقفا عليه أن يتم صدوره. وقد أرشده الرواد إليك، وعقدت آماله عليك. وطريقته نزيهة، ومكانته بالتصاون وجيهة. ولعله يصادف كرامة منجد، وإمامة مسجد، فيحط الرحل ويلقى عصا التسيار، ويستند إلى كرم الجوار، ويستبدل جيرانا بجوار، ودارا بدار. لا زلت تعقد أملا، وتكشف وجلا، وتجمع أشتات البر كملا، إن شاء الله تعالى والسلام:

ومن شعره يمدح باديس بن حبوس: [الوافر]

تمسك أيها المولى بحزم ... فأنت الحارس البطل النجيد
وصل بالله صبرك تلق خيرا ... فغب الصبر مغتبط حميد
وكم من معشر قلوا دفاعا ... وما جبنوا وإن كثر العديد

ومنها:

بعيد أن يحل الله عقدا ... تملك فيه للدنيا عقود
مظفر دولة برضاه قامت ... به الدنيا ونحن بها قعود
رأى حق الخلافة جد حق ... فأقبل من رضاها يستزيد
وكان لها قديما سيف نصر ... تقد من الكماة به القدود

ومنها:

يرون الموت فى الهيجا حياة ... كأن فناءهم فيها خلود
دنا باديس منها فى جنود ... ملائكة السماء له جنود
أتى فى غير يوم العيد فينا ... فكان لنا بذاك اليوم عيد
فأعلنت الطبول به ثناء ... وماجت فى مفاخره البنود
لملكك فى بلقين حسام ... حديد الحد رد به الحسود
كذاك بنو مناد منذ كانوا ... سيوف ليس تحملها الغمود
حللت محل مالقة بسعد ... تحل به الضغائن والحقود
فأحييت النفوس به بفضل ... به شكر المهيمن يستزيد
ليهنك يا مظفر نيل ملك ... حباك ببره البر الودود

فـلا عـريـت منه ودمت فـينا تبـيـد الحـادثـات ولا تبـيـد

وشعره - رحمه الله - كثير، وأدبه مشهور. وسأذكر له قطعة فى باب يحيى، إن شاء الله.

ومنهم:

١٦٨ - هشام بن فلان الدعى

هو الذى ادعى أنه هشام المؤيد أمير المؤمنين. وتسمى هشام الدعى، المؤيد. وكان سبب ذلك خفاء أمير المؤمنين بقرطبة، فإنه لما قام عليه ابن عمه محمد بن عبد الجبار المتلقب بالمهدى، ورأى أن الأمر قد تم له بقرطبة وأن الخلافة باسمه، وكان المؤيد معه فى القصر، أخرجه وأسكنه فى دار الحسن بن يحيى، وأظهر للناس ميتا يقال: إنه كان نصرانيا، وكان يشبه المؤيد هشاما، ومات النصرانى، فمثله للناس وموه عليهم، وأدخل الوزراء وأهل الخدمة عليه، فلم يشكوا أنه المؤيد. فغسل وكفن، وصلى عليه. ثم إنه أظهره بعد ذلك حين غلب سليمان بن الحكم، ودخل قرطبة وقتل هشاما المؤيد على ما ذكره ابن حيان وصححه.

وقال ابن أبى الفياض وغيره: إنه لم يقتله وإن الفتيان الذين شهدوا لعلى بن حمود بموته، إنما كان ذلك خوفا منه، حتى إن عبد الرحمن المقرئ، وكان من شيوخ قرطبة، قال: كنت حاضرا، فلما رأيتهم قد صححوا موت المؤيد، خرجت باكيا، فلقينى الفتى الذى شهد بذلك، فقال لى: وما يبكيك؟ فقلت: موت المؤيد. فقال لى: والله إنه لحى، وإنى لأعلم الناس بحياته وبحيث هو، وإنما شهدت بما رأيت خوفا على نفسى. هكذا ذكر ابن أبى الفياض وصححه.

فعند ذلك ظهر هشام الذى ادعى أنه المؤيد، ونزل بمالقة، ومنها انتقل إلى ألمرية. وكان نزوله فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال المظفرى فى كتابه: إن خيران العامرى بينما هو فى ألمرية، إذ أتاه قوم فقالوا له: هشام المؤيد أقبل من المشرق، وهو برابطة عمر. وأعلم بصفته وحاله، فأعطاه شيئا، وأخرجه من بلده. ومشى إلى غافق. فلما أجمع ابن عباد على خلع طاعة العلويين، أرسل عنه القاضى وأدخله القصر وبايعه. أهل البلد قال ابن حمادة فى تاريخه: إنما كانت مخاطبة يحيى المعتلى باديس بن حبوس، والبرزالى، لما بلغه أنهم بايعوا الدعى الذى ادعى أنه المؤيد هشام.

قال: وقال ابن أبى الفياض: ظهر هشام بألمرية فى يوم الاثنين لسبع خلون من رمضان المعظم سنة خمس وعشرين وأربعمائة، فى أيام زهير بن محمد العامرى، حين موت خيران. وهو الصحيح. فأخرجه زهير فى البحر سنة ست وعشرين. وبويع له بقرطبة خوفا من يحيى بن على أن لا يرجع إليهم. فبايعوا هشاما الدعى إلى أن خلعوه بالجامع. هكذا ذكره ابن حمادة فى تاريخه، وصححه.

قلت: وهشام هذا قد اضطربت أقوال المؤرخين فيه، والصحيح عندى أنه الدعى على ما يتبين بعد هذا إن شاء الله تعالى. وأما ابن أبى الفياض فإنما صحح أنه المؤيد أمير المؤمنين هشام لأنه قال فى ترجمته فى كتابه: ذكر خلافة المؤيد بالله هشام بإشبيلية بالدولة الثانية. فهذا يدل على أنه ليس عنده هو الدعى. وقال: بويع بقرطبة بعد أن وصلت كتبه إليها، وأخذت له البيعة فيها، وصحح أنه كان بالمشرق. وقال فى كتابه: وبقى هشام بقلعة رباح، وخرج عنها إلى إشبيلية. وأجمع بنو عباد مع القاضى محمد بن إسماعيل

على القيام به والإحياء لدولته. فهذا يدل على تصحيحه أنه المؤيد هشام، وليس بالدعى.

وقد صحح ابن حمادة وغيره من المؤرخين أنه هشام الدعى، وأنه هو الذى بايعه ابن عباد، وقد ذكر ابن حيان أن سليمان بن الحكم قتل المؤيد أمير المؤمنين، فلا يصح أن يكون الذى قام به ابن عباد إلا هشام الدعى.

وعلى قول المظفرى إن خيران هو الذى أخرجه، لا يصح أيضا أن يكون المؤيد، لأن خيران كان أحب الناس فى المؤيد بالله، وأرغبهم فى دولته والقيام بأمره. وعلى ذلك خالف على ابن حمود، وكان بينهما ما ذكره أهل التاريخ، إذ لم يجد خيران المؤيد فى القصر، وكان كثير ما يسأل عنه، وعقد الولاية لعلى بن حمود على طاعة المؤيد. وكان يدعو بعد فقده فى المنابر باسمه على ما ذكر هشام فى تاريخه وغيره. فكيف كان يجده ويخرجه عنه، مع طلبه له، وحبه فيه وفى دولته. فإنما صح عنده، أنه الدعى.

وكان الدعى أشبه الناس بالمؤيد بالله. وحدثنى بعض من أثق به، أنه رأى فى أحد التواريخ، أن هشاما الدعى لما وصل إلى ألمرية دخل فى فندق بها، فرآه الناس فقالوا: هذا أمير المؤمنين المؤيد، للشبه الذى كان بينهما، فسألوه، فقال: إنما أنا هشام مالقى. فتأولوا ذلك وقالوا: إنما أراد: هشام ما لقى، أى: ما لقى من قومه وما فعلوه به، فقوى عندهم أنه المؤيد. فلما رأى خيران ذلك أخرجه عن ألمرية، لعلمه أنه ليس بالمؤيد. قلت: ومما يقوى أنه الدعى أن المؤرخين قد ذكروا أن المؤيد بالله بويع سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن عشرين سنة وثلاث أشهر، وقيل: عشرة أشهر. وأنه مات وهو ابن ست وأربعين سنة وثلا ث أشهر، وقيل عشرة أيام أو ثلاثة عشر

يوما. فهذا يقتضى أن تكونْ وفاته سنة اثنين وأربعمائة أو نحوها. وهشام الذى بايعه القاضى ابن عباد سنة ست وثلاثين وأربعمائة، فكيف يصح أن يكون المؤيد بالله أمير المؤمنين.

قال بعض المؤرخين: من أشنع ما كان فى أيام بنى حمود أربعة خلفاء فى مسيرة ثلاثة أيام، كلهم يسمى بأمير المؤمنين، ويخطب لهم بها فى زمن واحد، وهم: المدعى أنه هشام المؤيد بإشبيلية يخطب له ابن عباد، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة، ومحمد بن إدريس بن على بمالقة، وإدريس بن يحيى بمبشتر. وكانت وفاة الدعى فى نحو عام سبعة وثلاثين وأربعمائة.

* * *

ومنهم:

١٦٩ - يحيى بن على بن حمود بن إدريس العلوى

يسمى بالمعتلى. خاطبه البربر عند فرار عمه القاسم من قرطبة سنة اثنتى عشرة وأربعمائة، فوصل إلى قرطبة غرة جمادى الأولى يوم الاثنين من عام اثنى عشر. ثم إنه خرج فى عام أربعة عشر إلى الجزيرة الخضراء فدخلها غدوة. ولما دخل قرطبة أساء إلى البربر، وخرج منها إلى مالقة، وخاطبوا بعد خروجه القاسم، فرجع إليهم إلى أن قاموا على عبد الله بن عبد الرحمن الناصر سنة ست عشرة، وانصرفت الدولة للعلويين، فخاطبوا يحيى بن على المذكور. وفيه يقول إدريس بن اليمانى الشاعر: [الخفيف]

قيل لى أنت أشعر الناس طرا ... بالمقالات والكلام البديه

فعلا ما تركت مدحك يحيى ... والخصال التى تجمعن فيه

قلت لا أكتفى بمدح إمام ... كان جبريل صاحبا لأبيه

وكان أشجع بنى حمود وأكرمهم وأجملهم. ثم إن أهل قرطبة تخاذلوا عليه، فأطلق النار فى القصر، فاشتعلت فيه ثلاثة أيام، ولم يعد بعد لما كان. وانصرف إلى مالقة، وأقام عمه القاسم بها. وفى سنة ست وعشرين خاطب باديس بن حبوس الصنهاجى وعبد الله بن محمد البرزالى بالوصول إليه، فاعتذرا له، فنهض إلى قرمونة، ففر عبد الله أمامه، ودخل هو قرمونة. فقال له البربر: هذا رجل قد فر إلى إشبيلية، وهى لا تدخل إلا بالحصار،

فلتجلس حتى تنقضى الصائفة وتنزل عليها. فقال لهم: أما أنا فلا أبرح حتى يفتح الله فيها. لكن انصرفوا وأنا مقيم حتى ترجعوا. فلما انصرفوا خاطب بعض رجال يحيى لأبى عبد الله، وقالوا له: إنه فى نفر قليل. فأكثر من الضرب عليه حتى ينصرف عنك. فخرج أبو عبد الله وإسماعيل ابن القاضى محمد بن عباد، فضربوا على قرمونة، وكان يحيى يشرب، فسمع الحركة، فقال: ما هذا؟ قيل له: خيل طرقت من ابن عباد، فقال: جاءت الغنم للجازر. فربوا الفرس. فكلما راموا إمساكه بسبب سكره، لم يقدروا. فخرج والكمائن معدة لأخذه، ففروا من أمامه، وتبعهم. فلما بعد، انقضت الخيل عليه، فرأى ما لا طاقة له به، فقاتل حتى أثخنته الجراح، فرقع عن الفرس، وقطع رأسه، وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة. ذكره ابن حمادة فى تاريخه، وجمع قصته.

ومنهم:

١٧٠ - يحيى بن.....

ومما قيد عن أبى زيد الفازازى - رحمه الله - قال: أنشدنى صاحبنا الفقيه الأجل القاضى أبو إسحاق بن القصير أكرمه الله، قال: أنشدنى الفقيه الكاتب أبو زيد لنفسه بيتا فى الغيرة وهو:

أغار عليك من غيرى ومنى ومنك ومن مكانك والزمان

حدثنى - رحمه الله -، قال: حدثنا الشيخ الزاهد أبو عمران بحمص، قال: أنشدنا أبو إسحاق بن حبيش، قال: كنت قاعدا مع القاضى أبى بكر بن العربى فى يوم جمعة بعد خروج الإمام للصلاة فإذا بفتى من أبناء الروم قد سلم وبيده شمعة وعقد. فلما رآه القاضى أبو بكر أنشد سريعا من قوله - رحمه الله -: [السريع]

وشمعة تحملها شمعة يكاد يطفئ نوره نورها

لولا نهى نفسى نهى غيها لقبلته وأتت عارها

قال الشيخ أبو عمران: فلما أنشدنى الحاج البيتين استعظمت ذلك فى حق القاضى أبى بكر، وحق الموضع، وقلت: هلا اقتصرت على النظم، ثم استغفر، ولكن هزته لوذعية الأدب. لو كنت أنا لقلت، ثم أنشد بديها: [البسيط]

لولا الحياء وخوف الله يمنعنى وأن يقال صبا موسى على كبره

إذن لمتعت لحظى من محاسنه حتى أوفى لحظى الحق من نظره

ثم قال مستغفرا من ذلك: [البسيط]

أستغفر الله ربى ما هممت به ولا جرى منه لى ذكر على بالى

إلا مقالة لغو ما أردت بها إلا التطرف لا وصف لأحوالى

وهذا الفقيه ابن عمران هو من الفضلاء الزهاد مشهور الأدب. من شعره - رحمه الله - ما قاله عند تمام كتاب:

كملت مقابلة الكتاب ونسخه فارحم به يا ربنا وبما حوى

وارحم مؤلفه وكاتبه ومن قرأ الكتاب وسامعيه ومن روى

وله فى كتمان السر: [السريع]

يا ذا الذى أودعنى سره لست لما أودعت بالذاكر

نسيته لما تناسيته وصنته منى عن الخاطر

وله فى الخطاف: [البسيط]

يا أحسن الطير تطريبا وترديدا ... أنسيتنا معبدا لحنا وتغريدا

قد هاج لى طربا صوت تردده ... لا بم يعدله عندى ولا عودا

جزاك ربى عنى كل صالحة ... أنست موحش قلب بات معمودا

وله أيضا: [البسيط]

أحبة الناس من لم يرزهم قوتا ... من يرزئ الناس شيئا كان ممقوتا

وله فى الخرشف: [الكامل]

أتحفتنى نفسى فداك بخرشف ... غض الجنى عذب شعى المطعم

أهديتنى منها نهود كواعب ... أعزز بمهديها على وأكرم

ضن الزمان بلمسها من غيرة ... فأتى بها فى مثل جلد الشيهم

وله فى مدح الهر: نعم الجليس الهر، لا يخبر ولا يستخبر، ولا يبوح بسر، يحفظ سرك عليك، ولا ينقل عنك ولا إليك، كريم المؤانسة، سليم المجالسة، لا يهمز ولا يلمز ولا يغتاب، ولا صاحبه منه بمرتاب. يحفظه إذا ما نام، ويطرد عنه الهوام. منافعه كثيرة، ومئونته يسيرة. فاقتصر عليه أنيسا، واتخذه جليسا، يسلم لك معه دينك ودنياك، إياك أن يفارق موضعك إياك، هو أنفع لك من كريم إخوانك، وأحرس من خدمك وأعوانك: [المتقارب]

فنعم الجليس ونعم الأنيس ... ونعم المعد لدفع الأذى

ونعم الضجيع لمستدفئ ... إذا كلب القر واستحوذا

ومنهم:

١٧١ - يحيى الحمامى

من أهل ربض التبانين من مالقة. من نبهاء الطلبة. وكان أديبا كاتبا شاعرا.

أنشدنى الفقيه الأجل أبو جعفر الحمامى - أكرمه الله -، قال: أنشدنى أبو بكر لنفسه: [البسيط]

أخضب الشيب بالحنا لأستره ... وتحت ثوبى ميت ليس يستتر

إذا أردت وفاء للعهود به ... رأيت منه عوارا فيه يعتبر

هلا اعتراه رقاد جف مدمعه ... وطالما كان منه الدمع والسهر

ومنهم:

١٧٢ - يحيى بن مسعود بن فتحون المليلى

يكنى أبا بكر. من أهل مالقة من نبهائها وأدبائها. كان - رحمه الله - أديبا كاتبا شاعرا. نقلت من خط الفقيه أبى عمرو بن سالم، قال: أنشد أبو بكر لنفسه، وكتب بها للقاضى أبى عبد الله بن مطرف:

سألت الغوث من لو قد أغاثا ... لأبدى من عزيمته انبعاثا

وما أحببت أستجديه شيئا ... ولكن أن يملكنى تراثا

ومثلكم من يجهز حق بكر ... ويلبسها الأساور والرعاثا

وإن ملأ السماع لحاه يوما ... فإن الصقر يقتنص البغاثا

وكتب له أيضا: [الخفيف]

أطمـــأننيـــة أنام ويـــرى ... بهـــا حربى وأنت عـن ذاك جـاز

وينـادى مـــبـــارز لى ظـلوم ... هات لـدنك فـى مكان البـــراز

أترى الاعـــتـــداء يصـلح أم هل ... عن قـليل تحـــركـى واهتـــزازى

أصـعـودا تنـوى المخـاوف نحـوى ... دونك اليـوم منعـتى واعـتـزازى

فـاجـعلن بينـنا بفـضلك حـجـزا ... مـثل مـا بينـنا وبين الحـجـاز

ولـئـن لـم أوصـلـن إلـى الحـق ... فـحق الوصـــول حلف المجـاز

وكتب إلى الوزير أبى على غالب بن أحمد بن غالب: [السريع]

تضـــيق بالمطلوب والـهـــارب ... أرض بهـــا رحـب على الطـالب

يغـلب المغـلوب فـى حـــقـــه ... يومـــــا إذا دل على غـــالب

مـآثر تجـمـــعـهـا جـمـة ... تبـعث قلب الحـاسـد العـائب

ومـــســـتـشـار رأيه صـالح ... ينـفع للحـاضـــر والـغـائب

وأفـــقـــه الـناس وأدراهـم ... وأقـــبل الـناس عـلى راغـب

وحـيـثـمـا كـان له صـاحب ... تلق بمـا فـيـه على الـصـاحب

فـضـامن منه لذى حـاجـة ... ألا يـرى يرجـع بـالخـــائب

ألا بعـــيـنيـــه فـكن راصـــدا ... إلى مـــقـــيم فى الـذرى راتب

ومن غـــدا مـحـله أحـمـــدا ... فليس للســـؤدد بالغـــاصب

أبا عـلى دمـت فى نعـــمـــة ... عـمـيـمـة كـالمطر الصـائب

ومن شعره وقد عمى: [الرمل]

كل حاسد عاد فى العين سمج ... وتساوى غسق ذا وبلج

خفيت أنباء دنيا عن عم ... بعد أن كان رأى الدنيا حجج

ما يرى الأكمه من شيء سوى ... ظلم غود رمنها فى لجج

ليت شعرى كيف يسلو قلبه ... من هوى غيم عليه قد نسج

وإذا اعتلت لحاظ للفتى ... فقد اعتلت جسوم ومهج

فكلوا أمرى إلى خالقه ... فلعل الله يأتى بالفرج

قصرت ستون عمرى فانقضى ... ومضى جل زمانى واندرج

قال أبو عمرو بن سالم: كان هذا الرجل، يعنى أبا بكر، حسن البديهة. وكان الأستاذ أبو عبد الله الحجارى يثنى عليه ويقول: لم أر أسرع بديهة منه. والأبيات التى تخلص له لا تقاس بغيرها فى الحسن وسهولة اللفظ، رحمه الله.

ومنهم:

١٧٣ - يحيى بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صفوان

ابن عبد الرحمن بن يحيى بن مزدوغة بن محمد بن عبد الله بن دعامة بن عرار القيسى، يكنى أبا بكر. وهو الفقيه الأجل الوزير أبو بكر بن صفوان، مشهور الحسب، جليل المقدار، قديم الرياسة، معلوم المكان. يتصل نسبه بعرار المتقدم الذكر. وعرار هو الداخل فى طالعة بلج. وقد تقدم ذكر

والد أبى بكر فى باب الحسن. ولم يزل عقب عرار يتمادى ويتصل، ويتوالى ولا ينفصل، إلى أن أعقب أبا بكر يحيى المذكور. وكان أكثرهم عدا، وأولهم جلالة ومجدا. انتظم به سلك فخارهم، وكملت به مكارم أخبارهم. فاق أهل زمانه سياسة ونباهة، وبرعهم عناية ووجاهة. كان - رحمه الله - أحسن الناس خلقا وأنداهم يدا وأشدهم تسرعا لقضاء الحوائج وأسرعهم إلى فعل الخير. وكان - رحمه الله - مقسم المال على الأصحاب والخدام، معظما عند الملوك والسادات، مشارا إليه، سنى الهمة، ذا شارة حسنة، كثير الفضائل.

حدثت أن بعض خدامه كان يتفقده فى الجمع بحوت نفيس رغبة فى وجاهته، وطلبا فى عنايته به، إلى أن انقطع عنه ذلك الرجل مدة. فبينما هو جالس فى بعض الأيام، وإذا بامرأة قد جاءت تشكو له بحالها، وأن عندها بنتا تحتاج إلى الزواج، وما لها بما تجهزها به، وعرفته أنها زوجة ذلك الرجل، وأنه قد مات. فقال لها: اقعدى حتى أخرج إليك، فمكث ساعة ثم خرج إليها بزمام فى يده، ونحو من ثلاثين دينارا. فقال لها: يا هذه خذى هذه الدراهم، وأصلحى بها حال نفسك فشكرته. وترامت عليه تقبل يده. فقال لها: يا هذه، لا تشكرينى على هذا، فإن تلك الدراهم من مال زوجك. فقالت له: يا مولاى، وكيف؟ فأخبرها أنه عندما كان زوجها يأتيه بذلك الحوت النفيس كان يعرضه على من يقدره له، ويقيد عند ذلك، حتى اجتمع فى الحوت وغيره من الهدايا ذلك العدد، فدفعه إليها، وقال لها: إذا كانت الصبية للزواج، فجهازها عندى. فكان الأمر كذلك. وهذا غاية فى الفضيلة والكرم. ومكارمه وإحسانه أكثر من هذا. وبقى - رحمه الله - ببلدة مالقة. فلما كان فى أيام الأمير أبى محمد عبد الواحد المخلوع حمل بيعة مالقة.

ولقى الوزير الأجل أبو بكر يحيى منه من القبول والإكرام ما رقى درجته، ورفعه وأظهر أثر العناية عليه. ثم وصل خبره أنه مات بأحواز مربلة، ووصل إليها ابنه أبو جعفر، فأخبر أنه مات بعد هدء من الليل ليلة يوم الاثنين الثامن عشر من رجب الفرد من عام إحدى وعشرين وستمائة. وأوصله ولده المذكور ميتا فى الظهر من يوم الثلاثاء التاسع من الشهر المذكور. وكانت وفاته فى زورق على ظهر البحر بناحية استبونة، ودفن بمالقة، عند صلاة المغرب من اليوم المذكور. والله يجدد عليه الرحمة بمنه. ورثاه - رحمه الله - جملة من الشعراء. وممن رثاه خالى - رحمة الله عليه - بهذا الرثاء: [البسيط]

أما الحمام فمحتوم ومقدور ... فالصبر أولى ومن ينفث فمصدور

دع عنك زخرف عيش لا بقاء له ... كأنه فوق ظهر الماء تصوير

واخلع ثياب الأمانى فهى كاذبة ... دنوها وإن امتد المدى زور

لا يترك الموت ذا عز لعزته ... ولا الذى هو مذلول ومحقور

سيان للموت آساد وغيد فلا ... وذو التواضع منا والجبابير

من لم يصبه غدا وافاه بعد غد ... فما يفيدك تقديم وتأخير

دع التعمق فى فعل وفى كلم ... فذو البلاغة عند الموت محصور

والموت لا يعرف الإعراب عامله ... فيستوى فيه مرفوع ومجرور

سلا خبيرا بهذا الدهر إن له ... عجائبا هى للألباب تذكير

واستنطقا أثر الماضى ففيه وإن ... لم يسطع النطق تعريف وتعبير

فهل عدا الموت عادا عند ما كثروا ... فلم تفد قوة فيهم وتكثير

وعن ثمـاد ثمـود هل تحـينهـا ... من حـادث الدهر تعـطيل وتعـذير

واذكر أخـا الحضـر إذ أمسى بقنـته ... فـمـا تصبـح إلا وهو مـحـشـور

وسل مـعـافـر إذ طالت سنواه أمـا ... غـدا بتـرب المنـايا وهو عـفـور

واستفـهـما لبـدا عن طول مـدته ... أخلدتـه فـأمـسى وهو منـظور

وعن ربيع ومـا يغـشـاه من مطر ... ومن رياح أسـفـتـه الـدهارير

وعن لبـيـد وقد أبدى السـآمـة من ... طول الحـيـاة ألم يلحـقـه تغـيـير

وعن جديس وطسم كم تطمس من ... آثارها فـهـى إن أبصـرتهـا بور

وعن مـعـد ومـا عـدوه من ولد ... له أمنهـم مع الأحـيـاء مـذكـور

كم قد أشادوه من قصر وكم عمروا ... فـمنهم اليوم بطن الأرض مـعمـور

قـد مـات منهم لعـمر الله منتـجـه ... إن الجـمـيع بسهـم الموت مقـهـور

أعـد أحـاديث هذا الموت فـهى لنا ... أنس وهـن لذى الـسلـوان تكـدير

وهون الأمـر إن الموت من عـظم ... مـعـروفـه فى نفـوس الخلق متكور

فـاذكـر فـقـيـدا أتتنا كل فـادحـة ... بفـقـده فنـظام الأنس منـثـور

وقـابلتنا وجـوه العـيش فـاسـدة ... وأبصـرتنـا عـيـون للمـهـا عـور

وأضرمت بـلهيب الشـوق واتقدت ... صـدورنا فـهى تشـبـيـهـا تنافـير

وأرسلت سـحب الأجفـان أدمعـها ... فكـل خـد بماء الـدمع ممـطور

على الذى إن يطـل وصف الرثاء له ... فـإنما هو فى التـحـقـيق تقـصـير

على المقـدم فى الأمـر الجـليل له ... فى المشكـلات إذا أشكلن تصـدير

على الذى انتثرت شهب السماء له ... ودك فى الأرض من أرزائه الطور

على الصفى ابن صفوان ومن شرفت ... به اليراع بهاء والمحابير

ايه أبا بكر الأعلى وكم طمعت ... نفسى بما لو تؤتيها المقادير

ألف عنك قضيب المجد فى كفن ... عليه كل حنوط الطيب مذرور

ما كان أغناك عن هذا وذاك فمن ... ثناك ترب ومن رياك كافور

قد أظلمت بعدك الآفاق من وله ... كأنما اتصلت فيها الدياجير

إذا ذكرت فأنفاس مصعدة ... كأن ذاكرك الملهوف مهجور

من المؤمل أما ذو الدنى فله ... شغل وذو الدين فى دنياه مقهور

وكنت فى ذين مضاء العزائم قد ... أصاب كل عسير منك تيسير

ما كنت كالناس لكن إن يقل بشر ... ففضة قد حكاها اللون قزدير

لو كان صفوك للماء القراح لما ... بدا بصفحيه للوراد تكدير

أو كان عندك للسيف الحسام لما ... بدا به من قراع الهند تأثير

أو كان جودك فى زهر الرياض لما ... حمى جنى الورد من شوك سنانير

بنى لك الله بين الخلق منزلة ... لها العلاء أساس والتقى سور

يا مخلصا وضع الله القبول له ... حتى استوى منه منهى ومأمور

لو بعض حبك بين الخلق كلهم ... مقسم لم يكن فى الناس مهجور

ما زلت تحسن حتى فى الممات فقد ... أصبحت والكل منا فيك مأجور

أقمت بالعدوة القصوى وأنفسنا ... لها من الذعر تسبيح وتكبير

حليف حصرين غما من سيوف عدى ... محصر ومن الأمراض محصور

وكل ذلك إن حقيقته عرض ... قد انقضى وهو عند الله مذخور

جرت ودائرة الأفلاك تحسرها ... فى اليم تحملك الفلك المواخير

ومن لها بك بدر لو تسير به ... لم يعقب الشمس فى الأفلاك ديجور

لو يعلم الفلك ما يحويه من كرم ... لم تستطع سيره الفتخ الكواسير

سلت عليك ضلوع منه فانتفضت ... حزنا وفارق جنبيه الدساتير

وقد بدا منه إشعار فمن وله ... أنينه وهو عند الله تصوير

وكنت مجتمع البحرين فاجتمعت ... ثلاثة هى فى الأرض المشاهير

فاثنان ماؤهما ملح لشاربه ... وثالث منه ماء المزن معصور

عذب يفيض على العافى عوارفه ... درا وكل نوال البحر متزور

إنى أظنهما جارا به حسدا ... وكل ذى حسد لا شك مدحور

كأن زورقه الجارى بصفحته ... جفن قد استل من إنسانه النور

لما انحدرت إلى شط المجاز وقد ... تقدمتك التهانى والتباشير

وهبت الريح طيبا عندما فصلت ... به الركائب فى البيداء والعير

فطار فينا سرور لو يخوض بنا ... فى لجة البحر أضحى وهو معبور

فمن مقيم إلى لقياك مرتقب ... ومدلجين لهم جد وتشهير

فبينما نحن فى أنس وفى فرح ... وكل منا بقرب الدار مسرور

وافى المصاب بباك وهو مبتسم ... وهائم منه فى الضدين تفكير

يبكى ويضحك لا عقل ينبهه ... كما تحرق دون القصد مخدور

يا واصلا لم يصل والناس قد وصلوا ... كأنما هو طيف زار مذعور

أستودع الله منك القبر أى فتى ... على الفضائل والآداب مفطور

مبارك لو ينيل الترب سائله ... لعاد تبرا تساويه الدنانير

له من الجن تسخير يخلصه ... ومن تناوله اليمون إكسير

حسيب رية من قوم لهم شرف ... تزهى الدواوين منه والدفاتير

سيوفهم فتحتها وهى مغلقة ... حتى اشتفى الدين منها وهو موتور

قيس وما القيس إلا سادة نجب ... تزهى القبائل منهم والعشائير

توارثوا المجد من جد إلى ولد ... يأتى أكابر إن مرت أكابير

حتى أتيت أبا بكر قد اجتمعت ... لك الفضائل منهم والمآثير

فرد تفتق عنه كل مكرمة ... كما تفتق فى الروض الأزاهير

يبكيك كل طريد الدار منتزح ... عن الأقارب أعيته المعاذير

قد كان منك إلى ظل ومستند ... يأوى ويعقبه المعسور ميسور

يبكيك طالب حاجات معذرة ... له لبابك إدلاج وتهجير

فالآن يرجع لا منا رام أدركه ... منها فحبل رجاء الحاج مبتور

إنى لأبكيك عن خبر ومعرفة ... فأنت عندى معلوم ومخبور

إن يؤثر الفضل فى الأقوام عن فرق ... شتى فعنك جميع الفضل مذخور

أو يوصف الناس أفرادا بمكرمة ... فأنت بالكل موصوف ومشهور

قد أقفرت أربع الإكرام منه وقد ... سفت عليها لأرواح البلى مور
وعندما كان غصنا مثمرا كرما ... هبت عليه من البلوى أعاصير
ومد فى القبر لكن.... أنه فيه حتى الحشر مقصور
يا روضة باهر الأفضال ناب بها ... عن البهار وعن خيريها الخير
تيهى على الدهر طول الدهر والتزمى ... إعظام أعظم من فى الترب مقبور
فقد تأنس سكان القبور به ... كما توحش من فى الدور والدور
بين المعزين كأس الحزن دائرة ... فالناس مخمورة سكرى ومخمور
عزيت فيك لأن الناس قد علموا ... أنى إذا مت وجدا فيك معذور
زجوا عن الغمض منك الجفن وائتربوا ... فالكل منهم من الأرزاء موفور
هذا شقيقك لا صبر يؤنسه ... كأنه لسماع الحزن مصدور
وذا خليلك فوق الترب منعفر ... كأنه بسيوف الحتف معقور
فيا بنيه اخلفوا فينا مراتبه ... فالزهر تجلو والبدر مستور
ولتلزموا كل فعل كان يلزمه ... من المعالى فسيروا مثله سيروا
حيى ضريحا حواه كل منهمر ... ولا تعداه تقديس وتطهير
وحل روضة خلد لا زوال لها ... تغدوا عليه بها الولدان والحور
إن القلوب إليه الدهر مائلة ... وأعين الناس وجدا نحوه حور

ولنقتصر بهذا الرثاء على ما رثى به الفقيه الوزير أبو بكر، ففيه كفاية، والحمد لله.

ومنهم:

١٧٤ - يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوى

يكنى أبا الحجاج، وهو الفقيه الفاضل الزاهد الورع المحدث الأوحد أبو الحجاج ابن الشيخ، مشهور الفضل والدين والعلم. كان - رحمه الله - أحد من بقى من السلف الصالح. فضائله كثيرة، ومنزلته فى الدين والعلم شهيرة. أخذ - رحمه الله - عن شيوخ جلة. ورحل إلى المشرق فأخذ عن أبى الطاهر السلفى، وأبى العباس السرقسطى، وعن العثمانى، وغيرهم. وروى بالأندلس عن ابن عبيد الله، وابن قرقول، وغيرهما. وكان - رحمه الله - يؤم الناس بجامع مالقة. وله كرامات مشهورة، ومكاشفات وإجابة دعوات. فمن فضائله - رضى الله عنه -: الرؤيا التى كان رآها المؤذن أبو جعفر المرسى فى حقه، وذلك ان الفقيه أبا الحجاج - رضى الله عنه - كان يؤم فى الجامع الكبير، ويؤذن فى أحد أبوابه. وكان بالجامع إمام راتب غيره فكان الشيخ - رضى الله عنه - يبكر ويؤذن فى الباب ويدخل للصلاة. فلما كان فى بعض الأيام ربما طرأ عليه عذر أو غلبه النوم، فتأخر عن وقته، فانتظر حتى جاء، ثم جرى له ذلك فى يوم آخر، كذلك نحو من ثلاثة أيام. فلما كان فى اليوم الثالث أبطأ، فأقام المرسى الصلاة ولم ينتظره، فأتى وقد فاته بعض الصلاة، فلم يقل للمرسى شيئا. فلما كان الليل نام المرسى فرأى النبى - ﷺ - فى المنام، فعاتبه، وقال له: تأدب مع الشيخ وانتظره. فلما كان فى صبح اليوم الثانى جاء الشيخ على عادته، فلما صلى ذهب المرسى ليخبره بما اتفق، فقال له الشيخ مبادرا: أظننت أنى ليس لى من ينصرنى، ووصاه ألا يخبر بالرؤيا حتى يموت.

وفضائله - رحمه الله - كثيرة، وهى أشهر من أن تذكر. وكان - رحمه الله - مع ذلك شاعرا.

ومن شعره: [الوافر]

ألا يا ويح نفسى ما لها إذ أميل بها إلى الخيرات تابى
فمالى لا أتوب من الخطايا ويعجلنى إذا ما الذئب تابا

ومن شعره فى الزهد: [الطويل]

ولا بد أيضا أن تسير إلى الفنا سوى الحق إن حققت إلا ملاهيا
وتعلم ذا علم اليقين وبعد ذا فلست ترى إلا غفولا ولاهيا

وكان - رحمه الله - مولعا فى شعره باللزوم. وله فى ذلك: [الخفيف]

كل شعر بلا لزوم فسخل هو نسج سدى ونير ولحمه
واللزوم مثال ثوب موشى بابيضاض واخضرار ولحمه
ذاك ميت بغير روح وهذا هو حى يرى وتسمع نحمه

وله - رحمه الله - من الملح الأدبية ما يروق سماعه. من ذلك ما عارض به الحريرى فى أبياته المعكوسة، وهى هذه: [مجزوء الرجز]

أسما هوانا حرفت تفرح إن أوهى مسا
أسأت من ململنا إن لم نمت أسى
أسلمنا هذا فإذا ذاف أذاه اغلسا
اسق حشاك والعسا واسع لكاشح قسا

استـــتـــر تسـن مـــآثرا رثاء مـن ســتـــر تســـا

أســـــــال مـــن مـن ألا لأن مـن مـل أســـــــا

وكان بينه وبين أبى محمد عبد الوهاب مكاتبات وأشعار ومداعبات. فمن ذلك ما كتب به أبو الحجاج يستدعى منه نقل تين، وهى هذه: مجزوء الوافر

إلى من جل لى حـــالى وســـؤلى أن يبـــقى لى

أبو عـــيـــسى الصـــدوق البـــر فى فـــبـــعل وفى قـــنـــال

مـــحـــب كل مـكـرمـــة لـكل مـــذمـــة قـــال

وحـــمـــال لأعـــبـــاء إذا عـنـت وأثـقـــال

أريـد تفـــضـــلا منكم خـــزيمـــات من انـقـــال

مـن التـــيـــين الذى هـو يـا عـــمـــادى زين أحـــقـــال

ومـــا شىء بـأحـــسن منك فى حـــانوت بـقـــال

ألا فـــاســـأل ولا تســـأل فـــديتك غـــيـــر عـــقـــال

فـــيـــا طـربى أن آكله وأشـــبع ثـم يبـــقى لى

ويـا حـــرصى لأحـــرزه ويـا جـــربى وإرقـــالى

وهذى حـــاجـــة خـــيـــر لدى من ألف مـــثـــقـــال

فأرسل إليه خبرا أنه لم يجدها. فكتب أبو الحجاج - رحمة الله عليهما - إليه بهذه:

خـلـيـلـى هـبـك لـم تـقـض بإرســـال الـنـقـــيـــلات

ولم يسمح بها قدر فأين جواب أبياتى

أليس جوابها فرضا لدى أهل المروآت

ويعلم سيدى فرحى بشعركم إذا ياتى

وكان الفقيه أبو الحجاج قد اشترى كرما فغاب عن أبى محمد عبد الوهاب فكتب إليه:

أصلحك الله مذ بدا الكرم أعرضت عنا وما لنا جرم

بنت العناقيد وحدها حرمت ما لأب فيما علمته حرم

فكتب إليه أبو الحجاج: [المنسرح]

والله ما كان ذاك من خلقى وإن تشاحل فهذه جرم

كم كلفتنى سويقة فأتى منه الحلال الكثير لا الحرم

وله - رحمه الله - يتزهد: [السريع]

لا بد للإنسان من رقدة فى القبر مرغما أنفه

ليس له أنس به غير ما تنشره من عمل صحفه

وكان ذا إلف ولم يغنه أول من أسلمه إلفه

يا أيها الزارع كل امرئ يحصد ما تزرعه كفه

فإن يكن خيرا ينل غبطة وإن يكن شرا يطل لهفه

طوبى لمن تاب إلى ربه من قبل أن يأتيه حتفه

وله وقد قدم للصلاة بالمسجد الجامع بمالقة: [الخفيف]

قـــدمـــونـى لظنهم بـى أنى ... فى خـيـر كـمـا يقـولون عنى
ولو استثبتوا وكشف حالى ... كـــان من ودنـى ينفـــر منى
وبحق فـإننى عـبـد سـوء ... كل ســـوء فـــإنـه من لـدنى
يـا إلاهى يـا عـــالما بـذنوبـى ... فـــاعف عـنى فـــإن ذلك ظـنى
وأقل عـثـرتى وحـقق رجـائى ... إنـك الله ذو حـنـان ومـن

ولما مشى إلى المشرق وصل إلى أبى الطاهر السلفى، فلم تتمكن له القراءة عليه لكثرة الواردين. فكتب إليه أبو الحجاج: [الوافر]

أيا مـن حل مـنى نـور عـيـنى ... ويا مـن حـاز كل نقـا وزين
أنا مـذ صرت عـبـدك زدت فخـرا ... وزان بملكـكم نقـصى وشـينى
أتيـتكم لأقـرأ أو لأروى ... فـعـدت لمنزلى صـفـر اليـدين
قـريـح القلب لـم أظفـر بشىء ... كـــأنـى لم أكـن أهـلا لذيـن
يروح النـاس عنك بكـل خـيـر ... وأرجع لابـسـا خـفى حنين
ومـا ذنـبى سـوى أنى غـريب ... وقـومى حـيل بينـهم وبيـنى

فلما دفعها له، ضحك لما قرأها، وقال له: اقرأ ما أحببت، وفى أى وقت شئت.

ومن شعره:

أقلـل آمـالا ولـست بعـارف ... أأبلغـهـا أم يبلغ الموت قـبلهـا
وللمـرء نفس لا تزال لحـرصـهـا ... تمنى وتـهـوى أن تـبلغ سـؤلهـا

وليست تبالى من سفاهة رأيها أكان عليها ذلك الأمر أم لها

وكتب يوما إلى أبى على بن كسرى: [المجتث]

إذا سئلت من اسرى ونال للمجد أسرا
فقل ولا تتوقف أبو على بن كسرى
فحازهن اقتدارا كرها وقهرا وقسرا
بأمرها والذى عنه بسد مذ سد شرا
والشعر أودعه الشعريين والنجم نثرا
تمكنا واقتدارا وعز نفسا وجسرا
ودون ذلك بحر وليس يحسر حسرا
فمن يرد منه شيئا احتاج مرسى وجسرا
سألته شرح بيت أرهقته فيه عسرا
فساق للحين والوقت فيه شرحا وفسرا
شيئا غريبا وقولا سهلا سدادا ويسرا
حاشاه من أن ترى فيما قال لحنا وكسرا
والأمر أعظم من ذا والمرء أعلى وأسرى
يا بحر فهم وعلم يا بدر قد حزت سرا
صيرت شعرى تمرا وكان من قبل بسرا
فبت آكل خبزى به وأشرب بسرا

شبعان أعمر بيتى ومنه ألزم كسرا
لا أشتهى مع هذا طوقا شهيا ككسرى
يا رب سبب ليسرى يا رب جنب لعسرى
إياك نعبد لا نرتجى سواك عونا ويسرا
كما خلقت الورى ثم منه شددت أسرا
فلا ترى الكل منا إمرا وإسرا وأسرا
وصل بعد على أحمد الذى لك أسرى

وكتب إليه أبو على بن كسرى المذكور - رحمة الله عليهما -: [المجتث]

مرامكم لا ينال كعشرة لا تقال
وذاك شىء محال للسر منه مجال
نرى لك الدهر مالا يسوغ منه نوال

وأدبه - رحمه الله - وقدره مشهور. وقد وصفه الفقيه أبو الطاهر فى كتابه فقال فيه: اشتغل بالطريقة أيام شبابه، وولج محل التودد من بابه، ثم إنه لازم الدين، وأصبح فى زمانه علم المهتدين. فكم من بيت لله بناه، ورفع نحو السماء فناه. وكم من معطلة عمرها، وجنى بذلك الحسنات وثمرها، ومن عان بذل فيه وجهه وجداه، وبأبيه وأمهْ فداه.

وأما التواليف فالتقصير.... ترجمة أولى، وهى مع نظرائها فى الرتبة كالعبد والمولى. ولم يشتغل بالطريقة حتى طاف بالحرم، فوقف بتلك المقامات

والحرم. وتوفى - رحمه الله - يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر السادس من رمضان المعظم عام أربعة وستمائة.